

بیان السعادة فی مقامات العبادة

حاج سلطانمحمد گنابادی

ملقب به سلطانعلیشاه







هو
۱۲۱

متن عربی

تفسير شريف
بيان السّعادة فی مقامات العبادة

تأليف

العارف الشّهير

سلطان محمّد الجنابذی سلطانعليشاه

هو

١٢١

(المجلّد الرّابع عشر)

متن تفسير شريف

بيان السّعادة فى مقامات العبادة

تأليف

العارف الشّهير

حاج سلطان محمّدالجنابذى الملقّب بسلطانعليشاه

طاب ثراه

سُورَةالمُجادلة

مدنيّة؛ احدى و عشرون آيةً.



[قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجٰادِلُكَ فِي زَوْجِهٰا وَ تَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَ اللهُ يَسْمَعُ تَحٰاوُرَكُمٰا إِن اللهَ سَميعٌ بَصِيرٌ] نزلت فى امرأةٍ من الانصار اسمها خولة و زوجها اوس بن الصّامت و كانت امرأةً حسن الجسم فأرادها زوجها فأبت فغضب عليها و قال: انت علىّ كظهرامىّ.

و كان فى الجاهليّة اذا قال الرّجل لاهله: انت علىّ كظهر امّى، حرمت عليه آخر الابد، فندم الرّجل و قال لامرأته قداتانا الاسلام فاذهبى الى رسول‌الله ﷺ فاسأليه فأتت الى رسول الله ﷺ فقالت، بابى أنت و امّى انّ اوس بن الصّامت هوز وجى و ابوولدى و ابن عمّى فقال لى: انت علىّ كظهر امّى، و انّا نحرّم ذلك فى الجاهليّة، و قد اتاناالله بالاسلام بك فقال لها رسول‌الله ﷺ: ايّتها المرأة ما اراك الّا حرّمت عليه، فأعادت عليه قوله الاوّل، فقال ﷺ: ما اراك الاحرّمت عليه و لم اومر فى شأنك بشىءٍ، فجعلت تراجع رسول الله ﷺ و كلّما قال لها رسول الله ﷺ، حرّمت عليه هتفت و قالت:

اشكو الى الله فاقتى و حاجتى و شدّة حالى، اللّهم فأنزل على لسان نبيّك و كان هذا اوّل ظهارٍ فى الاسلام فنزل عليه الايات فقال: ادعى زوجك، فدعته، فتلا عليه رسول الله ﷺ هذه الايات (الى قوله) و للكافرين

عذابٌ اليم.

[اَلَّذِينَ يُظٰاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسٰائِهِمْ مٰاهُنَّ اُمَّهٰاتِهِمْ اِنْ اُمَّهٰاتُهُمْ اَلَّا اللّٰاتِى وَ لَدْنَهُمْ وَ اِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَ اِنَّ اللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ] يعفو عنهم و يغفر لهم اذا تابوا.

[وَ الَّذِينَ يُظٰاهِرُونَ مِنْ نِسٰائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمٰا قٰالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَتَمٰاسّٰا] ظاهر الاية انّ من ظاهر فليس عليه شىءٌ ان لم يكرّر القول، او ليس عليه شىءٌ فى المرتبة الاولى فاذا عادو ظاهر ثانياً فعليه الكفّارة المذكورة.

و روى عن امير المؤمنين عليه السلام انّه قال: انّ الله عفى عن المظاهر الاوّل و غفرله بدون الكفّارة، فان عاد احد بعد المظاهر الاوّل فعليه الكفّارة، و قيل: معنى يعودون لما قالوا يعودون عمّا قالوا فانّه يستعمل يعود فيما قال والى ما قال و لما قال بمعنى يعود عمّا قال، و قيل: يعودون الى نسائهم، و قوله تعالى، لما قالوا، ابتداء كلام و المعنى فتحرير رقبةٍ لما قالوا [ذٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ] يعنى ذلكم التّحرير توعظون به لكى ترتدعوا من مثله.

[وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيٰامُ شَهْرَيْنِ مُتَتٰابِعَيْنِ] يكفى فى صدق تتابع الّشهرين اتّصال شىءٍ من الّشهر الثّانى بالّشهر الاوّل [مِنْ قَبْلِ اَنْ يَتَمٰاسّٰا] بالمجامعة او مطلقا.

[فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعٰامُ سِتّينَ مَسْكِينًا] بقدر شبعهم او اعطاء كلّ مسكين مدّاً من الطّعام [ذٰلِكَ] المذكور من عدم الحرمة ابداً بالظّهار كما كانت فى الجاهليّة و جواز الّرجوع الى النّساء بعد الظّهار و التّرتيب فى خصال الكّفارة.

[لِتُؤْمِنُوا] ای لترغبوا فی شريعة محمّدٍ ﷺ و لاتنفروا عنها لما ترون فيها من التّخفيف و تؤمنوا [بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ] حدود حماه لايجوز التّجاوز عنها.

[وَ لِلْكافِرِينَ] بالله و رسوله ﷺ او للكافرين بتلك الحدود [عَذابٌ اَلِيمٌ اِنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ] حادّه غاضبه و عادّه و خالفه [كُبِتُوا] كبته صرعه و اخزاه و صرفه و كسره وردّه بغيظه و اذلّه و المكتبت الممتلئ غمّاً.

[كَما كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] الّذين حادّوا الله و رسوله من قوم نوحٍ و عادٍ و ثمود و قوم ابراهيم عليه السلام [وَ قَدْاَنْزَلْنا] عليهم او عليكم [آياتٍ] دالّاتٍ على قدرتنا و حكمتنا، او دالّاتٍ على صدقنا و عدنا و وعيدنا، او دالّاتٍ على صدق رسولنا [بيِّناتٍ] واضحات او موضحات و هی الايات التّدوينيّة او الايات الافاقيّة و الانفسيّة.

[وَ لِلْكافِرِينَ] بتلك الايات او بالله و رسوله ﷺ [عَذابٌ مُهِينٌ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ] ظرف لمهين، او لقوله للكافرين، او لقوله احصاه الله [جَميعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا اَحْصيٰهُ اللّهُ] رفع لتوهّم متوهّم انّ العاملين لايحصون اعمال انفسهم فكيف يحصی الله اعمال الجميع.

[وَ نَسُوهُ وَ اللّهُ عَلی كُلِّ شَیْءٍ شَهِيدٌ] تعميمٌ و تعليلٌ [اَلَمْ تَرَ] خطاب لمحمّدٍ ﷺ او لكلّ من يتأتّی منه الخطاب، و ان كان خطاباً لمحمّدٍ ﷺ فالمعنی لاينبغی لك الاستغراب عن كونه علی كلّ شیءٍ شهيداً لانّك تری و تنظر الی آثار احاطة علمه تعالی بما فی الّسماوات و ما فی الارض، و ان كان الخطاب عامّاً.

فالمعنى لاينبغي الاستغراب لظهور آثار احاطة علمه تعالى و ينبغي ان يراها كلّ راءٍ لظهورها [اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا فِى السَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِى الْاَرْضِ مٰا يَكُونُ مِنْ نَجْوٰى ثَلٰثَةٍ] نجوى جمع نجيّ او مصدر نجاه بمعنى سارّه، او اسم مصدرٍ بمعنى السرّ، و على الاوّل جازان يكون مضافاً الى ثلثة و ان يكون ثلثة بدلاً منه و معنى النّجوى المصدريّ المسارّة بين اثنين او اكثر لكنّه يطلق على حديث النّفس و خطرات القلوب و الرّؤيا الصّادقة و الاحلام الكاذبة لانّها مسّارة الشيطان او الملك مع الانسان.

و قد يطلق على مطلق المحاورة [اِلّٰا هُوَ رٰابِعُهُمْ وَ لٰا خَمْسَةٍ اِلّٰا سٰادِسُهُمْ] اختيار المتناجين اى المتسارّين لانّ المتناجين يكونون بحالٍ لايطّلع على نجواهم غيرهم فيكون الاطّلاع عليهم ابلغ فى الدّلالة على الاطّلاع على خفيّات الامور، و اختيار الثّلاثة و الخمسة من بين مراتب العدد لانّ العدد الوتر اشرف مراتب العدد.

الاترى انّه تعالى قال سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم، و يقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب، و يقولون سبعة و ثامنهم كلبهم و لانّ الله و تريحبّ الوتر، و اقلّ مراتب العدد الوتر الثّلاثة، و اضاف اليها الخمسة ليعلم انّ خصوص مرتبة الثّلاثة ليس مقصوداً.

و قيل: كان من انزلت الاية فيهم ثلاثة و خمسة و الفرق بين ثالث الثّلاثة و رابع الثّلاثة انّ ثالث الثّلاثة يكون واحداً من الثّلاثة مقابلاً للاخرين متمّماً عددهم.

و لذا قال تعالى: لقد كفر الّذين قالوا انّ الله ثالث الثّلاثة و امّا رابع الثّلاثة فهو الّذى يجعل الثّلاثة اربعة سواء كان من جنسهم و فى عدادهم او

لم يكن، و سواء جعل الثّلاثة اربعة بنفسه او بغيره.

فهذه العبارة لاتستلزم التّحدّد و كونه تعالى ثانياً لغيره و غير ذلك ممّا ينافى الوجوب كالعبارة الاولى فانّه تعالى يجعل كلّ ثلاثة اربعة بان يوكّل عليهم واحداً من و كلائه او اكثر.

و ايضاً يجعل الثّلاثة اربعة بان يكون هو بنفسه مقوّماً للثّلاثة و معهم لامعيّة الاثنين من الانسان بل معيّة قيّوميّة لاينفك شيءٌ من الاشياء عنها منفرداً كان او منضّماً الى واحدٍ او اكثر و هذا المعنى لايلزم شيئاً من لوازم الامكان.

و لذلك لم يكتف بهذا و قال [وَ لٰاأَدْنٰى مِنْ ذٰلِكَ] العدد [وَ لٰاأَكْثَرَ اِلّٰا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مٰا كٰانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] تعليل و تأكيد و نتيجة للّسابق و نزول الاية.

كما روى عن الصّادق عليه السلام فى ابى عبيدة الجرّاح و عبدالرّحمن من عوفٍ و سالمٍ مولى ابى حذيفة و المغيرة بن شعبة وعدّة اُخر حيث كتبوا الكتاب بينهم و تعاهدوا و تواثقوا لئن مضى محمّدٌ صلى الله عليه وآله لايكون الخلافة فى بنى هاشم و لاالنّبوّة ابداً.

[اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوٰى] اى المسارّة او المحاورة [ثُمَّ يَعُودُونَ لِمٰانُهُوا عَنْهُ وَ يَتَنٰاجَوْنَ بِالْاِثْمِ وَ الْعُدْوٰانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ] يعنى يتناجون بغصب حقّ آل محمّد صلى الله عليه وآله ومعاداتهم و مخالفة قول الرّسول صلى الله عليه وآله فيهم.

و بعبارةٍ اخرى يتناجون بما فيه قوّة القوّة البهيميّة الّشهويّة، و قوّة القّوة الغضبيّة الّسبعيّة، و قوّة القوّة الجهليّة الّشيطانيّة.

[وَ اِذٰا جٰاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمٰا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللّٰهُ] اظهاراً لحبّهم لك بالتّحيّات العالية سرّاً لنفاقهم عنك و عن المؤمنين [وَ يَقُولُونَ فِي اَنْفُسِهِمْ] من غير تلفّظٍ او فيما بينهم من غير اطّلاع الغير عليهم.

[لَوْلاٰ يُعَذِّبُنَا اللّٰهُ بِمٰا نَقُولُ] لانّهم قبلوا الاسلام و صدّقوا محمّداً صلى الله عليه وآله فى اكثر ما قاله من امر الاخرة و لم يصدّقوه فى خلافة علىٍّ عليه السلام.

[حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهٰا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ] قيل: نزلت قوله: الم تر الى الّذين نهوا عن النّجوى (الايات) فى اليهود و المنافقين.

انّهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين و ينظرون الى المؤمنين و يتغامزون بأعينهم فاذا رأى المؤمنون نجويهم قالوا: ما نريهم الّا و قد بلغهم عن اقربائنا و اخواننا الّذين خرجوا فى السّرايا قتلٌ او مصيبّةٌ او هزيمةٌ.

فيحزنهم ذلك فلمّا طال ذلك شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فأمرهم ن لايتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك و عادوا الى مناجاتهم، لكن نقول: ان كان نزولها فى اليهود فالمقصود منها منافقوا الامّة الّذين كانوا يتناجون فى ردّ قول محمّدٍ صلى الله عليه وآله فى علىٍّ عليه السلام.

و قيل: نزلت قوله: و اذا جاؤك حيّوك (الى آخر الاية) فى اليهود فانّهم كانوا يأتون النّبىّ صلى الله عليه وآله فيقولون: السّلام عليك، والسّلام الموت و هم يوهّمون انّهم يقولون: السّلام عليك و كان النّبىّ صلى الله عليه وآله يردّ عليهم بقوله: و عليكم فان كان النّزول فيهم فالمقصود منها المنافقون.

كما ذكرنا و اشار الصّادق عليه السلام فى الحديث السّابق [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بعد ماذمّ النّجوى مطلقاً و ذمّ المتناجين بالاثم و العدوان و معصية

الرّسول ﷺ نادى المؤمنين و نهاهم عن النّجوى بما فيه قوّة القوى الثّلاث، فانّ الانسان اذا اجتمع مع غيره قوى فيه الشّأن الّذى هو عليه فنهاهم عن ذلك حتّى يتنبّهوا، و اذا كانوا على تلك الشّؤن ارتدعوا عنها فقال:

[اِذٰا تَنٰا جَيْتُمْ فَلاٰ تَتَنٰاجَوْا بِالْاِثْمِ وَ الْعُدْوٰانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ] يعنى راقبوا احوالكم فان تروا قوّة الميل منكم الى ذلك فاعلموا انّكم بعد فى شأن البهيمة او السّبع او الشّيطان فعالجوا انفسكم بدفع تلك القوّة عنكم.

[وَ تَنٰاجَوْا بِالْبِرِّ] الّذى هو لازم قوّتكم العاقلة [وَ التَّقْوٰى] من القوى الثّلاث يعنى قوّوا بالاجتماع قوّتكم العاقلة و ضعّفوا قواكم الثّلاث.

[وَ اتَّقُوا اللّٰهَ] اى سخط الله فى تقوية القوى الثّلاث [الَّذِى اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ] توصيف للتّعليل.

[اِنَّمَا النَّجْوٰى مِنَ الشَّيْطٰانِ] اى مطلق التّناجى بان حكم على الجنس بحكم اكثر الافراد و اللّام للتّعريف يعنى النّجوى المذكورة و هى النّجوى بالاثم و العدوان و معصية الرّسول ﷺ، او هى نجوى فاطمة سلام الله عليها و رؤياها كما سنذكر فى نزول الاية ان شاء الله.

[لِيَحْزُنَ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَ لَيْسَ] اى الشّيطان او التّناجى [بِضٰارِّهِمْ شَيْئًا اِلّاٰ بِاِذْنِ اللّٰهِ وَ عَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] و لايحزنوا بنجوى المنافقين، او بنجوى اليهود، او بالاحلام و الرّؤيا الّتى يرونها و يحزنون بها.

و قد مضى فى سورة البقرة عند قوله تعالى ولكنّ الله يفعل ما يريد مايبيّن به عدم اضرار الشّيطان الّا باذن الله، و فسّر النّجوى ههنا بالرّؤيا الكريهة.

روى عن النّبىّ ﷺ انّه قال: اذا كنتم ثلاثةً فلايتناج اثنان دون صاحبهما فانّ ذلك يحزنه.

و عن الصّادق عليه السلام انّه كان سبب نزول هذه الاية انّ فاطمة عليها السلام رأت في منامها انّ رسول الله صلى الله عليه وآله همّ ان يخرج هو و فاطمة عليها السلام و علىّ عليه السلام و الحسن عليه السلام و الحسين عليه السلام من المدينة فخرجوا حتّى جازوا من حيطان المدينة فعرض لهم طريقان.

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ذات اليمين حتّى انتهى الى موضعٍ فيه نخلٌ و ماءٌ، فاشترى رسول الله صلى الله عليه وآله شاة درّاء و هى الّتى فى احدى اذنيها نقط بيض فامر بذبحها، فلمّا اكلوا ماتوا فى مكانهم.

فانتبهت فاطمة عليها السلام باكية ذعرة فلم تخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فلمّا اصبحت جاء رسول الله صلى الله عليه وآله بحمار فاركب عليه فاطمة عليها السلام و امر ان يخرج امير المؤمنين عليه السلام و الحسن عليه السلام و الحسين عليه السلام من المدينة كما رأت فاطمة عليها السلام فى نومها.

فلمّا خرجوا من حيطان المدينة عرض لهم طريقان فأخذ رسول‌الله صلى الله عليه وآله ذات اليمين كما رأت فاطمة عليها السلام حتّى انتهوا الى موضعٍ فيه نخل و ماء، فاشترى رسول الله صلى الله عليه وآله شاةً درّاء كما رأت فاطمة عليها السلام فأمر بذبحها فذبحت و شويت.

فلمّا اردوا اكلها قامت فاطمة عليها السلام و تنحّت ناحيةً منهم تبكى مخافة اى يموتوا، فطلبها رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى وقع عليها و هى تبكى فقال: ما شأنك يا بنيّة؟ـ قالت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله رأيت البارحة كذا و كذا فى نومى و قد فعلت انت كما رأيته فتنحيّت عنكم لئّلا اراكم تموتون.

فقام رسول‌الله صلى الله عليه وآله فصلّى ركعتين ثمّ ناجى ربّه فنزل عليه جبرئيل فقال: يا محمّد صلى الله عليه وآله هذا شيطانٌ يقال له الزّها و هو الّذى ارى فاطمة عليها السلام هذه

الرّؤيا و يؤذى المؤمنين فى نومهم ما يغتمّون به، فأمر جبرئيل فجاء به الى رسول‌الله ﷺ فقال له: انت الّذى اريت فاطمة عليها السلام هذه الرّؤيا؟ـ فقال: نعم يا محمّد ﷺ.

فبزق عليه ثلاث بزقاتٍ قبيحة فى ثلاث مواضع ثمّ قال جبرئيل لمحمّدٍ ﷺ: يا محمّد اذا رأيت شيئاً فى منامك تكرهه او رأى احد من المؤمنين فليقل: اعوذبما عاذت به ملائكة الله المقرّبون و انبياء الله المرسلون و عباده الصّالحون من شرّ ما رأيت من رؤياى، و يقرء الحمد و المعوّذتين و قل هو الله احد و يتفل عن يساره ثلاث تفلاتٍ فانّه لايضرّه مارأى، فأنزل الله عزّ و جلّ على رسوله ﷺ: انّما النّجوى من الشّيطان (الاية).

و عنه ﷺ: اذ رأى الرّجل منكم مايكره فى منامه فليتحوّل عن شقّه الّذى كان عليه نائماً و ليقل: انّما النّجوى من الّشيطان ليحزن الّذين آمنوا و ليس بضارّهم شيئاً الّا باذن الله ثمّ ليقل: عذت بما عاذت به ملائكة الله المقرّبون و انبياؤه المرسلون و عباده الصّالحون من شرّ مارأيت و من شرّ الّشيطان الرّجيم، و المقصود من جميع تلك الايات منافقوا الامّة و ان كان النّزول فى غيرهم.

[يا اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا] لمّا اراد ان يأمرهم بادب من الاداب الّتى يكرهونها ناداهم تلطّفاً بهم و جبراناً لكلفة التّأدّب بما يكرهون.

[اِذٰا قيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى الْمَجٰالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ] الفسحة بالضّمّ الّسعة، فسح المكان ككرم و افسح و تفسّح و انفسح فهو فسيح و فسح له كمنع و تفسّح وسّع له.

[وَ اِذٰا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا] نشز من باب نصر و ضرب ارتفع فى مكانٍ و قرئ بهما.

قيل: كانوا يتنافسون فى مجلس النّبىّ ﷺ حتّى جاء جمع من البدريّين و كان النّبىّ ﷺ مكرماً لهم فقاموا بين يدى النّبىّ ﷺ و لم يكن لهم مجلس يجلسون فيه.

فقال النّبىّ ﷺ: يا فلان، يا فلان، يافلان، قوموا فقاموا، و كان ذلك شاقّاً على بعضٍ فنزلت يعنى اذا قيل لكم تفسّحوا فى المجالس يعنى لايضمّ بعضكم ببعض حتّى تتأذوا من حرارة الهواء و حرارة الانضمام.

و اذا قيل: وسّعوا فى المجالس بان تخلّو المن يأتى بعدكم مجلساً بان يضمّ بعضكم ببعضٍ حتّى يخلّى مجلس للاتى، او يقوم بعض عن مجلسه بعد زيارته للرّسول ﷺ و قضاء و طره حتّى يجلس فى مجلسه من يأتى بعده فافسحو، و ذكر الغاية المترتّبة على الامتثال تطييباً لنفوسهم.

فقال: يفسح الله لكم و لم يقيّده بالمجالس ايهاماً للتّعميم يعنى يفسح الله لكم فى المجالس و الارزاق و الصّدور فى الدّنيا و الاخرة. يفسح الله لكم و لم يقيّده بالمجالس ايهاماً للتّعميم يعنى يفسح الله لكم فى المجالس و الارزاق و الصّدور فى الدّنيا و الاخرة.

و اذا قيل :ارتفعوا و قوموا عن مجالسكم فقوموا و لاتغتمّوا بذلك [يَرْفَعِ اللّٰهُ الَّذِينَ اٰمَنُوا مِنْكُمْ] فى الدّنيا بحسن الصّيت و الاعزاز من الخلق و التّبسّط عليهم و فى الاخرة فى درجات الجنان.

[وَ الَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجٰاتٍ]خصّص المؤمنين برفع الدّرجات لانّ غير المؤمنين لادرجة و لا رفع درجة لهم لانّ اجر العمل مشروط بالايمان.

و خصّص العلماء من بينهم بالّذكر لشرفهم و علوّ درجاتهم بالنّسبة الى المؤمنين، فانّ فضل العالم على سائر النّاس كفضل النّبىّ ﷺ على سائر الخلق او كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، و الّشفعاء يوم القيامة ثلاثة: الانبياء عليهم السلام ثمّ العلماء ثمّ الّشهداء، ويوزن دماء الّشهداء مع مداد العلماء فيرجّح مداد العلماء على دماء الّشهداء.

[وَ اللهُ بِمٰاتَعْمَلُونَ] من امتثال اوامره و نواهيه و مخالفتهما [خَبيرٌ] ترغيبٌ و تهديدٌ.

[يٰا اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا اِذٰا نٰاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ يَجْوٰيكُمْ صَدَقَةً] لمّا كان هذا الادب مكروهاً لاكثر النّفوس صدّره بالنّداء.

اعلم، انّ المناجاة ههنا اعمّ من المسارّة و المحاورة و المسائلة الجهريّة و انّ المتحاورين اذا لم يكونا متناسبين لم تكن المحاورة بينهما مؤثّرة فى جانب الاخرة و لامورثة للتّوافق و لالنجح المسؤل.

فانّ المحاورة مع الرّسول ﷺ من حيث انّه رسول لاتكون الّا فى امور الاخرة و ينبغى ان تكون مقرّة اليها، و اذا لم تكن بين المناجى و الرّسول ﷺ مناسبة لم تكن مناجاته مؤثّرة و لامقرّبة الى الاخرة بل كانت مؤثّرة فى عكس المراد و مبعّدة من الاخرة و الرّسول ﷺ لانّه كما فى الخبر لايجلس اثنان الّا و يقومان بزيادةٍ او نقيصةٍ، الم يكن ابوجهل يحاور كثيراً الرّسول ﷺ و لم تكن محاورته مؤثّرة بل كانت مبعّدة.

فالرّبّ تعالى بكمال رأفته امر العباد بتقديم الصّدقّة الّتى هى كناية عن كسر الانانيّة الّتى هى ضدّ للرّسول ﷺ و مشّاقة له حتّى يوافق المناجى له بعض الموافقة فيتأثّر من محاورته على انّ فى التّصدّق بأمر الله تعالى

نفعاً للفقراء و مسّاً ليد الرّسول ﷺ و تعظيماً له و امتثالاً لامر الله تعالى و كسر الانانيّة الّتى هى شبكة الّشيطان و اعظم معصيةٍ للانسان و تمييزاً للمخلص عن غيره.

روى عن علىٍّ عليه السلام انّه قال فى كتاب الله لايةً ما عمل بها احد قبلى و لايعمل بها احد بعدى، آية النّجوى انّه كان لى دينار فبعته بعشرة دراهم فجعلت اقدّم بين يدى كلّ نجوى اناجيها النّبىّ ﷺ درهماً قال: فنسخها قوله اشفقتم (الى قوله) خبير بما تعملون.

[ذٰلِكَ] التّصدّق او التّناجى [خَيْرٌ لَكُمْ] لانّه ادخل فى النّجح و فى التّأثّر بمحاورة الرّسول ﷺ [وَ اَطْهَرُ] لانفسكم من رجس الانانيّة و حبّ المال و الرّغبة فى الدّنيا.

[فَاِنْ لَمْ تَجِدُوا] صدقة تقدّموها امام نجويكم فلايضّركم عدم التّقديم [فَاِنَ اللهَ غَفُورٌ] يغفر بفضله رجس انانيّاتكم و ان لم تتصدّقوا صدقة فيها كسرها [رَحِيمٌ] يرحمكم بنجح مسؤلكم و تأثّركم بمحاورة الرّسول ﷺ بدون التّصدّق.

[ءَاَشْفَقْتُمْ] على ما فى ايديكم و من الفقر و الحاجة [اَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْويٰكُمْ صَدَقٰاتٍ] جمع الصّدقات ههنا لملاحظة جمع المناجين، او للاشارة الى انّ فى الصّدقة الصّوريّة كسراً للانانيّة و هو صدقة من الانانيّة، و خشوعاً للقلب و هو تصدّق من القلب، و خضوعاً من الجسد و هو تصدّق منه، و توجّهاً من القوى الدّرّاكة الى الرّسول ﷺ و الى جهة الاخرة، و امتثالاً لامر الله و حركاتٍ من القوى العمّالة فى جهة الاخرة و هى تصدّقات منها.

[فَاِذْلَمْ تَفْعَلُوا] تقديم الصّدقات [وَ تٰابَ اللهُ عَلَيْكُمْ] بان رخّص

لكم فى تركه.

عن امير المؤمنين عليه السلام فى هذه الاية فهل تكون التّوبة الّا عن ذنبٍ [فَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ] جبراناً لتقصير ترك الصّدقة امام المناجاة فانّ الحسنات يذهبن السّيّئات فانّ فى الصّلوة توجّهاً الى الاخرة نحو التّوجّه فى التّصدّق، و فى الزّكوة كسراً للانانيّة مثل ما فى التّصدّق امام المناجاة.

[وَاَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ] فى سائر ما أمراكم به و نهياكم عنه [وَاللهُ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ] ترغيبٌ فى الامتثال و تهديدٌ من تركه.

[اَلَمْ تَرَاِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ] قيل المراد منهم قوم من المنافقين كانوا يوالون اليهود و يفشون اليهم اسرار المؤمنين و يجتمعون معهم على ذكر مساءة النّبىّ صلى الله عليه وآله و المؤمنين.

[مٰاهُمْ مِنْكُمْ] لعدم ايمانهم باطناً [وَلاٰمِنْهُمْ] لاقرار هم اللّسانىّ بالاسلام [وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ] اى على عدم مجالستهم لهؤلاء القوم، او عدم استماعهم الى ازدراء المؤمنين، او على قصد تقوية الدّين و الكلّ كذب منهم.

[وَهُمْ يَعْلَمُونَ] انّهم يحلفون على الكذب [اَعَدَّاللهُ لَهُمْ عَذٰابًا شَدِيدًا اِنَّهُمْ سٰاءَ مٰاكٰانُوا يَعْلَمُونَ اِتَّخَذُوا اَيْمٰانَهُمْ جُنَّةً] معنويّةً لدفع لوم المسلمين و حفظ عرضهم و مالهم من المسلمين بصورة الاسلام و من الكفّار بالمسلمين.

[فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ]بصدّقويهم عن طريق القلب و بتشكيك الضّعفاء من المسلمين و منع الرّاغبين فى الاسلام من الكافرين، او يتّخذا الغاصبون بحقّ آل‌محمّدٍ صلى الله عليه وآله ايمانهم عند المسلمين جنّة يدفعون بها ظنّ المسلمين بهم النّفاق و يدفعون بها لوم الّلائمين لهم على الانحراف،

فيصدّون خلقاً كثيراً عن سبيل الله هو الولاية و هو امير المؤمنين عليه السلام.

و قرئ ايمانهم بكسر الهمزة يعنى اتّخذوا صورة اسلامهم جنّةً يدفعون بها لوم المسلمين و معارضتهم و مقاتلتهم معهم و يدفعون بها معارضة الكفّار و مقاتلتهم معهم.

[فَلَهُمْ عَذٰابٌ مُهِينٌ لَنْ تُغْنِىَ عَنْهُمْ اَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰاَوْلاٰدُهُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا] من الاغناء او من عذاب الله [اُولٰئِكَ اَصْحٰابُ النّٰارِهُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ يَوْمَ يَبْعُثُهُمُ اللّٰهُ جَمِيعًا] ظرف لقوله تعالى لن تغنى او ليحلفون، على ان يكون الفاء زائدةً او بتقدير امّا اوتوهّمها.

[فَيَحْلِفُونَ لَهُ] اى لله فى القيامة [كَمٰا يَحْلِفُونَ لَكُمْ] فى الدّنيا [وَ يَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ عَلٰى شَىْءٍ] حيث يقولون انّما اردنا بذلك تقوية الدّين و نشر سنّة سيّد المرسلين صلّى الله عليه و آله و يحلفون لله ظنّاً منهم انّ هذا منهم كان حقّاً و انّ الله يقبل منهم بحلفهم.

[اَلاٰ اِنَّهُمْ هُمُ الْكٰاذِبُونَ] البالغون فى الكذب لانّ كذبهم مثل جهلهم مركّب لاعلاج له لانّهم اعتقدوا انّهم صادقون فلايمكن ارتداعهم من كذبهم.

اعلم، انّ كلّ من اتّصف بصفةٍ و طلب امراً يعتقد انّ اتّصافه بتلك الصّفة محمود مرضىّ لله و طلبه لذلك الامر المطلوب مرضىّ الّا من شذّ كما انّ علماء العامّة الّذين اردوا اصلاح الّدين و حفظه بالقياس و الرّأى و الظّنّ و الاستحسان الّتى ابتدعوها و ليس هذا الّا هدم الدّين و صدّ العباد عن الائمّة عليهم السلام و العلماء يحسبون انّهم مهتدون و انّهم مصلحون للدّين و للعباد، و انّ للمصيب منهم اجرين و للمخطى اجراً واحداً بل قال المصوبّة منهم ان لاخطاء فى آرائهم و انّ حكم الله تابع لارائهم و هكذا كان الحال فيهم الى

يومنا هذا.

[اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطٰانُ] استولى و غلب عليهم بحيث تمكّن منهم [فَأَنْسيٰهُمْ ذِكْرَ اللهِ] الفطرىّ او الاختيارىّ.

[اُولٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطٰانِ اَلٰا اِنَّ حِزْبَ الشَّيْطٰانِ هُمُ الْخٰاسِرُونَ] لاتلافهم بضاعتهم الّتى هى فطرتهم الانسانيّة و مدّة اعمارهم الّشريفة و اخذ العذاب المؤبّد عوضها و عوض النّعيم الابدىّ الّذى كان مقرّراً لفطرتهم و عوضاً لاعمارهم.

و قيل فى قوله يوم يبعثهم الله اذا كان يوم القيامة جمع الله الّذين غصبوا ال محمّد صلى الله عليه وآله حقّهم فيعرض عليهم اعمالهم فيحلفون له انّهم لم يعملوا منها شيئاً كما حلفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله فى الدّنيا حين حلفوا ان يردّوا الولاية فى بنى هاشم، و حين همّوا بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله فى العقبة فلمّا اطلع الله نبيّه صلى الله عليه وآله و اخبره حلفوا له انّهم لم يقولوا ذلك و لم يهمّوا به حين انزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله يحلفون بالله ما قالوا.

و لقد قالوا كلمة الكفر و همّوا بما لم ينالوا، و منقموا الّا ان اغناهم الله و رسوله صلى الله عليه وآله من فضله فاذا عرض الله عزّ و جلّ ذلك عليهم فى القيامة ينكرونه و يحلفون له كما حلفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله .

[اِنَّ الَّذينَ يُحٰادُّونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ] يغاضبونه او يناهضونه فى الحرب او يخالفونه [اُولٰئِكَ فِى الْاَذَلّينَ] فى جملة من هو اذلّ الخلق.

[كَتَبَ اللهُ] تعليلٌ للّسابق [لَاَغْلِبَنَّ] لمّا اجرى كتب مجرى القسم فى الاتيان به للتّأكيد أتى له بجوابٍ مثل جواب القسم [اَنَا وَ رُسُلي] فى الدّنيا بالحجّة و الدّين و على جنود الّشياطين الّذين كانوا فى مملكتهم و ان صاروا مغلوبين بحسب اجسامهم بعض الاحيان.

[اِنَّ اللهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ] تعليلٌ للّسابق [لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِيُوادُّونَ مِنْ حٰادَّ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كٰانُوا اٰبٰاءَهُمْ اَوْاَبْنٰاءَهُمْ اَوْ اِخْوٰانَهُمْ اَوْ عَشِيرَتَهُمْ] و ذلك لانّ نسبة الايمان الى صاحب الايمان اذا ظهرت و قويت غلبت على النّسب الجسمانيّة لانّ الانسان بالبيعة الخاصّة الولويّة و دخول الايمان و الصّورة الولويّة فى قلبه بالبيعة يصير فعليّته الاخيرة هى فعليّة الايمان و يكون الحكم لتلك الفعليّة لاللفعليّات الّسابقة الّتى هى كالمادّة و يكون محبّته ناشئةً عن تلك الفعليّة.

و تلك الفعليّة مضادّة لمن حادّ الله و رسوله فلايصير محبّته النّاشئة عن صورة ولىّ الامر متعلّقة بمن ضادّ تلك الفعليّة [اُولٰئِكَ كَتَبَ] اى كتب الله، و قرئ كتب مبنيّاً للمفعول اى ثبت و رسخ [فِي قُلُوبِهِمُ الْاِيمٰانَ] و هو الصّورة الدّاخلة فى قلوبهم من ولىّ امرهم.

[وَ اَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ] المقصود من الرّوح هو ربّ النّوع الانسانىّ و تأييده بالرّوح بان يوكّل عليه ملكاً من جنود هذه الرّوح يؤيّده و يسدّده به فانّ لقلب المؤمن اذنين اذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس و اذن ينفث فيها الملك الموكّل عليه من قبل ربّ النّوع.

و عن الكاظم عليه السلام انّ الله تبارك و تعالى ايّد المؤمن بروحٍ منه فتحضره فى كلّ وقت يحسن فيه و تبقى و تغيب عنه فى كلّ وقتٍ يذنب فيه و يعتدى فهى معه تهتزّ سروراً عند احسانه و تسيخ [١] فى الثّرى عند اساءته فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاح انفسكم تزداد و ايقيناً و تربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرءً همّ بخيرٍ فعمله و همّ بشرٍّ فارتدع عنه، ثمّ قال:

---

(١) ساخ يسيخ و يسوخ = دخل و غاب و رسخ و خسف.

نحن نؤيّد بالرّوح بالطّاعة لله و العمل له هذا في الدّنيا.

[وَ يُدْخِلُهُمْ جَنّاٰتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهاٰرُ] قد مضى بيان جريان الانهار من تحت الجنّات في آخر سورة آل عمران [خاٰلِدِينَ فِيهاٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُواعَنْهُ].

اعلم، انّ انفحّة الولاية الّتي تدخل قلوب المؤمنين كما انّها سبب انعقاد القلب على الايمان تكون مادّة رضوان الله عن عباده كما قال اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً.

و لمّا كان قبول الولاية بالبيعة الخاصّة مادّةً لرضوان الله لم يقدّم رضا العباد على رضاه كما قدّم ما للعباد في سائر الاوصاف على صفته مثل اذكروني اذكركم، و اوفوا بعهدي اوف بعهدكم و لئن شكرتم لازيدنّكم [اُولٰئِكَ حِزْبُ اللهِ اَلاٰ اِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ].

اعلم، انّ الانسان ان دخل الايمان الّذي هو صورة وليّ امره في قلبه بالبيعة مع وليّ امره و التّوبة على يده صار فعليّته الاخيرة فعليّة وليّ امره و وليّ امره من جند الله فيصير البائع بتلك البيعة بواسطة تلك الفعليّة من جند الله، و ينصر بوجوده و جنود مملكته و لسان قاله و حاله دين الله، و يقاتل بفطرته و باختياره مع جنود الّشيطان و يدعو عباد الله بوجوده و لسان حاله و قاله الى الله، و من تمكّن في الجهل و اتّباع الّشيطان صار من حزب الّشيطان و كان للّشيطان مثل من كان من حزب الله لله.

و من لم يدخل الايمان في قلبه و لم يتمكّن في اتّباع الّشيطان لايحكم عليه بشيءٍ من كونه من جنود الرّحمن او الّشيطان كما لايحكم عليه بالنّقمة او النّعمة بل كان مرجيً لامر الله الى الاعراف امّا يعذّبه و امّا يتوب عليه.

سُورَة الحشر

مدنيّة، اربع و عشرون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِى السَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِى الْاَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحُكِيمُ هُوَ الَّذى اَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتٰابِ مِنْ دِيٰارِهِمْ لِاَوَّلِ الْحَشْرِ]الحشر اخراج جمعٍ من مكانٍ الى آخر و المعنى اخرجهم فى اوّل حشر المؤمنين اليهم للقتال.

او فى اوّل حشرهم من حصونهم للقتال، او لاجل حشرهم الاوّل الى الّشام او الى خيبر و ثانى حشرهم الى القيامة او الى الّشام، او وقت ظهور القائم عليه السلام من الشّام، او فى القيامة من الشّام، او المعنى فى اوّل حشرٍ وجلاءٍ وقع فى زمان الرّسول صلى الله عليه وآله و بعده وقع جلاءٌ و حشرٌ لغيرهم على يد الرّسول صلى الله عليه وآله .

[مٰا ظَنَنْتُمْ اَنْ يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا اَنَّهُمْ مٰا نِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللّٰهِ] اى من بأس الله [فَأَ تيٰهُمُ اللّٰهُ] اى أتاهم عذابه او بأسه او خليفته.

[مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا] لقوّة وثوقهم و اعتمادهم على حصونهم فأتاهم بأس الله فى حصونهم، عن القمّىّ سبب ذلك انّه كان بالمدينة ثلاثة ابطن من اليهود، بنى النّضير و قريظة و قينقاع و كان بينهم و بين رسول‌الله صلى الله عليه وآله عهد و مدّة فنقضوا عهدهم و كان سبب ذلك بنى النّضير و ذلك انّه اتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله يستسلفهم دية رجلين قتلهما رجلٌ من اصحابه غليةً يعنى يستقرض، و كان صلى الله عليه وآله قصد كعب بن الاشرف فلمّا دخل

على كعبٍ قال: مرحباً يا اباالقاسم و اهلاً وقام كأنّه يصنع له الطّعام و حدّث نفسه ان يقتل رسول الله صلى الله عليه وآله و يتبع اصحابه، فنزل جبرئيل فأخبره بذلك فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة و قال لمحمّد بن مسلمة الانصاريّ:

اذهب الى بنى النّضير فأخبرهم انّ الله تعالى أخبرنى بماهممتم به من الغدر فامّا ان تخرجوا من بلدنا و امّا ان تأذنوا بحربٍ.

فقالوا: نخرج من بلادك فبعث اليهم عبدالله بن أُبيٍّ: الّا تخرجوا و تقيموا و تنابذوا محمّداً الحرب فانّى انصركم و انا و قومى و حلفائى.

فان خرجتم خرجت معكم و ان قاتلتم قاتلت معكم، فأقاموا و أصلحوا حصونهم و تهيّؤا للقتال و بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله انّا لانخرج فاصنع ما انت صانع.

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله و كبّر وكبّر اصحابه و قال امير المؤمنين عليه السلام: تقدّم الى بنى النّضير فأخذ امير المؤمنين عليه السلام الرّاية و تقدّم و جاء رسول‌الله صلى الله عليه وآله و احاط بحصنهم و غدربهم عبدالله بن ابيٍّ و كان رسول‌الله صلى الله عليه وآله اذا ظهر بمقدّم بيوتهم حصّنوا مايليهم و خرّبوا مايليه، و كان الرّجل منهم ممّن كان له بيت حسن خرّبه و قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله امر بقطع نخلهم فجزعوا من ذلك.

و قالوا: يا محمّد صلى الله عليه وآله انّ الله يأمرك بالفساد؟! ان كان لك هذا فخذه، و ان كان لنا فلاتقطعه. فلمّا كان بعد ذلك قالوا: يا محمّد صلى الله عليه وآله نخرج من بلادك فأعطنا مالنا. فقال: لا، و لكن تخرجون و لكم ما حملت الابل.

فلم يقبلوا ذلك، فبقوا ايّاماً ثمّ قالوا: نخرج و لنا ما حملت الابل، فقال: لا، و لكن تخرجون و لايحمل حدٌ منكم شيئاً فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك

قتلناه، فخرجوا على ذلك و وقع قومٌ منهم الى فدك و وادى القرى، و خرج قوم منهم الى الّشام.

و قيل: لمّا غزا رسول الله ﷺ غزاة بدرٍ قال بنوالنّضير: هذا هو النّبىّ الموعود انّه لاتردّ له راية، فلمّا غزاغراة احدٍ و هزم المسلمون ارتابوا، و كان بينهم و بين محمّدٍ ﷺ عهد فنقضوا العهد وركب كعب بن الاشرف فى اربعين راكباً منهم الى مكّة.

فأتوا قريشاً و اباسفيان و حالفوا على ان يكون كلمتهم واحدةً على محمّد ﷺ، فأخبر الله تعالى رسوله ﷺ بذلك.

فلمّا ورد كعب بن الاشرف امر الله رسوله ﷺ بقتل كعب بن الاشرف فأمر محمّدبن مسلمة و كان اخاكعب من الرّضا بقتله فخرج محمّد و معه اربعة رجال و ذهب الى قرب قصره و اجلس قومه عند جدارٍ و ناداه: يا كعب، فانتبه، و قال: من انت؟

ـ قال: انا محمّد بن مسلمة اخوك، جئتك استقرض منك دراهم فانّ محمّداً ﷺ يسألنا الصّدقة و ليس معنا الدّراهم فقال: لااقرضك الّا بالرّهن، قال: معى رهنٌ انزل فخذه، و كانت له امرأة بنى بها تلك اللّيلة.

فقالت: لاادعك تنزل لانّى ارى حمرة الدّم فى ذلك الصّوت فلم يلتفت اليها فخرج، و عانقه محمّد بن مسلمة و هما يتحادثان حتّى تباعدا من القصر الى الصّحراء، ثمّ أخذ رأسه و دعا بقومه و صاح كعب فسمعت امرأته و صاحت و سمع بنوالنّضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلاً.

و رجع القوم سالمين الى رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بحربهم.

قيل: كان اجلاء بنى النّضير مرجع النّبىّ ﷺ من اُحدٍ و كان فتح

قريظة مرجعه من الاحزاب، و بينهما سنتان.

و قيل: كان اجلاء بنى النضيّر قبل اُحدٍ على رأس ستّة اشهر من وقعة بدر، و قيل: كان ذلك بعد الحديبيّة، و اليه اشار المولوىّ قدّس سرّه بقوله:

وقت وا گشت حديبيّه رسول
در تفكّر بود و غمگين و ملول

ناگهان اندر حق شمع رسل
دولت انّا فتحنا زد دهل

آمدش پيغام از دولت كه رو
تو زمنع اين ظفر غمگين مشو

كاندر اين خوارى به‌نقدت فتحهاست
نك فلان قلعه فلان قلعه تراست

بنگر آخر چونكه وا گرديد تفت
برقريظه و بر نضير از وى چه رفت

[وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِاَيْدِيهِمْ] كانت بنو النّضير يخربون بيوتهم بأيديهم ضنّةً بها على المسلمين و اخراجاً لالاته النّفيسة و توسعةً للقتال و مجالة مع المسلمين و تحصّناً باطرافها الّتى تليهم بجمع الات الاطراف الّتى تلى المسلمين فى الاطراف الّتى تليهم.

[وَ اَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ] فانّ المؤمنين ايضاً كانوا يخربون الاطراف الّتى تليهم من بيوتهم لتوسعة القتال و امكان الوصول اليهم، و لمّا كانوا سبباً لقتال المسلمين بنقض العهد نسب الاخراب بايدى المؤمنين اليهم، و قرئ يخرّبون بتشديد الرّاء.

[فَاعْتَبِرُوا يا اُولِى الْاَبْصارِ] فاتّعظوا بحالهم فانّ الاعتبار عبارة عن ان ينظر الرّجل الى امرٍ حسنٍ او الى امرٍ قبيحٍ و ان ينظر الى عاقبته و ما يترتّب عليه ثمّ عطف النّظر الى نفسه فارتدع عن القبيح و رغب فى الحسن، و تمسّك بعض من اعتبر القياس بمثل هذه الاية و لايخفى عدم دلالتها على اعتبار القياس.

[وَ لَوْلا اَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيا] مثل بنى قريظة [وَ لَهُمْ فِى الْاٰخِرَةِ عَذابُ النّارِ] يعنى انّ عذاب النّار ثابت لهم فى الاخرة و ان لم يعذّبوا فى الدّنيا.

[ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ شاقُّوا اللهَ وَ رَسُولَهُ] عاندوا الله و رسوله صلى الله عليه وآله و نبذوا عهده [وَ مَنْ يُشاقِّ اللهَ فَاِنَّ اللهَ شَديدُ الْعِقابِ] فى الدّنيا و الاخرة يعنى يعاقبه بشدّة العقوبة لانّ الله شديد العقاب.

[ما قَطَعْتُمْ مِنْ لينَةٍ] اللّينة اردء التّمر، او ما كان اجناساً غير معروفة، و نسب الى الصّادق عليه السلام انّه قال: يعنى العجوة و هى امّ التّمر و هى الّتى انزلها الله من الجنّة لادم عليه السلام.

[اَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى اُصُولِها فَبِاِذْنِ اللهِ] جواب عمّا قالوا: يا محمّد انّ الله يأمرك بالفساد؟!

حين قطع النّخل [وَ لِيُخْزِىَ الْفاسِقينَ] بغيظهم و حسرتهم على قطع نخيلهم فى حضورهم [وَ ما اَفاءَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ] اى ردّه اليه.

اعلم، انّ تمام ما سوى الله مملوك للحقّ تعالى شأنه نحو مملوكيّة القوى العّلامة و العمّالة للنّفس الانسانيّة بل نحو مملوكيّة الصّور الذّهنيّة للنّفس الانسانيّة و انّ الانسان كلّما رقى مرتبة من المراتب الانسانيّة كان

المرتبة الدّانية فى عين مملوكيّته خليفة للمرتبّة العالية مثلاً اذا عرج الانسان عن مقام النّفس الى مقام القلب صار مقام النّفس مملوكاً للقلب و خليفة له فى التّصرّف فى القوى، و صار القوى كما انّها مملوكة للقلب مملوكة للنّفس بعد القلب و هكذا.

و انّ الله تعالى مالك لجميع ما سواه و بعده تعالى العقول مالكةٌ لمادونها، و بعدها النّفوس الكلّيّة مالكة، و بعدها النّفوس الجزئيّة مالكة، هذا فى النّزول، و امّا فى الصّعود و هو مختصّ بالانسان.

فاذا استكمل الانسان و اتّصل بعالم الملأ الاعلى صار مالكاً لمادونه و خليفة لله فيما دونه فكلّما فى عالم الطّبع فهولله، و ما كان لله فهو لرسوله صلى الله عليه وآله، و ما كان لرسوله صلى الله عليه وآله فهو للائمّة عليهم السلام، و مان كان للائمّة عليهم السلام فهو مباح لشيعتهم كما قال تعالى: قل هى للّذين آمنوا فى الحيوة الّدنيا خالصة يوم القيامة، و ما كان فى ايدى الاغبار فهو مغصوب فى ايديهم، و ما اخذه الرّسول صلى الله عليه وآله و الائمّة عليهم السلام و المؤمنون منهم فهو حقّهم الّذى كان مأخوذاً منهم غصباً و صار عائداً الى اهله الّذين كانوا مالكين له و لذلك سمّى فيئاً.

[فَمٰا اَوْ جَفْتُمْ عَلَيْهِ] وجف يجف اضطرب، و الوجيف ضرب من سير الخيل و الابل [مِنْ خَيْلٍ وَ لٰارِكٰابٍ] الخيل جماعة الافراس لاواحد له، او واحده الخائل، و يطلق على جماعة الفرسان، و الّركاب ككتاب الابل واحدتها الرّاحلة.

قيل: نزلت هذه الاية فى غنائم بنى النّضير و الاية الاتية فى سائر اموال الكفّار الّتى يفيئها الله على رسوله صلى الله عليه وآله.

و قيل: كلتاهما نزلتا فى غنائم بنى قريظة و بنى النّضير كانوا يقرب

المدينة فمشوا الى قراهم سوى الرّسول ﷺ فانّه ركب حماراً او جملاً و لم يجر مزيد قتال و لذلك لم يعط الانصار منها شيئاً الّا رجلين او ثلاثةً و فى غنائم خيبر و فدكٍ، و قرى عَرُيْنه و ينبع، و الاية الاولى لبيان عدم استحقاق المقاتلين بحقّ المقاتلة، و الاية الثّانيّة لبيان المصرف.

[وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مٰا اَفٰاءَ اللّٰهُ عَلٰى رَسُولِهِ مِنْ اَهْلِ الْقُرٰى فَلِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبٰى] اى ذى قربى الرّسول ﷺ.

[وَ الْيَتٰامٰى وَ الْمَسٰاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ] من قرابات الرّسول ﷺ و قد خصّص فى الاخبار كلّ ذلك باقرباء الرّسول ﷺ [كَيْلٰا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْاَغْنِيٰاءِ مِنْكُمْ] الدّولة بالفتح و الضّمّ المال الّذى يتداولونه بينهم، او بالضّمّ فى المال، و بالفتح فى الحرب، او بالضّمّ فى الاخرة، و بالفتح فى الدّنيا، كذا فى القاموس.

[وَ مٰاآتٰيكُمُ الرَّسُولُ] اى ما اعطاكم من غنائم بنى النّضير، او من مطلق الغنائم، او من مطلق الاموال و الاوامر [فَخُذُوهُ وَ مٰانَهٰيكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللّٰهَ] فى مخالفة الرّسول ﷺ.

[اِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقٰابِ] عن الصّادق عليه السلام انّ الله عزّ و جلّ ادّب رسوله ﷺ حتّى قومه على ما اراد ثمّ فوّض اليه فقال عزّ ذكره: ما آتاكم الرّسول فخذوه و مانهاكم عنه فانتهوا، فما فوّض الله الى رسوله ﷺ فقد فوّضه الينا، و الاخبار فى تفويض امر العباد الى رسول الله ﷺ كثيرة و انّه صلّى الله عليه و آله احلّ و حرّم اشياء فأجازه الله تعالى ذلك له.

[لِلْفُقَرٰاءِ الْمُهٰاجِرِينَ] بدل من قوله لذى القربى، او بدل من مجموع قوله

لله و للّرسول و يكون ابداله بالنّسبة الى الله و رسوله نحو بدل الاشتمال.

و بالنّسبة الى ذى القربى و ما بعده نحو بدل الكلّ من الكلّ و المراد بالمهاجرين من هاجر من مكّة او من سائر بلاد الكفر الى المدينة او من هاجر السّيّئات الى الحسنات، او من هاجر من دار النّفس الامّارة الى دار النّفس اللّوامة، و منها الى النّفس المطمئنّة اللّتين هما دار الاسلام، و منها الى القلب الّذى هو دار الايمان.

[اَلَّذِينَ اُخْرِجُوا] صفة للفقراء او ابتداء كلام و مبتدأٌ و يتبغون خبره، او اولئك هم الّصادقون خبره و الجملة فى مقام التّعليل، و وضع الظّاهر موضع المضمر ليكون بعقد الوضع دالّاً على علّة الحكم ايضاً و المقصود انّهم اخرجهم الكفّار من مكّة او من سائر بلادهم، او اخرجهم الملائكة من بلاد الكفر، او من مراتب نفوسهم.

و قال: اخرجوا دون خرجوا للاشعار بانّ الخارج من وطنه او من مقام الى مقام ان لم يكن بحسب الظّاهر له مخرجٌ فهو خارج بمخرجٍ باطنّىٍ و ليس خارجاً بنفسه فيكون خروجه نعمة من ربّه.

[مِنْ دِيٰارِهِمْ وَ اَمْوٰالِهِمْ يَبْتَغُونَ] فى ذلك الخروج [فَضْلاً مِنَ اللهِ وَ رِضْوٰانًا] الفضل كما تكرّر ذكره النّعم الصّوريّة و الرّسالة و احكامها و قبولها، و الرّضوان الولاية و آثارها و قبولها.

[وَ يَنْصُرُونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ اُولٰئِكَ هُمُ الصّٰادِقُونَ وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُ الدّٰارَ] عطف على الفقراء المهاجرين او على المهاجرين او على الّذين اخرجوا او مبتدء و خبره يحبّون من هاجر اليهم و الجملة معطوفة على سابقتها و المعنى الّذين اقاموا فى دورهم و هم الانصار الّذين لم يكن لهم ان يخرجوا

لهجرةالرّسول صلى الله عليه وآله اليهم.

[وَ الْايمٰانَ] يعنى اقاموا فى الايمان فانّ الاوصاف كثيراً يحكم عليها بحكم الظّروف [مِنْ قَبْلِهِمْ] اى من قبل المهاجرين فيكون المراد الّذين آمنوا بمكّة ثمّ رجعوا الى المدينة و انتظروا قدوم محمّدٍ صلى الله عليه وآله، او المعنى تبوّأ و الدّار و الايمان من قبل هجرة المهاجرين.

[يُحِبُّونَ مَنْ هٰاجَرَ اِلَيْهِمْ] من المؤمنين المهاجرين لانّهم احسنوا الى المهاجرين و اسكنوهم دورهم و اشركوهم فى اموالهم.

[وَ لاٰيَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حٰاجَةً مِمّٰا اُوتُوا] اى المهاجرون اى لايجد الّذين تبوّأ و الدّار فى انفسهم حسداً او غيظاً لازماً للحاجة و الفقر ناشئاً ممّا اوتى المهاجرون، او من اجل ما اوتى المهاجرون من غنائم اهل القرى او غنائم بنى النّضير.

او ممّا اوتوا من الفضل الصّورىّ و المعنوىّ لتسليمهم لقسم الله و توكّلهم على الله و رضاهم بما آتى الله العباد من الفضل الصّورىّ و المعنوىّ، او لايجدون فى صدورهم حاجة فى شىءٍ من الاشياء لاجل ما اوتوا من قوّة اليقين و قوّة التّوكّل و استغناء القلب فيكون حينئذٍ مرفوع اوتوا راجعاً الى الّذين تبوؤ الّدار.

[وَ يُؤْثِرُونَ] المؤمنين المهاجرين [عَلٰى اَنْفُسِهِمْ] بان يقدّموا المؤمنين فى حظوظهم النّفسانيّة و فى افضال الله بحسب الظّاهر و الباطن [وَ لَوْ كٰانَ بِهِمْ خَصٰاصَةٌ] فقر و حاجة.

[وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ] يعنى من حفظه الله من شحّ نفسه و الّشحيح ابلغ من البخيل فانّ البخيل من يبخل بما فى يده و لايطيه

لمستحقّه، و الّشحيح من يبخل بمال الغير بمعنى انّه يريد ان يكون ما فى يد الغير له و يحتال فى اخذ ما فى يد الغير بالحلال او الحرام، و قيل: شحّ النّفس هو اخذ الحرام و منع الزّكوة.

[فَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]روى انّه جاء رجل الى رسول الله ﷺ فشكى اليه الجوع فبعث رسول الله ﷺ الى بيوت ازواجه فقلن: ما عندنا الّا الماء، فقال رسول الله ﷺ: من لهذا الرّجل اللّيلة؟

ـ فقال علىّ بن ابى طالب عليه السلام: اناله يا رسول الله ﷺ، و أتى فاطمة عليها السلام فقال لها: ما عندك يا ابنة رسول الله؟

فقالت: ما عندنا الّا قوت العشيّة لكنّا نؤثر ضيفنا، فقال يا ابنة محمّدٍ ﷺ نوّمى الصّبية و اطفئ المصباح، فلمّا اصبح علىّ عليه السلام غدا على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فلم يبرح حتّى انزل عزّ و جلّ: و يؤثرون على انفسهم (الاية).

و قيل: انّه اهدى لبعض الصّحابة رأسٌ مشوىّ و كان مجهوداً فوجّه به الى جارٍ له فتداولته تسعة ثمّ عاد الى الاوّل فنزل: و يؤثرون على انفسهم.

و قيل: قال رسول الله ﷺ يوم بنى النّضير للانصار: ان شئتم قسّمتم للمهاجرين من اموالكم و دياركم و تشاركونهم فى هذه الغنيمة، و ان شئتم كانت لكم دياركم و اموالكم و لم يقسّم لكم شىءٌ من الغنيمة فقال الانصار: بل نقسّم لهم من اموالنا و ديارنا و نؤثرهم بالغنيمة و لانشاركهم فيها، فنزلت الاية، و قيل: نزلت فى سبعةٍ عطشوا فى يوم اُحدٍ فجيئ بماءٍ يكفى لاحدهم فقال واحد منهم: ناول فلاناً حتّى طيف على سبعتهم و ماتوا و لم يشرب احد منهم، فأثنى الله سبحانه عليهم بهذه الاية.

[وَ الَّذِينَ جٰاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ] عطف على المهاجرين، او على الفقراء، او على من هاجر اليهم عطف المفرد، او مبتدأٌ و خبره يقولون و المعنى الّذين يجيئون من بعد المهاجرين من مكّة او من سائر البلاد، او الّذين يجيئون من بعد المهاجرين و الانصار من سائر المؤمنين من العدم الى الوجود.

[يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوٰانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونٰا بِالْايمٰانِ] اى سبقونا فى رتبة الايمان او سبقونا فى اصل الايمان و التّوصيف به لبيان وجه الاخوّة و انّها اخوة فى الدّين.

[وَ لاٰ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنٰا غِلاًّ] اى حقداً [لِلَّذِينَ اٰمَنُوا رَبَّنٰا اِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ] تجيب عبادك برأفتك [اَلَمْ تَرَ] يا محمّد ﷺ او من يمكنه الرّؤية [اِلَى الَّذِينَ نٰافَقُوا] و هو عبدالله بن اُبيٍّ [يَقُولُونَ لِاِخْوٰانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتٰابِ] يعنى بنى النّضير.

[لَئِنْ اُخْرِجْتُمْ] من دياركم [لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لاٰ نُطِيعُ فيكُمْ اَحَدًا اَبَدًا] يعنى لانطيع محمّداً ﷺ و اصحابه فى القتال معكم.

[وَ اِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللهُ يَشْهَدُ اِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ لَئِنْ اُخْرِجُوا لاٰ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لاٰ يَنْصُرُونَهُمْ] و كان كذلك حيث وعدهم ابن اُبيٍّ ثمّ تخلّف كما مضى [وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ] قضيّة فرضيّة فانّه لم يقع منهم نصرٌ لهم.

[لَيُوَلُّنَّ الْاَدْبٰارَ ثُمَّ لاٰ يُنْصَرُونَ لَاَنْتُمْ اَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ] لانّهم لايخافون من الله و يخالفونه و يخافون منكم و يوافقونكم.

[ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ يَفْقَهُونَ] لايعلمون علماً دينيّاً اخرويّاً و كان ادراكاتهم محصورةً على ظاهر الدّنيا و لذلك لايخافون من الله و يخافون منكم

[لَا يُقَاتِلُونَكُمْ] ايها المؤمنون [جَمِيعًا] اى المنافقون واليهود اذا اجتمعوا لايقاتلونكم.

[اِلّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ] لخوفهم منكم و هذه تجرئة للمؤمنين [اَوْ مِنْ وَرٰاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ] ولكن لالقاء الرّعب فى قلوبهم لايجترئون على مقاتلتكم لالضعفٍ و جبن فيهم.

[تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَ قُلُوبُهُمْ شَتّىٰ] كما انّ هذا شأن جميع اهل الدّنيا تكون ابدانهم مجتمعةً و قلوبهم متفرّقةً [ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ] لاعقل لهم، او لايدركون بعقولهم، او لايتعقّلون ما فيه صلاحهم.

[كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبلِهِمْ] متعلّق بواحدٍ من الافعال الّسابقة، او خبر مبتدءٍ محذوفٍ و التّقدير مثلهم فى ذلك كمثل الّذين من قبلهم و المراد بمن قبلهم بنوقينقاعٍ، او الّذين قتلوا ببدرٍ او كلّ ابناء الدّنيا.

فانّ من كل من اهل الدّنيا حاله ان لايفى بوعده ان لم يكن فى الوفاء نفعه الدّنيوىّ و كان من يشاهدونهم اشدّ رهبة فى صدورهم ممّن لايشاهدونه و تحسبهم جميعاً و قلوبهم شتّى.

قيل: انّ بنى قينقاعٍ نقضوا العهد وقت رجوع رسول الله ﷺ من بدرٍ فأمرهم رسول الله ﷺ ان يخرجوا قال عبدالله بن اُبيٍّ: لاتخرجوا فانّى اتى الى النّبىّ ﷺ فاكلّمه فيكم او ادخل معكم الحصن، فكان هؤلاء ايضاً مغترّين بارسال عبدالله بن اُبيٍّ ثمّ ترك نصرتهم.

[قَرِيبًا] اى حالكونهم قريباً منكم او زماناً قريباً [ذٰاقُوا وَ بٰالَ اَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ اَلِيمٌ] فى الاخرة [كَمَثَلِ الشَّيْطٰانِ] متعلّق بقوله تعالى: من قبلهم، او بذاقوا او بقوله لهم فى لهم عذابٌ اليمٌ، او خبر مبتدءٍ محذوفٍ و التّقدير

مثل عبدالله بن اُبيٍّ فی غزوه بنی النّضير و بنی قينقاع كمثل الّشيطان.

[اِذْقٰالَ لِلْاِنْسٰانِ اكْفُرْ] قولاً فعليّاً او قولاً نفسانيّاً [فَلَمّٰا كَفَرَ قٰالَ اِنّي بَرِیءٌ مِنْكَ اِنّي اَخٰافُ اللّٰهَ رَبَّ الْعٰالَمينَ] الاتيان بالماضی للاشعار بانّ المراد بذلك القول و هذا الانسان قولٌ شخصیٌّ و انسان مشخّص لاالقول النّوعیّ و الانسان الجنسیّ، و الّا كان المناسب ان يقول كمثل الّشيطان يقول للانسان علی الاستمرارا كفر، و لعلّه اشارة الی تمثّله بصورة سراقة و اغراء المشركين علی محمّدٍ ﷺ ببدرٍ.

و قيل: انّه اشارة الی عابد بنی اسرائيل كان اسمه بر صيصا، عبدالله زماناً من الدّهر حتّی بلغ من عبادته الی ان يؤتی بالمجانين اليه و كان يداويهم و يعوذّهم، فيبرؤن، و أتی بامرأةٍ كانت فی شرف فی اهلها قد جنّت و كان لها اخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الّشيطان حتّی وقع عليها فحملت فلمّا استبان حملها قتلها و دفنها.

فذهب الّشيطان فقال لاخوتها واحداً واحداً، فجعل الرّجعل يلقی اخاه فيقول: و الله لقد أتانی آتٍ فذكرلی شيئاً يكبر علیّ ذكره، فذكر بعضهم لبعضٍ حتّی بلغ ذلك ملكهم، فسار الملك و النّاس فاستذلّوه فاقرّ لهم بما فعل، فأمر به فصلب.

فلمّا رفع علی خشبته تمثّل له الشّيطان فقال: انا الّذی القتيك فی هذا فهل انت مطيعی فما اقول لك اخلّصك ممّا انت فيه؟ـ قال: نعم، قال: اسجد لی سجدةً واحدةً فقال: كيف اسجد لك و انا علی هذه الحالة؟

ـ فقال: اكتفی منك بالايماء، فأومی له بالّسجود فكفر بالله و قتل الرّجل [فَكٰانَ عٰاقِبَتَهُمٰا] ای الّشيطان و الانسان الكافر بقوله او عاقبة

الفريقين من الممثّل له و الممثّل به.

[اَنَّهُما فِی النّارِ خالِدِينَ فيها وَ ذٰلِكَ جَزاءُ الظّالِمينَ يا اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا] بالبيعة الاسلاميّة [اتَّقُوا اللّٰهَ] فی ارتكاب المناهی و ترك الاوامر القالبيّة، او اتّقوا الله فی نقض البيعة و نقض العد كعبدالله بن اُبیٍّ و بنی النّضير و بنی قينقاعٍ، او اتّقوا الله فی شوب الاعمال القالبيّة بالاغراض النّفسانيّة المباحة او الغير المباحة.

او المعنى يا ايّها الّذين آمنوا بالبيعة الايمانيّة الولويّة اتّقوا الله فی الانحراف عن طريق القلب او اتّقوا الله فی نسيان الّذكر المأخوذ، او فی نسيان الله فی جميع اعمالكم.

او المعنى يا ايّها الّذين آمنوا بالايمان الّشهودیّ بشهود ملكوت ولیّ الأمر و نزول الّسكينة و الحضور عند ولیّ امركم اتّقوا الله فی الالتفات الی غير ولیّ امركم و الالتذاذ بغير شهود جماله.

فانّه ضيف عزيز غيور اذا نظرتم الی غيره او انصرفتم الی لذّة غير لذّة شهود جماله لم يقم فی بيوت قلوبكم و بقی لكم حسرة فراقه و ندامته، او اتّقوا الله فی نسبة الافعال و الصّفات الی انفسكم حين حضوركم عند ولیّ امركم.

[وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ] نكّر النّفس مع انّ المراد و لتنظر كلّ نفسٍ ما قدّمت لغدٍ لايهام انّه اذا نظر نفسٌ واحدةٌ من المؤمنين الی اعماله يكفی عن سائر المؤمنين لاتّحادٍ بينهم.

او للاشارة ای انّهم نفس واحدة و ان كان ابدانهم متعدّدة لانّ فعليّتهم الاخيرة هی صورة ولیّ امرهم النّازلة اليهم بالبيعة و قبول الولاية.

فعلی هذا يكون المعنی: و لتنظر نفسٌ عظيمةٌ هی صورة ولیّ امرهم

و هی فعليّتهم الاخيرة ما قدّمت لغدٍ، و يكون فيه اشارة الى انّ من ينظر الى اعماله الاخرويّة فلينظر بالفعليّة الاخيرة الّتی هی فعليّة الولاية حتّى يمكنه ان يميّزبين صحيحها و فاسدها مشوبها و خالصها، مدّخرها لغده و راجعها الى النّفس و العاجل.

فانّ هذا التّميز امر صعب لايحصل الّا للنّاقد البصير المخلَص، او للاشارة الى انّ نفس ولیّ امرهم نفسيّة الكلّ و المعنی و لتنظر نفسٌ عظيمةٌ ما قدّمت لغدٍ بنفسها فانّ نظرها الى ما قدّمت هی يكفی عن نظر المؤمنين.

او لتنظر نفس ولیّ الامر ما قدّمت لغدٍ ای ما قدّمت اتباعها لغدٍ مع انّ المراد ما قدّمت للقيامة للاشارة الى قربها، و لانّ المراتب الطّوليّة كالايّام العرضيّة كلٌّ يجیء بعقب الاخرى و كلٌّ يخلف الاخرى و لانّ المراتب الطّوليّة كلٌّ بالنّسبة الى الاخرى يومٌ وليلٌ باعتبارين كما سبق مكرّراً، ونكّر الغد لتفخيمة و للاشارة الى انّه لايمكن تعريفه للمحجوبين بحجاب المادّة، و لفظة مانافية.

و الجملة صفةٌ لنفسٍ، او معلّق عنها العامل، او استفهاميّة و معلّق عنها العامل، او موصولة و مفعول لتنظر.

[وَ اتَّقُوا اللّٰهَ]تأكيد لقوله اتّقوا الله او النّظر منه الى مرتبةٍ اخرى من التّقوى فانّ للتّقوى كمامرّ فی اوّل البقرة و اشرنا اليه ههنا مراتب عديدة مترتّبة، او المقصود منه ان تتّقوا الله بعد ما نظرتم الى اعمالكم الاخرويّة و ميّزتم سقيمها عن سليمها و مشوبها عن خالصها فی ان تفسدوها بالاغراض النّفسانيّة.

او تشوبوها بالانتفاعات النّفسيّة و لو كانت تلك الانتفاعات القرب من الله او رضاه او المقامات الاخرويّة.

[اِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ] فيميز المشوب عن الخالص فهو تأكيد للتّقوى و تعليل للامربها[وَ لٰا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللّٰهَ] مطلقاً فلايعملون لغدٍ، او لاتكونوا كالّذين نسواالله فيما يعملون للاخرة فيجعلونها للدّنيا من حيث لايشعرون.

[فَأَنْسيٰهُمْ اَنْفُسَهُمْ] الّتى هى جهاتهم الالهيّة و لطيفتهم الانسانيّة فانّها ذواتهم و انفسهم الانسانيّة، و بنسيان انفسهم ينسون ما ينفعها فلايفعلون ما يفعلون الّا لانفسهم الحيوانيّة لالانفسهم.

فانّها ذواتهم و انفسهم فى الاخرة من الاخسرين اعمالاً الّذين ضلّ سعيهم فى الحيوة الدّنيا و هم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً، او فأنسيهم امامهم الّذى هو نفسيّة انفسهم و بنسيان الامام لايكون للانسان الّا الوبال و الخسران [اُولٰئِكَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ] تعليلٌ للّسابق.

[لٰا يَسْتَوِى اَصْحٰابُ النّٰارِ وَ اَصْحٰابُ الْجَنَّةِ] فى مقام التّعليل كانّه قال: نهيناكم عن المماثلة معهم لانّه لايستوى فى القيامة النّاسون لانفسهم و المتّقون لان النّاسين اصحاب النّار و المتّقين اصحاب الجنّة لكنّه عدل عن المضمر الى هذا الظّاهر لافادة انّهم اصحاب النّار و انّ المتّقين اصحاب الجنّة، و للاشارة الى علّة عدم الاستواء.

[اَصْحٰابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفٰائِزُونَ] و يستفاد من حصر الفوز باصحاب الجنّة بقرينة المقابلة انّ اصحاب النّارهم الخاسرون المعذّبون.

[اَوْ اَنْزَلْنٰا هٰذَا الْقُرْاٰنَ عَلٰى جَبَلٍ] مع صلابته و عظمته.

[لَرَأَيْتَهُ خٰاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ]و قد انزلناه عليكم و انتم ضعفاء ليّنون و ما خشعتم و ما تصدّعتم من خشية الله، و هذه قضيّة فرضيّة

و تعريض ببنى آدم.

[وَ تِلْكَ الْاَمْثالُ] الفرضيّة [نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] فى احوالهم و ينظرون الى قساوتهم و يتدبّرون فى تليين قلوبهم [هُوَ اللهُ الَّذى لااِلٰهَ اِلّا هُوَ] كلامٌ منقطعٌ عن سابقه و المنظور اثبات التّوحيد الّذى هو المنظور من كلّ منظورٍ و مبدء كلّ مبدءٍ و غاية كلّ غاية و الثّناء عليه و تعداد محامده.

[عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ] اى عالم بماغاب عن الخلق و بما كان مشهوداً لهم، او عالمٌ بعالم الغيب و عالم الشّهادة [هُوَ الرَّحْمٰنُ] المفيض للوجودات و للكمالات الاوّليّة على الموجودات.

[الرَّحيمُ] المفيض للكمالات الثّانويّة عليها، او الرّحمن هو المفيض لاصل الوجود و جميع كمالاته على الاشياء و المفيض للوجود و كمالاته الاولويّة على الانسان، و الرّحيم هو المفيض للكمالات الثّانيّة على الانسان و قد سبق معناهما مفصّلاً فى سورة فاتحة الكتاب.

[هُوَ اللهُ الَّذي لااِلٰهَ اَلّا هُوَ] لمّا كان المنظور التّوحيد و تعداد المحامد أتى بهذه الجملة بدون العاطف بنحو التّعداد، و فى هذه اشارة الى تعليل الّسابق و هو باعث لترك العاطف ايضاً و هى تأكيدٌ للاولى و هو ايضاً باعث لترك العاطف.

[الْمَلِكُ] الّذى يتصوّر كونه ملكاً بتصوير كون النّفس ملكاً لقواها بل لصورها الّذهنيّة و بذلك يثبت كونه رحماناً رحيماً و كونه عالماً بالغيب و الّشهادة [الْقُدُّوسُ] الّذى كان منزّهاً عن الكثرات، و نسبة الافعال و الصّفات، و لحاظ تلك النّسب و الحيثيّات.

و قد مضى فى اوّل البقرة عند قوله تعالى: و نحن نسبّح بحمدك و

نقدّس لك بيانٌ و تفصيلٌ للتّسبيح و التّقديس، و قرئ قدّوس بفتح الفاء و هما لغتان فيه و الصّيغة للمبالغة مثل سبّوحاً مفتوحاً و مضموماً.

[السَّلامُ] السالم من كلّ نقصٍ و عيبٍ و من كلّ انحاء الكثرات و الحدود و النّسب و الاضافات الاّ فى اعتبار المعتبرين، و السالم من تمسّك به من كلّ اثمٍ و ذنبٍ و خطاءٍ، و السالم من خاف منه من كلّ امرٍ مخوفٍ، و السالم عباده من ظلمه.

[الْمُؤْمِنُ] الّذى آمن خلقه عن ظلمه، او آمن خلقه من المخوفات، او جعل عباده امناء، او امن بنفسه قبل ايمان خلقه، او دعى خلقه الى الايمان به [الْمُهَيْمِنُ] هيمن قال امين مثل امّن، و هيمن الطّائر على فراخه رفّ و هيمن على كذا صار رقيباً عليه، و المهيمن من اسمائه تعالى بمعنى المؤتمن، او من آمن غيره من الخوف، او الامين، او الشاهد، او الرّقيب، و قيل: هو مؤامن بهمزتين قلبت الثّانية ياءً ثمّ الاولى هاءً.

[الْعَزِيزُ] الغالب الّذى لايغلب او ذوالمناعة و التّأنّف [الْجَبّارُ] الّذى يجبر كلّ كسر و نقصٍ و قصورٍ و تقصيرٍ من عباده، او من سائر خلقه، او العظيم الشّأن، او الّذى يذلّ من دونه و لاتناله يد غيره.

[الْمُتَكَبِّرُ] البالغ فى كبره بحيث لايبقى عنده جليلٌ و لاحقيرٌ [سُبْحانَ اللهِ عَمّا يُشْرِكُونَ] من الاصنام و الكواكب و العناصر و سائر المواليد لعدم بقاء شىءٍ عند كبره.

[هُوَ اللهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ] تعدادٌ للمدائح و تعليل للسابق، و الخالق هو الّذى اوجد مادّة الشّىء اوّلاً، و البارئ هو الّذى سوّاه و اوجده على ما ينبغى، و المصوّر هو الّذى يعطى كلّه و كلّ اجزائه صوراً لائقة بحالها.

[لَهُ الْاَسْماءُ الْحُسْنىٰ] الاسم كما سبق فى اوّل الفاتحة و فى اوّل

البقرة عند قوله: علّم آدم الاسماء كلّها للاختصاص له بالاسم اللّفظىّ بل كلّما يدلّ على شىءٍ آخر هو اسم .

لذلك الّشىء سواء كان دلالته و ضعيّةً ام طبعيّة ام عقليّة، و سواء كان الدّالّ لفظاً او معنىً او ذاتاً جوهريّاً، و الاسم الحسن هو الّذى لايكون فى اطلاقه على الله و فى دلالته عليه شوب نقص و عدم وحدّ.

و هذه العبارة تفيد بتقديمٍ له و معناه حصر الاسماء الحسنى فيه و ذلك لحصر الصّفات العليا فيه، و بمفهوم مخالفة الصّفة تفيد عدم جواز اطلاق الاسماء الّسوءى عليه، و الاسماء السّوءى ما كان دلالته او اطلاقه عليه تعالى مستلزماً للنّقص والحدّ، و الجملة فى مقام التّعليل لاتّصافه تعالى بالاسماء الّسابقة.

و قد مضى فى سورة الاعراف عند قوله تعالى: و لله الاسماء الحسنى تفصيلٌ لهذه العبارة.

[يُسَبِّحُ لَهُ مٰا فِى السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] لمّا كان الّسورة لبيان توجّه الاشياء اليه تعالى، و توجّهه تعالى بالتّربية اليهم ختم الّسورة بما فتحها به وجعله تعليلاً لقوله تعالى: له الاسماء الحسنى .

فانّ تمام الاسماء الاضافيّة و الاسماء الحقيقيّة تستفاد من تسبيح جميع الاشياء له، و قوله: هو العزير الحكيم تعليلٌ و تأكيدٌ لما يستفاد من تسبيح الاشياء له.

فانّه لايتصوّر ان تكون الاشياء مسبّحةً له تعالى ژالا اذا كان هو الفعليّة الاخيرة للاشياء و كان قوام جميع الاشياء به، و هذا المعنى يستلزم جميع الصّفات الّسلبيّة و الاضافيّة و الحقيقيّة ذات الاضافة و الحقيقية المحضة.

سُورَةُ ٱلْمُمْتَحِنَةِ

مدنيّة؛ و ثلاث عشرة آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] بالبيعة العامّة [لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ] قيل: نزلت فى خاطب بن ابى بلتعة و ذلك انّ مولاة ابى عمرواتت رسول الله ﷺ من مكّة الى المدينة بعد بدرٍ بسنتين فقال لها رسول الله ﷺ: امسلمةً جئت؟

ـ قالت: لا، قال: فماجاء بك؟

ـ قالت: احتجت حاجة شديدة فأتيتكم لترفعوا حاجتى، قال: فاين انت من شبّان مكّة؟

ـ و كانت مغنيّة نائحةً قالت: ماطلب منّى احد بعد وقعة بدرٍ فحثّ رسول الله ﷺ عليها بنى عبدالمطّلب فكسوها و حملوها و أعطوها نفقة، و كان رسول الله ﷺ يتجهّز لفتح مكّة فأتاها خاطب بن ابى بلتعة و كتب كتاباً الى اهل مكّة و اخبرهم انّ محمّداً ﷺ يريدهم، فخرجت سارّةً و معها الكتاب و كانت كتمته فى ذؤابتها.

فنزل جبرئيل فأخبر النّبىّ عليه السلام فبعث رسول الله ﷺ عليّاً و عمّاراً و عمرو الزّبير و طلحة و المقداد و ابا مرثد و كانوا كلّهم فرساناً، و قال لهم: انطلقوا حتّى تأتوا روضة خاخ و خذوا الكتاب منها، فخرجوا الى ذلك المكان فوجدوها به فقالوا لها: اين الكتاب؟

ـ فحلفت بالله ما معها كتابٌ ففتّشوها فلم يجدوا معها كتاباً فهمّوا

بالرّجوع، فقال علىّ عليه‌السلام: واللّه ما كذب رسول اللّه صلی‌الله‌علیه‌وآله و سلّ سيفه و قال: اخرجى الكتاب و الّا و اللّه لاضربنّ عنقك فأخرجته من ذؤابتها فرجعوا بالكتاب الى رسول اللّه صلی‌الله‌علیه‌وآله، فقال لخاطب: ما حملك على ما صنعت؟

ـ قال: يا رسول اللّه صلی‌الله‌علیه‌وآله و اللّه ما كفرت منذ اسلمت و لاغششتك منذ نصحتك و لكن لم يكن احدٌ من المهاجرين الّا و له بمكّة من يمنع عشيرته و كنت غريباً و كان اهلى بين ظهرانيّهم فخشيت على اهلى فأردت ان اتّخذ عندهم يداً و قد علمت انّ كتابى لايغنى عنهم شيئاً.

[وَ قَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَ إِيَّاكُمْ] من مكّة [أَن تُؤْمِنُواْ] لان تؤمنوا [بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى] شرط تهييجىّ.

[تُسِرُّونَ] تلقون [إِلَيْهِم] فى السّرّ او تظهرون اليهم فى السّرّ [بِالْمَوَدَّةِ] او تعلمونهم فى السّرّ من احوال الرّسول صلی‌الله‌علیه‌وآله بسبب المودّة الّتى بينكم و بينهم [وَ أَنَا أَعْلَمُ] فعل او افعل التّفضيل.

[بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَ مَآ أَعْلَنتُمْ] فاُطلع رسولى عليكم [وَ مَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ] و هو الصّراط الانسانىّ يعنى ضلّ سواء السّبيل الى الطّرق الشيطانيّة.

[إِن يَثْقَفُوكُمْ] فى موضع التّعليل [يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَ يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُم بِالسُّوٓءِ] بالقتل و الضّرب و الشّتم [وَ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ] عطف على جملة الشّرط و الجزاء.

[لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ] الّذين تخالفون رسول اللّه صلی‌الله‌علیه‌وآله بسببهم [وَ لَآ أَوْلَـٰدُكُمْ] و الجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن كيفيّة انتفاعهم

بأرحامهم او عن علّة هذا القول.

[يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ] ظرف لقوله لن تنفعكم او لما بعده [يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ] اى يفرّق بينكم يوم القيامة بشدّة الهول و الخوف بحيث يفرّ كلٌّ، و قرئ يفصل مبنيّاً للفاعل و مبنيّاً للمفعول من الثّلاثى المجرّد و من التّفعيل.

[وَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] فيجازيكم على ما عملتم فلانجاة لكم من قبل ارحامكم و لامن قبل الله تعالى [قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] اقتداء حسن او خصلة حسنة ينبغى ان يقتدى بها [فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ] بدل من ابراهيم او تعليلٌ او ظرفٌ لقوله معه.

[لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ] اى تبرّأنا منكم فانّ الكفر ههنا كما فى الخبر بمعنى البراءة.

[وَ بَدَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَ ٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا] يعنى بغضنالكم بعض لله و بغضكم لنا بغض للّشيطان [حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحْدَهُۥٓ] فحينئذٍ ينقلب العداوة محبّةً والفةً.

[إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ] استثناء من ابراهيم استثناءً متّصلاً فى كلامٍ تامٍّ او استثناءٌ مفرّغ و التّقدير لكم اسوة حسنة فى ابراهيم فى كلّ شىءٍ منه الّا فى قول ابراهيم عليه السلام [لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ] فانّ هذا القول كان لموعدةٍ وعدها ايّاه و الّا كان متبرّءً منه [وَ مَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ] اى من قبل الله او من رحمة الله او من عذاب الله.

[رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَ إِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ] اشارة الى الفناءات الثّلاثة، فانّ التّوكّل ليس الّا بترك نسبة الفعل الى النّفس، و الانابة حينئذٍ تكون بترك نسبة الصّفات، و اليك المصير اشارة الى فناء الذّات، هذه

الجمل من مقول القول الاوّل و من جملة مايتأسّى به.

[رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟] اى لاتجعلنا امتحاناً او ضلالاً او اثماً او كفراً او فضيحةً او عذاباً او اضلالاً يعنى لاتجعلنا سبب ذلك لهم، او لاتجعلنا ممتحنين لاجل عذاب الّذين كفروا.

او لاجل هداية الّذين كفروا و معنى كونهم سبباً لفتنة الّذين كفروا ان يجعلهم بحالٍ من الفقر و الحاجة او من الابتلاء و المصيبة او من ارتكاب ما لاينبغى ان يرتكبوا من المعاصى او من اختلاف الكلمة و النّزاع بينهم، او من موالاة الكفّار او اتّباعهم فى بعض مالهم، او من المعارضة معهم، او من المجادلة معهم و الضّعف عن جوابهم يستهزء بهم او يغتابون او يعارضون او يُشتمون او ينفر منهم و من دينهم او يقاتلون.

و قيل: معناه و لاتسلّطهم علينا فيفتنونا عن دينك، و قيل: الطف بنا حتّى نصبر على اذاهم و لانتّبعهم فنصير فتنةً لهم.

و روى عن الصّادق عليه‌السلام انّه قال: ما كان من ولد آدم عليه‌السلام مؤمنٌ الّا فقيراً و لا كافر الّا غنيّاً حتّى جاء ابراهيم عليه‌السلام فقال: ربّنا لاتجعلنا فتنةً للّذين كفروا، فصيّر الله فى هؤلاء اموالاً و حاجةً و فى هؤلاء اموالاً و حاجةً.

اقول على المؤمنين ان يشكروا ابراهيم عليه‌السلام و لاينسوا منّته الّتى منّها عليهم.

[وَ ٱغْفِرْ لَنَا] ما فرّط منّا حتّى لاتؤاخذنا بذلك فتجعلنا فتنةً لغيرنا [رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ] الغالب المنيع [ٱلْحَكِيمُ] الّذى تعلم دقائق الامور و تتقن الصّنع مشتملاً على غاياتٍ دقيقةٍ انيقةٍ.

[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ] فى ابراهيم عليه‌السلام و قومه [أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] كرّره

للتّأكيد و التّرغيب و لتخصيصه بمن كان يرجوا الله [لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ] يعنى هذه الاسوة مختصّة بمن كان يرجوا الله و امّا غيره فلايتأسىّ.

[وَ مَن يَتَوَلَّ] عن التّأسّى منكم فلا يضرّالله شيئاً و انّما امركم بالتّأسّى ترحّماً عليكم [فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ] حمد او لم يحمد [عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ.

[وَ ٱللَّهُ قَدِيرٌ] على ان يبدّل المعاداة و التّبرّى محبّةً و موالاةً [وَ ٱللَّهُ غَفُورٌ] يغفر ما صدر منهم من معاداتكم بجهالةٍ و ما صدر منكم من موالاتهم بجهالةٍ [رَّحِيمٌ] يرحمهم و يرحمكم فضلاً عن مغفرته لكم.

فى خبرٍ عن الباقر عليه السلام: قطع الله ولاية المؤمنين من قومهم من اهل مكّة و اظهروا لهم العداوة فقال: عسى الله ان يجعل بينكم و بين الّذين عاديتم منهم مودّة فلمّا اسلم اهل مكّة خالطهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله و ناكحوهم و تزوّج رسول الله صلى الله عليه وآله حبيبة بنت ابى سفيان بن حرب .

[لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ] بدل عن الّذين لم يقاتلوكم [وَ تُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ] بتضمين تفضوا.

[إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَ ظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ] بدل عن الّذين قاتلوكم او التّقدير كراهة ان تولّوهم.

[وَ مَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ] بوضع الولاية غير

موضعها بل موضع العداوة [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ] ابتداء كلامٍ و ادب آخر للمؤمنين و لذلك صدّره بالنّداء جبراناً لكلفة التّأديب و تنشيطاً فى الاستماع.

[إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ] بان تختبروا موافقة قلوبهنّ لالسنتهنّ بان يحلفن ما خرجن من بغضٍ زوجٍ و لارغبةٍ من ارضٍ الى ارضٍ و لااستماع ديناً و ما خرجن الّا حبّاًلله، و على هذا كان معنى مؤمناتٍ مذعناتٍ و مصدّقاتٍ، او مشرفاتٍ على الاسلام.

قيل: صالح رسول الله صلى الله عليه وآله بالحديبيّة على انّ من أتاه من اهل مكّة ردّه عليهم، و من أتى اهل مكّة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يردّوه، فجاءت سبيعة بنت الحارث مسلمةً بعد الفراغ من الكتاب و النّبىّ صلى الله عليه وآله بالحديبيّة فأقبل زوجها مسافر من بنى مخزوم فى طلبها و كان كافراً.

فقال: يا محمّد اردد علىّ امرأتى فانك قد شرطت اليوم ان تردّ علينا من أتاك منّا.

فنزلت الاية فأعطى رسول الله صلى الله عليه وآله زوجها مهرها و ما انفق عليها و لم يردّها عليه فزوّجها عمر بن الخطّاب و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يردّ من جاءه من الرّجال و يحبس من جاءه من النّساء، اذا امتحنّ.

[ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ] و انّما يأمركم بالامتحان ليظهر عليكم ايضاً ايمانهنّ [فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ] فى موضع التّعليل.

[وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ] روى انّه قيل للصّادق عليه السلام: انّ لامرأتى اختاً عارفةً على رأينا بالبصرة و ليس على رأينا بالبصرة الّا قليلٌ فازوّجها ممّن

لايرى رأيها؟ـ قال: لا، و لانعمة؛ انّ الله يقول: فلاترجعو هنّ الى الكفّار (الاية).

[وَ ءَاتُوهُم] اى آتوا الكفّار [مَّآ أَ نفَقُواْ] على تلك النّساء من المهر و غيره [وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ] ترخيص لهم فى نكاحهنّ بعد اسلامهنّ [إِذَآ ءَ اتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ] مهور هنّ سمّاها اجوراً لانّ المهر اجر لبذل البضع، و هذا يدلّ على عدم الاكتفاء فى مهورهنّ بمهورهنّ الاولى المردودة الى ازواجهنّ.

[وَ لَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ] يعنى كما انّ المؤمنات لايحللن للكفّار و فكذلك المؤمنون لايحلّون للكافرات، و العصم جمع العصمة بكسر العين و قد يضمّ القلادة.

و هذه الاية كما تدلّ على حرمة المشركات تدلّ على حرمة الكتّابيّات.

[وَ سْئَلُواْ مَآ أَ نفَقْتُمْ] اى لحقت منكم امرأة بالكفّار [وَ لْيَسْئَلُواْ مَآ أَ نفَقُواْ] يعنى اذاكان بينكم معاهدة فاسئلوا انتم ما أنفقتم و ليسألوا ايضاً ما أنفقوا و لاتُرجعوا النّساء الملحقات بكم منهم اليهم و لاتستردّوا الملحقات بهم منكم.

[ذَٰلِكُمْ] المذكور من حكم الملحقات بهم و بكم [حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ] به.

[وَ ٱللَّهُ عَلِيمٌ] بالمصالح و الغايات المترتّبة على الافعال و الاحكام [حَكِيمٌ] لايفعل فعلا الّا بغايات محكمة نافعة و لايحكم حكماً الّا لمصالح عديدةٍ و غاياتٍ شريفةٍ.

[وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ] اى واحدة [مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ] اى راجعة الى الكفّار [فَعَاقَبْتُمْ] اى فأصبتم من الكفّار عقبى اى غنيمة [فَـَٔاتُواْ] ايّها المؤمنون.

[ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ] من الغنيمة الّتى اصبتم او المعنى فعاقبتم على نساء اخر فأتوا ايّها المؤمنون من بيت مال المسلمين الّذين ذهبت ازواجهم ماأنفقوا.

و قيل: عاقبتم الكفّار لسبى النّساء منهم او باخذ الغنيمة او باتيان النّساء منهم اليكم مؤمنات.

[وَ ٱتَّقُواْ] ايّها المؤمنون من عدم اعطاء ما أنفقوا [ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ] قيل: كانت لحق المشركين من نساء المؤمنين ستّ نسوة فأعطى النّبىّ ﷺ ازواجهنّ مهورهنّ.

[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ] خصّ الخطاب و النّداء به لاختصاص الحكم به فانّه كان يأخذ البيعة من الرّجال و النّساء دون غيره.

[إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ] اى المذعنات او المشرفات على الاسلام [يُبَايِعْنَكَ] لمّا كان زمان بعثة الرّسول ﷺ زمان فترة من الرّسل عليهم السلام و اندراس من احكامهم و كان النّاس بالاخذ من الاباء و المعلّمين منتحلين لملّتهم و كان البيعة الّتى كانت اصل جملة الخيرات و لم يكن شريعة و لم يصدق ملّة الّا بها مندرسةً ممحوّاً اثرها من الاذهان، بل كانت غريبة فى انظارهم مستهجنة فى عقولهم الجزئيّة و كان الرّجال بعد مشاهدة هذه الفعلة من الرّسول ﷺ و اخذ البيعة من كلّ من اراد الاسلام ايقنوا انّهم اذا ارادوا اسلام وجب عليهم هذه الفعلية.

و امّا النّساء فكأنّه خفىّ عليهنّ وجوبها و كأنّهنّ اعتقدن انّ الاسلام بان يقلن: لا اله الاّ الله، محمّد رسول الله ﷺ، و لم يعلمن انّ الانسان بهذه الكلنة فى امانٍ فامّا الاسلام فلا يتحقّق الاّ بالبيعة اظهر الله تعالى كيفيّة بيعتهنّ تعريضاً بوجوبها عليهنّ ايضاً.

[عَلَىٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْـًٔا] من الاشياء او لايشركن شيئاً من الاشـــراك [وَ لَا يَسْرِقْنَ وَ لَا يَزْنِينَ وَ لَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ] بـــالوأد [وَ لَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُو بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ] قـيل: كـانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هذا ولدى منك كنّى بالبهتان المفترى بين يديها و رجليها عن الولد الّذى تلصقه بزوجها كذباً لانّ بـطنها الّـذى تحمله فيه بين اليدين و فرجها الّذى تلده به بين الرّجلين، و ليس المعنى نهيهن عن الاتيان بولدٍ من الزّنا لانّ الّشرط بنهى الزّنا قد تقدّم.

و قيل: البهتان الّذى نهين عنه قذف المـحصنات و الكـذب عـلى النّاس، و اضافة الاولاد الى الازواج عل البطلان، يعنى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ذلك فى الحاضر و المستقبل من الزّمان.

[وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ] يعنى لايعصينك فيما امرت به فانّه ليس الاّ معروفاً [فَبَايِعْهُنَّ وَ ٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ].

اعلم، انّ البيعة الّتى كانت معمولةً فى جميع الّشرائع كانت بـمنزلة الانفحّة للبن الوجود و ما لم تتّصل الانفحّة باللّبن لم ينعقد و بمنزلة التّأبير لمثر النّخل مالم يؤبّر النّخل لم يحمل الثّمر و بها يحصل اللّبّ لجوز الوجود و فستقه، و بمنزلة الوصلة من الّشجر الحلو على الّشجر المرّ ما لم يتّصل من الّشجر الحلو وصلة بالّشجر المرّ لم يصر ثمره حلواً، و لذلك كانوا فى كـلّ

شريعة من اوّل الامر مهتمّين بالبيعة.

قيل: كان النّبىّ ﷺ يبايع النّساء بالكلام بهذه الاية: و ما مسّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة قطّ الّا امرأةً يملكها، و روى انّه كان اذا بايع النّساء دعا بقدح ماء فغمس فيه يده و يقول ما قاله الله تعالى ثمّ اخرج يده ثمّ غمسن ايديهنّ فيه.

و قيل: انّه كان يبايعهنّ من وراء الثّوب، و قيل: الوجه فى بيعة النّساء مع انّهنّ لسن من أهل النّصرة بالمحاربة هو اخذ العهد عليهنّ بما يصلح شأنهنّ فى الدّين و الانفس و الازواج، و كان ذلك فى صدر الاسلام، و لئّلا ينفق لهنّ فتق لما صنع من الاحكام فبايعهنّ النّبىّ ﷺ حسماً لذلك.

[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] لمّا لم يكن هذا الحكم خاصّاً بالنّبىّ ﷺ خاطب جميع المؤمنين [لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ] قيل: كان فقراء المسلمين يخبرون اليهود اخبار المسلمين فيصيبون من ثمارهم فنهى الله عن ذلك.

[قَدْ يَـٰٓئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَـٰٓئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ] اى الكّفار الّذين هم جنس اهل القبور من الاخرة، او كما يئس الكفّار من وصول خيرٍ من‌اهل القبور اليهم، او كما يئس الكفّار من ان يحيى اهل القبور.

سُورَةُ ٱلصَّفِّ

مدنيّة، و هى اربع عشرة آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ] قيل: نزلت فى قومٍ كانوا يقولون اذالقينا العدوّ لم نفرّ و لم نرجع عنهم ثمّ لم يفوا يوم اُحدٍ.

و قيل: نزلت فى قومٍ قالوا: جاهدنا و أبلينا و فعلنا و لم يفعلوا، و قيل: نزلت فى المؤمنين فانّهم بعد ماسمعوا ثواب شهداء بدرٍ قالوا: لولقينا قتالاً جهدنا غاية جهدنا و لمنفرّ و قيل: انّ المسلمين قالوا: لوعلمنا احبّ الاعمال لبذلنا فيه اموالنا و انفسنا، فأنزل الله انّ الله يحبّ الّذى يقاتلون فى سبيله صفّاً فلم يفوا يوم اُحدٍ.

و قال القمّىّ: نزلت فى الّذين وعدوا محمّداً صلى الله عليه و آله ان لاينقضوا عهده فى امير المؤمنين عليه السلام فعلم الله انّهم لايفون بما يقولون و قد سمّاهم الله المؤمنين باقرارهم و ان لم يصدّقوا.

اعلم، انّ القول ههنا اعمّ من القول اللّسانىّ و القول النّفسانىّ اى الاعتقاد الجنانىّ، و امّا الخطرات و الخيالات الّتى تقذف فى قلوب النّاس من غير عزمٍ منهم عليها فهى ليست اقوالاً لهم بل هى واردة عليهم من الّشيطان او الملك فهى اقوال الّشيطان او الملك.

و هذا القول اعمّ من ان يكون فى الاحكام الالهيّة بان يقول الانسان

بنحو الافتاء او التّقليد حكماً من الاحكام و لا يفعل به، و فى الامر بالمعروف و النّهى عن المنكر بان يأمر غيره و لا يأتمر و ينهى و لا ينتهى.

و فى المواعظ و النّصائح بان يعظ و ينصح بمالم يفعله، و قد ابتلى بالاوّل و الثّانى المجتهدون الّذين نصبوا انفسهم لبيان احكام العباد، و المقلّدون الّذين نصبوا انفسهم لذلك، و بالثّالث القصّاص و الوعّاظ و ان كان لايخلوا من الثّلاثة اكثر النّاس ولو بالنّسبة الى من تحت يده، و فى المواعيد و العقود و البيعة الاسلاميّة و الايمانيّة.

فانّه ورد عن الصّادق عليه السلام: عدة المؤمن اخاه نذر لا كفّارة له فمن اخلف فبخلف الله بَدأ و لمقته تعرّض، و ذلك قوله: يا ايّها الّذين آمنوا (الايتين) و عن عليٍّ: الخلف يوجب المقت عندالله و عندالنّاس قال الله تعالى، كبر مقتا عندالله (الاية) و فى الصّنائع و الحرف فانّ صاحب الحرفة اذا قال: ينبغى لصاحب الصّنعة ان يكون صنعته كذا و كذا، او قال: الصّنعة اذا كانت كذا و كذا كان المصنوع محكماً و كان ابقى و لم يكن يفعل.

[إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا] مصطفّين تعليلٌ لقوله: لم تقولون ما لاتفعلون على مابيّن من نزوله فى الّذين تمنّوا القتال والجهاد ثمّ لم يثبتوا فى اُحدٍ او مطلقا.

فانّ توفيق الفعل للقول يحتاج الى كثير جهاد مع النّفس و الّشيطان [كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ] الرصّ اتّصال بعض البناء ببعضٍ و استحكامه، و عن امير المؤمنين عليه السلام انّه قال: انّ الله يحبّ الّذين يقاتلون فى سبيله صفّاً، اتدرون ما سبيل الله؟ و من سبيله؟! انا سبيل الله الّذى نصبنى للاتّباع بعد نبيّه.

[وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ] اى ذكّرهم اذ قال موسى عليه السلام [لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ] حتّى يتذكّروا بقبح فعل قوم موسى عليه السلام و غايته المترتّبة عليه فارتدعوا من ايذائك او ايذاء عترتك بعدك.

[فَلَمَّا زَاغُوٓاْ] عن الحقّ [أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ] عن الاستقامة الانسانيّة و جعلهم منكوساً رؤسهم [وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ] تعريض بمن خرج عن قول الرّسول عليه السلام فى حقّ علىٍّ عليه السلام او مطلقاً، يعنى من لايهديه الله لايقبل الحقّ و لوأتى بالف آيةٍ و الله لايهدى القوم الفاسقين و انّكم يا قوم محمّد صلى الله عليه وآله فسّاق بالخروج عن قوله و عدم طاعته.

[وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ] يعنى ذكّرهم حتّى يتذكّروا بحقّيّتك و لايخرجوا من طاعتك [يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ] و الاخبار فى تبشير الانبياء عليهم السلام و اخبارهم بظهور محمّدٍ صلى الله عليه وآله و بعثته اكثر من ان تحصى.

و نسب الى الباقر عليه السلام انّ اسم النّبىّ صلى الله عليه وآله فى صحف ابراهيم عليه السلام الماحى و فى توراة موسى عليه السلام الحادّ، و فى انجيل عيسى عليه السلام احمد صلى الله عليه وآله، و فى القران محمّد صلى الله عليه وآله، و نقل انّه سأل بعض اليهود رسول الله: لم سمّيت احمد؟ـ قال: لانّى فى السّماء احمد منّى فى الارض.

[فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ] ظاهره منزل فى منكرى محمّدٍ صلى الله عليه وآله و رسالته و معجزاته.

و قولهم: انّ الانبياء عليهم السلام اوصوا ان لانؤمن برسولٍ حتّى يكون كذا و كذا، او قالوا لنا: لانبيّ بعدنا لكنّ التّعريض بمن ادّعى الخلافة بعد الرّسول صلى الله عليه وآله و ادّعوا ذلك من الرّسول صلى الله عليه وآله او من الله.

[وَ ٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ] بوضع الولاية غير موضعها و بادّعاء الخلافة من غير استحقاقٍ، و يدلّ على انّ المراد بها التّعريض بمدّعى الخلافة و منكرى علىٍّ عليه السلام قوله تعالى.

[يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ] لانّ نور الله هو الولاية و فسّر فى آياتٍ اُخر بعلىٍّ عليه السلام [وَ ٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَ لَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ] بالولاية.

عن الكاظم عليه السلام يريدون ليطفؤا ولاية امير المؤمنين عليه السلام بافواههم و الله متمّ الامامة لقوله: الّذين آمنوا بالله و رسوله و النّور الّذى انزلنا، فالنّور هو الامام.

و قيل: والله متمّ نوره يعنى بالقائم من آل محمّد صلى الله عليه وآله اذا خرج يظهره الله على الدّين كلّه حتّى لايعبد غير الله.

[هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ] اى الرّسالة و الاسلام الّذى هو ما به الهداية الى الامام و الايمان [وَ دِينِ ٱلْحَقِّ] اى الطّريق الى الله الّذى هو سبب للوصول الى الحقّ، او مسبّب عن الحقّ الّذى هو الولاية المطلقة، و الطّريق الى الله بهذا الوصف علىٌّ عليه السلام و ولايته.

[لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ] يعنى على جنس الاديان و الطّرق المختلفة، و لمّا اراد الجنس المستغرق اكّده بقوله [كُلِّهِۦ] فانّ طرق النّفس الى الشّيطان كثيرة و الطّريق الى الله واحد و هو طريق الولاية و اذا تمسّك

الانسان به على ما ينبغى ظهر و غلب طريق الولاية على جميع الطّرق بحيث لايبقى للطّرق الّشيطانيّة اثر.

[وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ] بالولاية و قد سبق فى سورة التّوبة هذه الاية مع بيانٍ لها [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] اى اسلموا بالبيعة العامّة، و لمّا اراد ان يأمرهم بالايمان و البيعة الثّانية و كان ذلك شاقّاً على بعضٍ تلطّف بهم و ناداهم جبراناً لكلفة هذا الامر و لذلك أدّى الامر بصورة الاستفهام و الدّلالة على التّجارة المنجية من العذاب الاليم ليتهيّؤا لسماعه و يستعدّوا لقبوله.

[هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ] بالايمان الخاص والبيعة الايمانيّة الولويّة [وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ] ببذل الاموال الّتى هى كلّ ماينسب الى الانسان [وَأَنفُسِكُمْ] ببذلها بحيث لايبقى لكم انفسٌ و لاماينسب الى انفسكم و تؤمنون جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ لبيان التّجارة.

[ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ] يعنى ان كنتم من اهل العلم علمتم ذلك، او ان كنتم تعلمون ذلك اخترتم ذلك [يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ] مجزومٌ فى جواب الّشرط يعنى ان كنتم تعلمون ذلك يغفر لكم لانّ العلم يجذب الى العمل و اختيار المعلوم، و اختيار المعلوم مورثٌ لمغفرتكم، او فى جواب تؤمنون فانّه فى معنى آمنوا.

او فى جواب الاستفهام و المعنى هل ادلّكم ان ادلّكم يغفر لكم فانّ دلالتى ليست الّا بتوجّهى و التفاتى اليكم، و توجّهى و التفاتى اليكم مورثٌ لتغيير احوالكم و رغبتكم الى العمل و الاخرة و هى تورث مغفرتكم.

[وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَ مَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ] اى جنّات الاقامة و هى اخرى الجنّات [ذَٰلِكَ] المذكور من المغفرة وادخال الجنّات او ادخال جنّات عدنٍ.

[ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا] اى لكم خصلة اخرى تحبّونها، او تعطون نعمة اخرى، او هل ادلّكم على تجارةٍ اخرى و يكون المعنى هل ادلّكم على ربحٍ آخر لتجارتكم، او اخرى مبتدءٌ و خبره.

[نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ] فى الدّنيا بظهور قائم عليه السلام كما عن القمّىّ و لمّا كان جُلُّ اصحاب الرّسول صلى الله عليه وآله طالبين للظّفر و الغنيمة و اعلاء الكلمة قال: اخرى تحبّونها.

[وَ بَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ] بالظّفر على جنود النّفس بظهور القائم عليه السلام و نصرة الله فانّ الايمان يقتضى النّصرة لامحالة بمنطوق: وعد الله الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات ليستخلفّنهم فى الارض (الاية).

[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] بالبيعة الخاصّة الولويّة [كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ] لمّا كان اللّطيفة الانسانيّة الفطريّة و اللّطيفة الولويّة الّتى هى انسانيّة اختياريّة مظهر الله تعالى، و نصرته بالعلوم الاخرويّة و الاعمال الصّالحة تكون نصرة لله و كان خليفة الله ايضاً مظهراً الله و نصرته تكون نصرة لله اراد بنصرة الله نصرة تلك اللّطيفة و ذلك الخليفة، و أدّاه بنصرة الله للاشعار بانّ نصرتهما نصرة لله فى الحقيقة.

[كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ] يعنى قلنا لكم كونوا انصار الله كما قال عيسى عليه السلام، او المعنى قل يا محمّد صلى الله عليه وآله: يا ايّها الّذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى عليه السلام، او كما قال عيسى متعلّق بكونوا انصار الله و يكون

المشبّه به كون الحواريّين انصار الله.

[لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ] قد مضت هذه الاية فى سورة آل عمران مع بيانٍ لها [فَـَٔامَنَت] بعد قــول عــيسى بـن مـريم عليه السلام [طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ] يعنى بالله بواسطة عيسى او بعيسى عليه السلام بعد قوله هذا [فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَـٰهِرِينَ] يعنى غـالبين و هـذا تسلية للرّسول صلى الله عليه وآله و تبشير و تسلية للمؤمنين و تهديدٌ للكافرين من امّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله.

سُورَةُ ٱلْجُمُعَةِ

مدنيّة، احدى عشرة آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ] قد مضى وجه الاداء بالماضى فى السّور السّابقة، و الاتيان بالمضارع فى هذه السورة و فى التّغابن.

[ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ] قد مضى بيان قدسه تعالى و الفرق بينه و بين تسبيحه فى البقرة عند قوله تعالى: و نحن نسبّح بحمدك و نقدّس لك [ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ] التّوصيف بهذه الاوصاف لبيان علّة تسبيح الاشياء تماماً له، و قرئ الكلّ بالرّفع على المدح.

[هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ] كلامٌ منقطعٌ عن سابقه و بيانٌ للامتنان على امّة محمّد ﷺ و تمهيدٌ للتّعريض الاتى.

[يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ] قد مضى بيانٌ لهذه الاية و وجه تقديم التّزكية على التّعليم فيها، و وجه تقدم التّعليم على التّزكية فى دعاء ابراهيم عليه السلام بقوله: ربّنا و ابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك و يعلّمهم الكتاب و الحكمة و يزكّيهم.

[وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ] من الامّيّين او من جنسهم من سائر النّاس من الاعاجم و هو عطف على الامّيّين او على مفعول يعلّمهم و المراد بالاخرين التّابعون و تابعوا التّابعين الى يوم القيامة، او غير اهل مكّة من اهل العالم

من الفارس و التّرك و الرّوم، او المراد بالاخرين آخرون فى الرّتبة.

و روى انّ النّبىّ ﷺ قرأ هذه الاية فقيل له: من هؤلاء؟- فوضع يده على كتف سلمان رحمه الله و قال: لو كان الايمان فى الثّريا لنالته رجالٌ من هؤلاء.

[لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ] و سيلحقون بهم الى يوم القيامة [وَ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ذَٰلِكَ] اى بعث رسولٍ من جنس البشر او بعث مثل محمّدٍ ﷺ الّذى يزكّيهم ثمّ يعلّمهم الكتاب والحكمة.

[فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ] من الامم فيكون منّةً منه تعالى على امّة محمّدٍ ﷺ، او ذلك الرّسالة و تذكير اسم الاشارة باعتبار الخبر كأنّه قال: ذلك الفضل الّذى هو الرّسالة و النّبوّة فضل الله يؤتيه من يشاء من افراد البشر.

[وَ ٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ] فيعطى ازيد من ذلك او لاينقص من فضله شىءٌ بايتاء الرّسالة للمستحقّين او ذوا الفضل العظيم على النّاس ببعثة محمّدٍ ﷺ فيهم.

[مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ] حملهم التّوراة انبياؤهم و علماؤهم بان علّموهم التّوراة و كلّفوهم العمل بها، و هذا بيانٌ لحال اليهود و ذمّ لهم لكنّه تعريض بمنافقى امّة محمّدٍ ﷺ الّذين لم يقرّوا بعلىٍّ عليه السلام و الّذين لم يعملوا بالقران.

[ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا] بان لم يعملوا بها [كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَما] من كلفة الحمل و التّعب فيها و عدم الانتفاع بها بل التّضرّر بثقلها و تعب حملها، فمن تعلّم القران و لم يعمل بما فيه كائناً من كان كان من اهل هذا المثل مثل الصّحابة الّذين اهتمّوا بحفظ القران عن التّغيير و بتلاوته و

قراءته و لم يعملوا بما فيه من مراعاة العترة و مودّتهم و اتّباعهم.

و كذلك من تعلّم القرآن و علم احكامه و عمل بما فيه، و من تعلّم احكام الّشريعة و عمل بها لكن كان منظوره من علم ذلك الحيوة الدّنيا لاحيوة الاخرة كان من اهل هذا المثل، و نعم ما قال المولوىّ:

علمهاى اهل دل حمّالشان — علمهاى اهل تن احمالشان
علم چون بر دل زند يارى شود — علم چون بر تن زند بارى شود
گفت ايزد يحمل اسفاره — بار باشد علم كان نبود ز هو
علم كان نبود زهو بيواسطه — آن نپايد همچو رنگ ما شطه
ليك چون اين بار را نيكو كشى — بار برگيرند و بخشندت خوشى
هين بكش بهر خدا اين بار علم — تا ببينى در درون انبار علم
تا كه بر رهوار علم آئى سوار — آنگهان افتد ترا از دوش بار

[بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ] يعنى كلّ من كذّب بايات الله و كلّ من كان اهل ملّة و لم يرد وجه الله كان من اهل هذا المثل [وَ ٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ] يعنى المكذّبين بايات الله و المحمّلين للكتب الّسماويّة و الغير الحاملين لها، لكنّه وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بظلمهم و تعليلاً للحكم يعنى انّ الله لايهديهم الى الصّراط الانسانىّ او الى الجنّة او الى مقاصدهم.

[قُلْ] لليهود تعريضاً بمن ادّعى منك الخلافة او بجميع امّتك [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ] فى هذا الادّعاء يعنى ان كنتم اولياء لله

فالحيوة الدّنيويّة تحجبكم عنه و كلّ محبّ يتمنّى لقاء المحبوب و الموت يخرجكم من الحجاب و يوصلكم الى لقاء الله.

[وَ لَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا] لانّهم ناسون لله و راضون بالحيوة الدّنيا [بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ] من المعاصى الّتى يخافون ان يدخلوا بها النّار، او من المعاصى الّتى تنسيهم الاخرة و تصرفهم الى جهة الدّنيا بحيث صاروا محبّين للدّنيا غير محبّين للاخرة.

[وَ ٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ] اى بهم و وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بظلمهم و مبالغةً فى تهديدهم [قُلْ] لليهود او لجميع الخلق.

[إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ] فلا ينفعكم الفرار منه و ليكن فراركم ممّا يضرّ فيما بعده.

[ثُمَّ تُرَدُّونَ] بعد الموت [إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَ ٱلشَّهَـٰدَةِ] اى الى الّذى يعلم جميع الغائبات عن المدارك او جميع الغائبات عن الخلق و جميع المشهودات، او جميع مامن شأنه ان يشاهد او عالم عالم الغيب و عالم عالم الشّهادة و على ايّ تقديرٍ فهو تحذير عن مخالفة الله فى السّرّ و العلانية.

[فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ] و يجازيكم بحسبه و بعد ما هدّد المسلمين بالتّعرشض ناديهم تلطّفاً فقال [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ].

اعلم، انّ ايّام الاسبوع مظاهر للايّام الرّبوبيّة و دَوَران الايّام على الاسبوع ليس بمواضعة بنى آدم و الّا لكان الاختلاف فى دَوَرآنها و كان فرقة يديرها على السّتة او الخمسة او الاربعة، و فرقه يديرها على الثّمانية او التّسعة، او غير ذلك و من يديرها على السّبعة لم يكن يديرها بتلك الادارة

بان يجعل المبدء الاحد و المنتهى الّسبت.

او المبدء الّسبت و المنتهى الجمعة، و فى الجملة لم يكونوا يسمّى كلّهم احداً احداً و منسوباً الى الّشمس و الّسبت سبتاً و منسوباً الى كوكبٍ خاصٍّ و بالجملة لم يكن عند جميع المنجّمين كلّ يوم مخصوصٍ منسوباً الى كوكبٍ خاصٍّ.

و قد اتّفق المنجّمون من كلّ ملّةٍ و فى كلّ لسانٍ على ادارة الايّام على الّسبعة بهذا التّرتيب المخصوص و انتساب كلّ يومٍ مخصوصٍ الى كوكبٍ خاصٍّ سمّيت بهذه الاسماء ام لم تسمّ، و الايّام الرّبوبيّة الّتى هذه الايّام بازائها يوم المجرّدات الّتى هى قيام لاينظرون.

و يوم الصّافّات صفّاً، و يوم المدبّرات امراً، و يوم ذوى الاجنحة مثنى و ثلث و رباع، و يوم الكيان، و يوم الملكوت الّسفلى، او يوم المدبّرات امراً، و يوم الرّكّع و الّسجّد، و يوم المتقدّرات المجرّدة علويّين كانوا ام سفليّين.

و هذه الايّام كما اشير اليها فى سورة الاعراف هى الايّام الّتى خلق الّسماوات و الارض فيها و بها احتجب عن الخلق، و اليوم الّسابع هو يوم جمع الجمع الّذى يعبّر عنه بالمشيّة و مقام الظّهور، و لمّا كان الجمعة بازاء يوم الجمع طولاً امر الله العباد بانعقاد الجمعة، و امر ان لاينعقد الجمعة باقلّ من سبعةٍ او خمسةٍ.

و لّما كان يوم الجمع خاصّاً بمحمّدٍ ﷺ لاحظّ لاحدٍ سواه ﷺ فيه جعل الجمعة الّتى بازائه عيداً خاصّاً بمحمّد ﷺ و حرّم الّسفرفيها على من كان المسافة بينه و بين مجمع النّاس للجمعة اقلّ من فرسخين او بقدر فرسخين، و لذلك قال: اذا نودى للصّلوة من يوم الجمعة يعنى اذا اذّن لصلوة الجمعة.

[فَاسْعَوْاْ] اى فأسرعوا [إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ] يعنى الصّلوة [وَ ذَرُواْ

ٱلْبَيْعَ] فانّ البيع فى هذا اليوم خلاف مقتضى هذا اليوم خصوصاً وقت وصول الّشمس الى نصف النّهار.

[ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ] فانّه اذا اعطى كلّ يومٍ حقّه كان خيراً لكم [إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ] كان خيراً لكم يعنى ان اتّبعتم عليّاً عليه السلام و قبلتم ولايته بالبيعة معه فانّ العلم و التّعلّم منحصر ان فى شيعة عليٍّ عليه السلام، او ان كنتم تعلمون انّه خير لكم اخترتموه.

[فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ] لمّا كان الاجتماع فى الجمعة لذكر الله بمنزلة الفناء الذّاتىّ و البقاء فى ذلك الفناء يورث نقصان الوجود و المطلوب من الانسان استكماله بجميع جنوده و لايمكن الّا بالبقاء بعد الفناء امرهم بالانتشار فى الارض و ابتغاء فضله.

كما قال [وَ ٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ] الصّورىّ بطلب ما تحتاجون اليه من جهة الحلال، و فضل الله المعنوىّ بزيارة الاخوان و عيادة مرضاهم و تشييع جنائزهم كما فى الخبر عن النّبىّ صلى الله عليه و آله و عن الصّادق عليه السلام: الصّلوة يوم الجمعة، و الانتشار يوم الّسبت.

و عنه عليه السلام انّى لاركب فى الحاجة الّتى كفاها الله ما اركب فيها الّا التماس ان يرانى الله اضحى فى طلب الحلال، اما تسمع قول الله عزّ اسمه؟ فاذا قضيت الّصلوة فانتشروا فى الارض و ابتغوا من فضل الله.

[وَ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا] فى حال ابتغاء الفضل او فى جميع الاحوال فانّ ذكر الله مرغوب فيه و لو كنت تبول فانّه كما فى الخبر لابأس بذكر الله و انت تبول و قد مضى فى سورة البقرة عند قوله تعالى: فاذكرونى اذكركم بيان للّذكر و مراتبه و كيفيّته.

[لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] فانّ الفلاح بالّذكر لانّ مناط الطّاعة و المعصية كما يستفاد ممّا ورد عن الصّادق عليه السلام الّذكر و الغفلة، روى عن النّبىّ صلى الله عليه وآله من ذكر الله مخلصاً في الّسوق عند غفلة النّاس و شغلهم بماهم فيه كتب الله له الف حسنةٍ و يغفر الله له يوم القيامة مغفرةً لم تخطر على قلب بشرٍ.

[وَ إِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ] اليها استدراك كأنّـه قـال: لكنّهم لايقبلون و اذا رأو تجارة و لهوا انفضّوا [إِلَيْهَا] اى الى التّجارة خصّ الضّمير بها لانّ اللّهو كان تبعاً للتّجارة.

[وَ تَرَكُوكَ قَآئِمًا] تخطب على المنبر كما فى خبرٍ، او فى الصّلوة كما فى خبرٍ آخر [قُلْ] لهم [مَا عِندَ ٱللَّهِ] من النّعيم المقيم.

[خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَ مِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ] فانّ التّجارة ان كان فيه نفع دنيوىّ و اللّهو ان كان فيه نفع خياليٌّ و التذاذٌ و همىٌّ فما عندالله خير لانّ نفعه عقلىّ روحىّ و هو غير منقطعٍ و غير مشوب بالالام.

[وَ ٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ] روى عن جابرٍ انّه قال: اقبلت عير و نحن نصلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله فانفضّ النّاس اليها فما بقى غير اثنى عشر رجلاً انا فيهم فنزلت الاية.

و فى روايةٍ: اقبلت عيرو بين يـديها قـوم يـضربون بـالدّفوف و الملاهى فقال النّبىّ صلى الله عليه وآله : و الّذى نفسى بيده لوتتابعتم حتّى لايبقى احـد منكم لسال بكم الوادى ناراً، و عن الصّادق عليه السلام : انّ الواجب على كلّ مؤمنٍ اذا كان لنا شيعة ان يقرأ فى ليلة الجمعة بالجمعة و سبّح اسم ربّك الاعلى، و فى صلوةالظّهر بالجمعة و المنافقين فاذا فـعل ذلك فكأنّـما يـعمل بـعمل رسول‌الله صلى الله عليه وآله و كان ثوابه و جزاؤه على الله الجنّة.

سُورَةُ ٱلْمُنَافِقُونَ

مدنيّة، و هى احدى عشرة آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ] لبيان انّ المشهود به صدق و رفع توهّم رجوع التّكذيب الى المشهود قدّم هذا.

ثمّ قال [وَ ٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ] لعدم مطابقة المشهود به لما فى قلوبهم [ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً] عن القتل و الاسر و حفظوا بها دماءهم و اموالهم او اتّخذوها جنّةً عن شتم المسلمين و لومهم، او جنّة عن سوء ظنّ المسلمين بهم و فرارهم عنهم، و قرئ ايمانهم بكسر الهمزة.

[فَصَدُّواْ] منعوا او اعرضوا [عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ] الّذى هو علىّ عليه السلام و ولايته [إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ].

اعلم، انّ النّفاق عبارة عن اظهار ما لم تكن تعتقده مثل الّذين اظهروا الاسلام و باعوا البيعة النّبويّة من غير اعتقادٍ برسالة الرّسول صلى الله عليه و آله او مع الشّكّ فى رسالته، او كانوا معتقدين ثمّ طرأ الشّكّ و الانكار.

هذا بحسب الظّاهر و الاعتقاد و قد يعتبر النّفاق بحسب الاعمال الظّاهرة من غير موافقة الاحوال الباطنة و هذا نفاق قلّ من يخلو عنه من المسلمين.

فانّ الاذكار و الافعال الواقعة فى الصّلوة كلّها عناوين و اظهارٌ

لاحوال النّفوس فانّ قول القائل بسم الله الرّحمن الرّحيم تعبيرٌ عن نفسه و انه يَسِمُ نفسه بالعبادة فاذا لم يكن حاله موافقاً لهذا التّعبير كان منافقاً حالاً، و هكذا الحمد الله ربّ العالمين و هكذا ايّاك نعبد حصر للعبادة فيه و ايّاك نستعين حصرٌ للاستعانة فيه فلو كان حال القائل ذلك ان يرى موصوفاً آخر او يعتقد موصوفاً آخر بالصّفات الحميدة او كان له معبود آخر من الاهوية او الاناسيّ.

او كان نظره الى معينٍ آخر و الاستعانة بغير الله كان منافقاً حالاً، و فعل الرّكوع تعبير عن نفسه بانّه خاشع لله بحيث دعا خشوعه له الى الانثناء، و سجودع تعبير عن كمال خضوعه له تعالى فاذا لم يكن حاله على هذا المنوال كان منافقاً.

و هكذا قنوته و سائر دعواته فى احوال الصّلوة، و صيامه تعبير عن نفسه بانّه صام عن غير التذاذٍ بجمال الله و الّسلوك اليه، و زكوته كناية عن انّه فى نقصان الانانيّة، فلو لم ينقص من انانيّته بل كان فى زكوته معجباً بنفسه رائياً عمله كان منافقاً.

و قد ورد: مازاد خشوع الجسد على خشوع القلب فهو من النّفاق [ذَٰلِكَ] الكذب و اتّخاذ الايمان جنّةً و الصّدّ او الصّدود عن سبيل الله [بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ] و الكفر بعد الايمان ابلغ و اشدّ من الكفر الاوّل، و كفر النّفاق افضح.

[فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ] بحيث لميبق فيها مدخل و مخرج للملك و النّور [فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ] لايدركون ادراكاً اخرويّاً مؤدّباً الى ادراك آخر.

[وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ] بحسنها و تجملّها بما يتجمّل

بها و طراوتها و نضارتها [وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ] لطلاقة لسانهم و حلاوة كلامهم و تسمع قام مقام القول اى يقل اسمع لقولهم.

[كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ] على الحائط فى كونهم خالين عن الرّوح و العقل، و فى عدم الانتفاع بهم بوجهٍ آخر مثل الخشب المسنّدة الّتى ليست عمداً لسقفٍ او غيره.

[يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ] لعدم توكّلهم على ربّهم و جبنهم و اتّهامهم فى المسلمين [هُمُ ٱلْعَدُوُّ] استينافٌ جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فما شأنهم؟ و ما نفعل بهم؟ـ فقال: هم الكاملون فى العداوة.

[فَاحْذَرْهُمْ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ] اخبار عن حالهم بانّهم قاتلهم الله عن الحيوة الانسانيّة، او اخبار عمّا يفعل بهم بعد لكنّه ادّاة بالماضى لتحقّق وقوعه، او دعاء عليهم بمقاتلة الله لهم.

[أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ] كيف يصرفون عن الحقّ [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ] كناية عن الانكار و الاستكبار [وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ] يعرضون او يمنعون.

[وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ] عن الاتيان و الاعتذار و الاستغفار [سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ] تعليلٌ لاستواء الاستغفار و عدمه ومبالغة فى يأسهم عن مغفرة الله فانّ عدم مغفرته مع استغفار الرّسول ﷺ دليل ان ليس فيهم ما يمكن المغفرة لهم.

[إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ] تعليلٌ آخر و المقصود عدم الهداية الى الجنّة او الى الحقّ [هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ] يتفرّقوا [وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ] جملة حاليّة.

[وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ] الّذين يقولون لاتنفقوا حتّى ينفضّوا [لَا يَفْقَهُونَ] اى لايدركون ذلك ادراكاً اخرويّاً [يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ] كنّوا عن انفسهم بالاعزّ و عن المؤمنين بالاذلّ.

[وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ] انّ العزّة الدّنيويّة و الاخرويّة لله وعندالله و لمن كان من حزب الله و ان كانوا بحسب الانظار الظّاهرة مغلوبين.

و نزلت الايات كما عن القّميّ، فى غزوة بنى المصطلق فى سنة خمسٍ من الهجرة و كان رسول الله ﷺ خرج اليها فلمّا رجع منها نزل على بئرٍ و كان الماء قليلاً فيها و كان سيّار حليف الانصار و كان جهجاه بن سعيد الغفاريّ اجيراً لعمر بن الخطّاب فاجتمعوا على البئر فتعلّق دلو سيّارٍ بدلو جهجاه فقال سيّار: دلوى و قال جهجاه: دلوى، فضرب جهجاه يده على وجه سيّار فسال منه الدّم فنادى السيّار بالخزرج و نادى جهجاه بقريشٍ فاخذ النّاس الّسلاح و كاد ان تقع الفتنة فسمع عبدالله بن أُبيٍّ النّداء فقال: ما هذا؟ـ فأخبروه بالخبر فغضب غضباً شديداً ثمّ قال: قد كنت كارهاً لهذا المسير انّى لاذلّ العرب؟!

ما ظننت انّى ابقى الى ان اسمع مثل هذا فلايكون عندى تغيير، ثمّ اقبل على اصحابه فقال: هذا عملكم، أنزلتموهم منازلكم و واسيتموهم بأموالكم، و وقيتموهم بأنفسكم و أبرزتم نحوركم للقتل، فأرمل نساءكم و ايتم صبيانكم، و لو اخرجتموهم لكانوا عيالاً على غيركم.

ثمّ قال: لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الا عّز منها الا ذلّ و كان فى القوم زيد بن ارقم و كان غلاماً قد راهق و كان رسول الله ﷺ فى ظلّ شجرةٍ فى وقت الهاجرة و عند قوم من اصحابه من المهاجرين و الانصار.

فجاء زيد فأخبره بما قال عبدالله بن ابىٍّ، فقال رسول الله ﷺ: لعلّك و همت يا غلام؟ـ قال: لا و الله ما وهمت، فقال: لعلّك غضبت عليه؟

قال: لا و الله ما غضبت عليه، قال: فلعلّه سفّه عليك؟

ـ قال: لا و الله، فقال رسول الله ﷺ لشقران مولاه فأحدج[1] فاحدج راحلته و ركب و تسامع النّاس بذلك، فقالوا: ما كان رسول الله ﷺ ليرحل فى مثل هذا الوقت فرحل النّاس الى ان قال: فسار رسول الله ﷺ يومه كلّه لايكلّمه احد فأقبلت الخزرج على عبدالله بن ابىٍّ يعذلونه فحلف عبدالله انّه لم يقل شيئاً من ذلك، فقالوا: فقم بنا الى رسول الله ﷺ حتّى نعتذر اليه فلوّى عنقه، فلمّا جنّ اللّيل سار رسول الله ﷺ ليله كلّه و النّهار فلم ينزلوا الّا للصّلوة، فلمّا كان من الغد نزل رسول الله ﷺ و نزل اصحابه و قد امهدهم الارض من السّهر الّذى اصابهم.

فجاء عبدالله بن ابىٍّ الى رسول الله ﷺ فحلف انّه لم يقل ذلك و انّه ليشهد ان لا اله الّا الله و انّك لرسول الله و انّ زيدا قد كذب علىّ.

فقبل رسول الله ﷺ منه و أقبلت الخزرج على زيد بن ارقم يشتمونه (الى ان قال) فنزل الوحى عليه فلمّا نزل جمع اصحابه و قرأ عليهم سورة المنافقين ففضّح الله عبدالله بن ابىٍّ.

و عن الكاظم عليه السلام انّ الله تبارك و تعالى سمّى من لم يتّبع رسوله ٩

---

(١) الحدج كالضرب و الاحداج شدّ الحمل على البعير، و الحدج بالكسر الحمل.

فى ولاية علىٍّ عليه السلام وصيّه منافقين، و جعل من جحد وصيّه امامته كمن جحد محمّداً صلى الله عليه وآله و انزل بذلك قرآناً فقال: يا محمّد اذاجاءك المنافقون بولاية وصيّك قالوا نشهد انّك لرسول الله و الله يعلم انّك لرسوله و الله يشهد انّ المنافقين بولاية علىٍّ لكاذبون، اتّخذوا ايمانهم جنّةً فصدّوا عن سبيل الله و السّبيل هو الوصىّ انّهم ساء ما كانوا يعملون، ذلك بانّهم آمنوا برسالتك و كفروا بولاية وصيّك فطبع الله على قلوبهم فهم لايفقهون، يقول: لايعقلون نبوّتك.

و اذا قيل لهم: ارجعوا الى ولاية علىٍّ عليه السلام يستغفر لكم النّبىّ عليه السلام من ذنوبكم لوّوا رؤسهم قال الله و رأيتهم يصدّون عن ولاية علىٍّ عليه السلام و هم مستكبرون عليه، ثمّ عطف القول بمعرفته بهم فقال: سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم انّ الله لايهدى القوم الفاسقين يقول الظّالمين لوصيّك.

[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ] فانّ القلب للطافته يران عليه و يقسيه اشتغاله بالكثرات الخياليّة و ذكر الله يجلوه عن الرّين، فلو اشتغل الانسان بالاموال و الاولاد فاذا كان ذاكراً لله صار الّذكر جالياً لقلبه عن الرّين، و اذا كان غافلاً عن ذكر الله صار الرّين متراكماً على قلبه بحيث يتشكّك اوّلاً ثمّ يكفر و ينافق.

[وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ] لاتلاف بضاعتهم و عدم اخذ العوض له [وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم] من الاموال و القوى و الاعراض، و من نسب الافعال و الاوصاف الى انفسكم، و من انانيّاتكم.

[مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ] فيؤخذ جميع ذلك منكم فلاتروا شيئاً ممّا تنسبوته الى انفسكم [فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ

أَجَلٍ قَرِيبٍ] یعنی الی مدّةٍ قریبةٍ من هذه المدّة ان کان هذا القول حال الاحتضار، او من مدّةٍ قریبةٍ من وقت الموت ان کان هذا القول فی القیامة او فی البرزخ.

[فَأَصَّدَّقَ] فأتصدّق ممّا ینبغی ان یتصدّق منه [وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ] مجزوم معطوف علی مجموع الفاء و ما بعده فانّه واقع موقع المضارع المجزوم فی جواب لولا.

و قرئ منصوباً عطفاً علی ما بعد الفاء، و مرفوعاً بتقدیر انا اکون من الصّالحین [وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ] جملة حالیّة و رفع لتوهّم انّه یجوز التّأخیر ام لا [نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا] اذا قدّر رمجیء اجلها.

عن الباقر علیه السلام انّ عندالله کتباً موقوفةً یقدّم منها ما یشاء و یؤخّر ما یشاء، فاذا کان لیلة القدر انزل الله فیها کلّ شیءٍ یکون الی مثلها فذلک قوله: و لن یؤخّر الله نفساً اذا جاء اجلها اذا انزل الله، و کتبه کتاب السّموات و هو الّذی لایؤخّره.

[وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ] تهدیدٌ للمنافقین و الکافرین، او ردع وزجر للکافر فی القیامة.

سُورَةُ ٱلتَّغَابُنِ

مدنيّة، و قيل: مكّيّة غير ثلاث آياتٍ من آخرها نزلت بالمدينة: يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِنَّ مِنْ اَزْواجِكُمْ (الى آخر السّورة) ثمانى عشرة آيَةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ] اى ما ينبغى اى يملك [وَ لَهُ ٱلْحَمْدُ] اى ما ينبغى ان يوصف الكامل بـه [وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ] فيقدر على استنطاق الاشياء بالتّسبيح و هذه تعداد الاوصاف الجملية و اشارة الى علّة تسبيح الاشياء له، و لكونها تعداداً لاوصافه الحميدة. قال [هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَ مِنكُم مُّؤْمِنٌ] بدون العاطف و المعنى فمنكم مؤمن بالولاية، و منكم كافر بالولاية كمامرّ مراراً انّ مناط الكفر و الايمان معرفة الولاية و انكارها.

و عن الصّادق عليه السلام انّه سئل عن هذه الاية فقال: عرّف الله ايمانهم بولايتنا و كفرهم بتركها يوم اخذ عليهم الميثاق فى صلب آدم عليه السلام و هم ذرّ.

[وَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] تهديدٌ للكافر و ترغيبٌ للمؤمن [خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ] فلم يكن اسباب السّماوات و الارض الّتى بها ايجادكم و ابقاؤكم الّا لامرٍ حقٍّ و غايةٍ شريفةٍ متقنةٍ لالهذه الغايات الدّنيّة الباطلة الّتى هى وصول القوى الشّهويّة و الغضبيّة و الشيطانيّة الى مستلذّاتها فلاتقطعوا غاياتكم الشريفة و لاتبطلوا ذواتكم.

[وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ] لتكونوا مقرّبين له فانّه خلقكم و صورّكم مشتملين على جميع ما فى عالم الامر و الخلق بل على جميع ما فى

العالم الالهىّ لتصيروا بطرح الطّوارى عن وجوه ذواتكم بشأنه تعالى و تصيروا احقّاء بقربه فلاتبطلوا ذواتكم دون الوصول الى غاياتكم.

[وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ] اى مصيركم ترغيب و تهديد يعنى استعدّوا للحضور عنده و تهيّؤا للوصول اليه بأحسن الوجوه.

[يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ] تهديدٌ و ترغيبٌ [وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ] قد مضى امثال هذه الاية مع تفسيرها مكرّراً.

[أَلَمْ يَأْتِكُمْ] ايّها النّاس [نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ] فتعتبروا بأحوالهم و ترتدعوا عن مثل افعالهم [فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ] فى الدّنيا فاحذروا عن مثل افعالهم.

[وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] فى الاخرة [ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ] كما جاءكم رسولكم بالبيّنات.

[فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا] مثل ما تقولون لوشاء الله ان يرسل رسولا لأنزل ملائكة [فَكَفَرُوا۟] بالرّسل مثلكم [وَتَوَلَّوا۟] عنهم و عن بيّناتهم و عن التّدبّر فيها.

[وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ] عنهم يعنى استغنى الله فى مظاهر رسلهم عليهم السلام بمعنى استغنى الرّسل عنهم و عن الاعتداد بهم فلم يكن من قبلهم استعداد لقبول الايمان و لم يكن من قبل الرّسل دعوةٌ لهم.

[وَٱللَّهُ غَنِىٌّ] عنهم و عن عبادتهم و عن ايمانهم [حَمِيدٌ] فى نفسه عرف ام لم يعرف، حمد ام لم يحمد [زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ فَـَٔامِنُوا۟] يعنى اذا كنتم تبعثون فآمنوا [بِاللَّهِ] الّذى تبعثون اليه

[وَرَسُولِهِۦ] الّذى يعلّمكم طريق الايمان به.

[وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا] و النّور المنزل هو ولاية علىٍّ عليه السلام الّتى كانت مع كلّ نبىٍّ سرّا و مع محمّدٍ صلى الله عليه وآله سرّاً و جهراً، و قد فسّر فى الاخبار بالامامة و بالامام.

و سئل الباقر عليه السلام عن هذه الاية فقال: النّور و الله الائمّة عليهم السلام، لنور الامام فى قلوب المؤمنين انور من الّشمس المضيئة بالنّهار، و هم الّذين ينوّرون قلوب المؤمنين و يحجب الله نورهم عمّ يشاء فنظلم قلوبهم و يغشيهم بها.

اعلم، انّ النّور هو الّذى ظهر بذاته و اظهر غيره و هذا حقّ الوجود فانّه الظّاهر بذاته بحيث انّه اقدم البديهيّات و اوّل المدركات، و بعد تعيين المفهوم هو اوّل المسؤلات، فانّ الّسؤال بما الّشارحة الّذى هو سؤال عن مفهوم اللّفظ مقدّم على الّسؤال بهل البسيطة.

و بعد تعيين مفهوم اللّفظ لايسأل الّا بهل البسيطة و بعد الّسؤال بهل البسيطة يكون سائر الّسؤالات، و معنى كونه مظهراً للاشياء انّه لاظهور لشىءٍ من الاشياء على مدرك من المدارك الّا بالوجود.

و الوجود الظّاهر بذاته المظهر لغيره هو المشيّة الّتى هى فعل الحقّ الاوّل تعالى واضافته الى الاشياء و هى الولاية المطلقة الّتى جميع الولايات الجزئيّة حِصصٌ منها و كلّ موجودٍ موجودٌ بها و كلّ ظاهرٍ ظاهرٌ بها حتّى النّور العرضىّ الّذى به يظهر الّسطوح و الاشكال و الالوان، فانّه لولا الوجود لما ظهر ذلك النّور على الابصار و لما اظهر الاشياء.

و كلّ امامٍ لمّا صار متّصلا بالمشيّة نحو اتّصال فى الصّعود بعد ما كان

متّصلا بها مثل سائر الاشياء فى النّزول و بذلك الاتّصال يؤثّر فيمن اتّصل به و يفيده فعليّةً وجوديّةً فى الصّعود لم تكن له تلك الفعليّة و بتلك الفعليّة يظهر عليه وجوده و فسّروا النّور بالامام قبل الاتّصال بالامام.

و تلك الفعليّة وجود حادث فى فعليّات هذا المتّصل و مقوّمة لسائرها و محيطة بها، و هى الايمان الدّاخل فى قلب المؤمن بالبيعة الخاصّة الولويّة، و بتلك الفعليّة يظهر على المؤمن الّسالك دقائق اخلاقة الّتى هى ادّق من الّشعر و اخفى من دبيب النّملة الّسوداء على الصّخرة الصمّاء فى اللّيلة الظّلماء، و يظهر عليه مثل هذا الّشرك الخفىّ و لم تكم تظهر عليه امثال هذه قبل ذلك.

و لم تكن تظهر بنور الّشمع و الّسراج، و لابنور الكواكب و القمر، و لابنور الّشمس الّتى هى انور، و لمثل هذا النّور و هذا الظّهور قديرى المؤمن نفسه اسوة من كلّ مسىءٍ و اشدّ ذنباً من كلّ مذنبٍ، و قد يصير مبغضاً لنفسه اشدّ بغضٍ، و لمثل هذا الظّهور يصير الدّنيا سجناً له. هذا هوالظّهور العلمىّ و الحالىّ الوجدانىّ.

و قد يظهر الامام بصورته الملكوتيّة النّورانيّة على صدر الّسالك و هذا الظّهور هو ظهور القائم عليه السلام فى العالم الصّغير و حينئذٍ تشرق ارض وجود الّسالك بنور ربّه اشراقاً اشدّ من اشراق ارض العالم الكبير بنور الّشمس و لشدّه الاشراق لاترى فيها عوجاً و لاامتاً.

و يومئذٍ تحدّث اخبارها، و اخرجت اثقالها. فعليكم بالاتّصال بهذا النّور فان لم يظهر عليكم الامام بصورته الملكوتيّة فلا اقلّ من ظهور الرّذائل و الخصائل بنوره و لااقلّ من ادراك قبح الرّذائل ثمّ الانزجار منها و

ادراك حسن الخصائل ثمّ الرّغبة فيها و الطّلب لها.

[وَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] ترغيب و تهديد [يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ] ظرف لخبير او لاذكروا مقدرّاً كأنّه قيل: فما نفعل حتّى يستقيم ايماننا بهذا النّور؟ـ فقال: اذكروا حضوركم عند ربّكم حتّى يسهل عليكم الايمان بهذا النّور و تستقيموا على الايمان به.

[ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ] يوم ظهور غبن المغبون، او يوم غبن اهل الجنّة اهل النّار بنزولهم منازل اهل النّار فى الجنّة، و فى الخبر يوم يغبن اهل الجنّة اهل النّار.

[وَ مَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صَٰلِحًا] اىّ صالحٍ كان حتّى يظهر بعملٍ صالحٍ ما صحّة ايمانه او يعمل صالحاً عظيماً هو قبول الولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة.

[يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِى وَ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَ بِئْسَ ٱلْمَصِيرُ] قد مضى الايتان مكرّرتين [مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ان كان من يؤمن بالله و يعمل صالحاً كذا و كذا فى الاخرة فلم يصيبهم المصائب فى الدّنيا؟ـ فقال: اصابة المصيبة من مصيبة الّا باذن الله، و ليست الّا لحكمة تكميل المؤمن.

او كأنّه قيل: كأنّ كفر الكافر ليس باذن الله؟ـ فقال: ما اصاب من مصيبةٍ الّا باذن الله غاية الامر انّ مصيبة المؤمن تكون تكميلاً له، و مصيبة الكافر او كفره كانت باستعداده الّسابق و نقمة له.

[وَ مَن يُؤْمِن بِاللَّهِ] بالبيعة العامّة [يَهْدِ قَلْبَهُو] للايمان

الخاصّ و البیعة الخاصّة، او من یؤمن بالله بالبیعة الخاصّة یهد قلبه الی العلم بانّ اصابة المصائب لیس الّا باذن الله.

عن الصّادق علیه السلام انّ القلب لیترجّج[1] فیما بین الصّدر و الحنجرة حتّی یعقد علی الایمان، فاذا عقد علی الایمان قرّ و ذلک قول الله عزّ و جلّ: و من یؤمن بالله یهد قلبه.

[وَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ] فیعلم القلوب و ایمانهم و سائر احوالها [وَ أَطِیعُواْ ٱللَّهَ وَ أَطِیعُواْ ٱلرَّسُولَ] فی جمیع ما قالاه لکم او فی خصوص ولایة علیٍّ علیه السلام و هذا هو المنظور، فانّ المقصود من طاعة الله و رسوله صلی الله علیه و آله فی سائر ما امر رسوله صلی الله علیه و آله انتهاء الطّاعة الی قبول الولایة لانّها المنظور من کلّ منظورٍ، و المطلوب من کلّ مطلوب.

[فَإِن تَوَلَّیْتُمْ] عن الله و رسوله فلایرد علیه شیئٌ من ذلک [فَإِنَّمَا عَلَیٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِینُ] و قد بلّغ رسالته او احکام رسالته او ولایة خلیفته [ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَ عَلَی ٱللَّهِ فَلْیَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ] لانّ الایمان یقتضی الاقرار بان لامبدء لحادثٍ من الحوادث الّا الله، و هذا الاقرار یقتضی التّوکّل علیه و التّوسّل به؛ و ترک التّوسّل و التّوکّل علی غیره.

و لمّا کان الاشتغال بالکثرات مطلقاً مانعاً للقلب عن التّوجّه الی الله و الاشتغال بطریق الولایة و کان الایمان بالنّور الّذی هو الولایة امراً مهمّاً مرغوباً فیه، و کان الاشتغال بما یکون القلب متعلّقاً به من الکثرات اشدّ منعاً و اکثر تأثیراً فی ذلک خصوصاً الازواج و الاولاد لشدّة تعلّق القلب بهما نادی المؤمنین تلطّفاً بهم و حذّرهم عن التّعلّق بهما.

---

(۱) ای یتزلزل و ترجرج = تحّرک و اضطرب.

ثمّ امرهم بالعطوفة عليهما فقال: [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ] يعنى انّ بعض الاولاد و الازواج يكونون معينين لكم فى امر آخرتكم و يكونون محبّين لكم فى ذلك، لكنّ البعض الاخر يكونون اعداءً لكم فى امر آخرتكم لاسيّما اذا كانوا مخالفين او موافقين فى جهة الدّنيا لافى جهة الاخرة سواءٌ ظهر منهم عداوةٌ فى الظّاهر او لم يظهر.

[فَاحْذَرُوهُمْ] و لاتخالفوا امر الله فى رضاهم ولكن لاتدعوهم الى انفسهم و ادعوا الله لهم و اطلبوا من الله المغفرة لهم.

[وَإِن تَعْفُواْ] عن مسيئهم [وَ تَصْفَحُواْ] بتطهير القلوب عن الحقد عليهم [وَ تَغْفِرُواْ] مساويهم يغفر الله لكم و يرحمكم او يغفر الله لكم و لهم و يرحمكم و ايّاهم [فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ].

نسب الى الباقر عليه السلام فى هذه الاية، انّ الرّجل كان اذا اراد الهجرة الى رسول الله صلّى الله عليه وآله تعلّق به ابنه و امرأته و قالوا: ننشدك الله ان تذهب عنّا و تدعنا فنضيع بعدك، فمنهم من يطيع اهله فيقيم فحذّرهم الله ابناءهم و نساءهم و نهاهم عن طاعتهم، و منهم من يمضى و يذرهم و يقول: اما و الله لئن لم تهاجروا معى ثمّ يجمع الله بينى و بينكم فى دار الهجرة لاانفعكم بشىءٍ ابداً. فلمّا جمع الله بينه و بينهم امره الله ان يحسن اليهم و يصلهم فقال: و ان تعفوا و تصفحوا و تغفروا فانّ الله غفورٌ رحيمٌ.

[إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ] الّتى امر الله بحفظها [فِتْنَةٌ] لكم اى اختبارٌ او فساد او عذابٌ لكم [وَ ٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ] لمن آثر طاعة الله على محبّة الاموال و الاولاد، او لمن حفظهما بأمر الله و توجّه اليهما لله و

تحمّل مشاقّ حفظهما و مشاقّ تربية الاولاد و تنمية الاموال لله.

عن امير المؤمنين عليه السلام: لايقولنّ احدكم: اللّهم انّى اعوذبك من الفتنة لانّه ليس احدٌ الّا و هو مشتمل على فتنةٍ و لكن من استعاذ فليستعذ من مضّلات الفتن فانّ الله يقول: و اعلموا انّما اموالكم و اولادكم فتنة و قد مضى هذه الاية فى سورة الانفال.

[فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ] فى تعلّق القلب بالكثرات و فى ترك الكثرات و طرحها و فى الانتقام من الازواج و الاولاد او الحقد عليهم، او اذا كان الله عنده اجر عظيمٌ فاتّقوا الله فى جميع اوامره و نواهيه.

[مَا ٱسْتَطَعْتُمْ] فانّ الله لايكلّف نفساً الّا وسعها [وَ ٱسْمَعُواْ] منه اوامره و نواهيه على السنة خلفائه [وَ أَطِيعُواْ] رسوله صلى الله عليه و آله.

[وَ أَنفِقُواْ] من اموالكم و اعراضكم و قواكم و نسب الافعال و الاوصاف الى انفسكم و انانيّاتكم [خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ] صفة مفعول مطلق، او هو مفعول به لانفقوا، او مفعولٌ لمحذوفٍ اى انفقوا و ادركوا خيراً ممّا تنفقون لانفسكم و هو النّعيم الباقى الاخروىّ.

او خبر لكان محذوفاً اى انفقوا يكن الانفاق خيراً لانفسكم [وَ مَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ] قد سبق هذه الاية فى سورة الحشر [إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ] قد مضى الاية مع بيانها فى سورة البقرة [وَ ٱللَّهُ شَكُورٌ] و مقتضى شكوريّته ان يضاعف المقرض عوض قرضه.

حَلِيمٌ] لايعاجل بالمؤاخذة من لم يقرض [عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَ ٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ].

سُورَةُ ٱلطَّلَاقِ

مدنيّة، احدى عشرة آيةً، و قيل: اثنتا عشرة آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ] نداءٌ و خطابٌ له تشريفاً له ولكنّ المقصود بالحكم امّته و لذلك اشرك الامّة فى الخطاب معه حين الحكم.

[إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ] فى عدّتهن، و العدّة ههنا هى الطّهر كما عن الباقر عليه السلام: العدّة الطّهر من المحيض [وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ] اى مدّة التّربّص و هى ثلاثة قروءٍ فى ذوات القرء، و ثلاثة اشهرٍ فى ذوات الاشهر، و وضع الحمل فى الحامل.

[وَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ] فى التّضييق عليهنّ حتّى يضطررن الى الفداء للطّلاق، او فى تطويل المدّة و العدّة، او فى حبسهنّ بعد العدّة، او فى عدم طلاقهنّ و ابقائهنّ بلاقسامةٍ.

[لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ] بعد الطّلاق حتّى تنقضى عدّتهنّ [وَلَا يَخْرُجْنَ] بانفسهنّ لعلّ الله يجعل بينهنّ و بين ازواجهنّ تعاطفاً و الفةً، و عن الكاظم عليه السلام انّما عنى بذلك الّتى تطلّق تطليقةً بعد تطليقةٍ فتلك الّتى لاتخرج و لاتخرج حتّى تطلّق الثّالثة.

فاذا طلّقت الثّالثة فقد بانت منه و لانفقة لها، و المرأة الّتى يطلّقها الرّجل تطليقةً ثمّ يدعها حتّى يخلو اجلها فهذه ايضاً تقعد فى منزل زوجها ولها النّفقة و السّكنى حتّى تنقضى عدّتها.

[إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ] المراد بالفاحشة ههنا الزّنا او اذاها

لاهل الرّجل و سوء خلقها، او اشرافها على الرّجال، او سلاطتها على زوجها، او مساحقتها و قد اشير الى كلّ فى الاخبار.

[وَ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ] حدود حماه واحكامه المقرّرة لعباده [وَ مَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُو لَا تَدْرِى] يا محمّد ﷺ، او يا من يتأتّى منه الخطاب، او الفاعل راجع الى النّفس فى نفسه، او الى المطلّقة المستفادة بالتّضمّن.

[لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ] الطّلاق او بعد ذلك البقاء فى بيوت ازواجهنّ [أَمْرًا] و هو رغبة الزّوج فى المطّلقة و رجوعه اليها، و هذا هو علّة التّربّص و عدم الخروج من بيوتهنّ.

[فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ] اى قاربن من آخر مدّتهنّ [فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ] اى راجعوهنّ و أمسكوهنّ فى بيوتكم مع ان تحسنوا صحبتهنّ و قسامتهنّ [أَوْفَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ] بنحو يعدّه العقل و العرف حسناً بان تدعوهنّ يخرجن من بيوتكم و يتزوّجن بغيركم.

[وَ أَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ] على الطّلاق او على الطّلاق و على الامساك يعنى الرّجوع اليهنّ [وَ أَقِيمُواْ] ايّها الشهود [ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ] لابتغاء مرضاة الله لالرضا المشهود له، او للاعراض و الاغراض الدّنيويّة [ذَٰلِكُمْ] الامر بالطّلاق فى الطّهر و احصاء العدّة و عدم اخراج المطلّقات و الامساك بالمعروف او المفارقة بالمعروف.

[يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ ٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ] فانّه الملتفت لحكمه و مصالحه و الطّالب لان يأتمر بأوامر الله [وَ مَن يَتَّقِ ٱللَّهَ] فى خلاف اوامره و نواهيه و التّجاوز عن حدوده.

[يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا] من شبهات الدّنيا و من غمرات الموت و شدائد يوم القيامة و من كلّ فتنة و من كلّ الدّنيا او الاخرة و قد اشير الى كلّ فى الاخبار، و لعلّ اطلاق المخرج كان لتعميمه لكلّ ما يمكن ان يصدق عليه.

و عن الصّادق عليه السلام عن آبائه عن عليٍّ عليه السلام: من آتاه الله برزق لم يخط اليه برجله، و لم يمدّ اليه يده، و لم يتكلّم فيه بلسانه، و لم يشدّ اليه ثيابه، و لم يتعرّض له كان ممّن ذكره الله عزّ و جلّ فى كتابه: و من يتّق الله (الاية)، و عنه عليه السلام انّ قوماً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا نزلت هذه الاية اغلقوا الباب و اقبلوا على العبادة و قالوا: قد كفينا فبلغ ذلك النّبىّ صلى الله عليه وآله فأرسل اليهم فقال: ما حملكم على ما صنعتم؟ـ فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله تكفّل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة، فقال: انّه من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطّلب.

[وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ] عن الصّادق عليه السلام: هؤلاء قومٌ من شيعتنا ضعفاء ليس عندهم ما يتحمّلون به الينا فيستمعون حديثنا و يقتبسون من علمنا فيرحل قوم فوقهم و ينفقون اموالهم و يتعبون ابدانهم حتّى يدخلوا علينا فيسمعوا حديثنا فينقلوه اليهم فيعيه هؤلاء و يضيعه هؤلاء فاولئك الّذين جعل عزّ و جلّ لهم مخرجاً و يرزقهم من حيث لايحتسبون، و لايخفى تعميم الرّزق للرّزق النّباتىّ و الحيوانىّ و الانسانىّ.

[وَ مَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ] فى امور دنياه و آخرته لانّ التّوكّل عبارة عن الخروج عن ارادة النّفس و انتفاعة و الايتمار بأمر الله من دون النّظر الى غايةٍ نافعةٍ من امره تعالى و امتثاله للنّفس، و هذا المعنى لاينافى الجدّ فى مكاسب الدّنيا او عبادات العقبى كما يظنّ.

[فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ] لكمال علمه و قدرته و احاطته [إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ] الى ما يريد من غير مانعٍ يمنعه و من غير عجز له.

[قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فما لنا نرى المتوكّلين على الله لايكفى مهمّاتهم؟

ـ فقال: قد جعل الله لكلّ شىءٍ قدراً تقديراً فى عالم التّقدير، او مقدّراً لايتجاوز عنه، و لذلك: لايعجّل كفاية امور المتوكّلين، او هو ايضاً تعليل للامر بالتّوكلّ.

[وَ ٱلَّـٰٓـِٔى يَـئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ] بانقطاع الحيض عنهنّ لمرضٍ او حملٍ او لكبرٍ لكن لم يبلغ كبرهنّ الى خمسين او ستّين، او كان بلوغهنّ مشكوكاً فيه، و امّا الّلائى يئسن من المحيض بسبب البلوغ الى الخمسين او الّستّين فلايبصرون بعد التّفريق ثلاثة اشهر و لايعتددن من الطّلاق اصلاً .

و لذلك قال [إِنِ ٱرْتَبْتُمْ] فى كبرهنّ و بلوغهنّ الى سنّ من لاتحيض [فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَ ٱلَّـٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ] بعد ولكنّهنّ بلغن سنّ من تحيض فعدتهنّ ثلاثة اشهرٍ مثل من قطع حيضهنّ و لم يبلغن خمسين او ستّين.

[وَ أُو۟لَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ] اى مدّة عدّتهنّ او آخر عدّتهنّ [أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ] و بيان الطّلاق و كيفيّته و اقسامه مذكورة فى الكتب الفقهيّة.

[وَ مَن يَتَّقِ ٱللَّهَ] فى امر النّساء، او فى احكام الطّلاق، او فى الرّفق بهنّ و عدم الاقدام على الطّلاق، او فى مطلق احكام الله.

[يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا] فى الدّنيا او فى الدّنيا و الاخرة.

[ذَٰلِكَ] المذكور من امر النّساء او من امر الطّلاق و العدّة [أَمْرُ ٱللَّهِ] اى حكمه [أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ] تأكيدٌ للّسابق و اشارة الى غايةٍ اخرى، او الاوّل اشارة الى التّقوى فى امر النّساء، و الثّانى الى التّقوى فى مطلق احكام الله.

[يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ] الّتى وقعت منه قبل التّقوى او بالخطاء [وَ يُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا] فى الاخرة [أَسْكِنُوهُنَّ] اى أسكنوا المطلّقات الّلاتى لايخرجن من بيوتكم.

[مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم] يعنى لاتجعلوا مساكنهنّ ادون من مساكنكم [مِّن وُجْدِكُمْ] ممّا تجدون لسكناكم [وَ لَا تُضَآرُّوهُنَّ] فى الّسكنى او لاتضارّوهنّ من جهةٍ اخرى غير الّسكنى.

[لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ] فتلجئوهنّ الى الخروج من مساكنكم [وَ إِن كُنَّ أُوْلَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ] يعنى انّ الرّجعيّات الّلاتى عليهنّ البقاء فى بيت الزّوج لهنّ النّفقة و البائنات لانفقة لها الّا ان يكنّ حاملاتٍ فلهنّ النّفقد حتّى يضعن حملهنّ.

[فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ] اولادكم بعد وضع الحمل و انقطاع علاقة النّكاح [فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ] على الارضاع لكم [وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ] يعنى ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف فى الارضاع و فى ايتاء الاجر [وَ إِن تَعَاسَرْتُمْ] اى تضايقتم ايّها الاباء عن اتمام الاجرة و ايفاء ما هو حقّ الامّهات من الاجور، و ايّتها الامّهات من المساهلة فى مقدار الاجرة.

[فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ] مرضعةٌ اخرى و هو عتابٌ للاباء على

المضائقة فى الاجرة و مقدارها، و للامّهات على المضائقة المزبورة.

[لِيُنفِقْ] على ما ينبغى ان ينفق عليه من النّفس والاولاد و الاباء و الازواج و سائر من تحت اليد من العبية و الاماء و الخدم و المطلّقات الرّجعيّات و البائنات الحاملات، او لينفق على المطلّقات الرّجعيّات و البائنات الحاملات، او على البائنات الحاملات، او على البائنات الخارجات عن العدّة المرضعات للاولاد.

[ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَ مَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ] وضيق فى المعيشة [يُسْرًا] وسعة فى المعيشة.

روى عن الصّادقعليه السلام انّه سئل عن الرّجل الموسر يتّخذ الثّياب الكثيرة الجياد و الطّيالسة و القمص الكثيرة يصون بعضها بعضاً يتجمّل بها ايكون مسرفاً؟ـ قال: لا، لانّ الله عزّ و جلّ قال: لينفق ذوسعةٍ من سعته.

[وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ] عطف على قوله: و من يتّق الله، و تلويح الى انّ من لايتّقى يكون له العاقبة الّسوءى [فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا] بالاستقصاء فى المحاسبة و المدّاقّة فيها و من يداقّه الله فلامناص له.

[وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا] منكراً لايعرفه احدٌ لعظمته [فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا] ضياعاً لاصل البضاعة و بيانه قوله [أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا] فى الدّنيا او القيامة و بعدها.

[فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ] الّذين صاروا ذوى لبٍّ بالولاية و البيعة الولويّة و لذلك فسّره بقوله [ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟] بالبيعة الخاصّة الولويّة

و دخول الايمان بها فى قلوبهم، و يجوز ان يكون التّقدير يا ايّها الّذين آمنوا، و يجوز ان يكون خبراً لمبتدءٍ محذوفٍ.

[قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَّسُولًا] المراد بالّذكر الرّسول ﷺ، او المراد بالّذكر جبرئيل، او المراد بالّذكر القران، و رسولاً بدل منه بدل الاشتمال [يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] بالبيعة العامّة او الخاصّة.

[وَ عَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ] بالوفاء بالّشروط المأخوذة فى البيعتين [مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَ مَن يُؤْمِن م بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ٱللَّهُ] بدل من الله فى احسن الله له رزقاً، او مبتدءٌ خبره الموصول الاتى، او خبرٌ لمبتدءٍ محذوفٍ.

[ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَ مِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ] فى العدد، روى عن الرّضا عليه السلام: انّ الارضين الّسبع احديها الارض الّتى تحت اقدامنا، و ثانيتها الّسماء الاولى، و ثالثتها الّسماء الثّانية، الى الّسادسة.

و على ما سبق منّا مكرّراً من انّ العوالم بعضها الغالب عليه الكيفيّة الارضيّة، و بعضها الغالب عليه الكيفيّة الّسماويّة نقول: الارض الاولى هى الهيولى الاولى، و الثّانية الامتداد الجسمانىّ، و الثّالثة البسائط العنصريّة، و الرّابعة المادّة الجماديّة، و الخامسة المادّة النّباتيّة، و الّسادسة المادّة الحيوانيّة، و الّسابعة المادّة البشريّة؛ او الاولى عالم المثال الّسفلىّ، و الثّانية عالم الموادّ، و الثّالثة عالم الطّبائع، و الرّابعة عالم النّفوس النّباتيّة، و الخامسة عالم النّفوس الحيوانيّة، و الّسادسة عالم النّفوس البشريّة، و

الّسابعة عالم المثال العلوىّ.

[يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ] بـتنزّل الامـر بـينهنّ او بـخلق الّسماوات الّسبع و الارضين الّسبع.

[أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَام] فانّ النّاظر الى الّسماوات فى العالم الكبير او الصّغير والى الارضين فيهما يظهر آثار قدرته و علمه و رأفته بخلقه له، و هكـذا احـاطة عـلمه بالجليل و الحقير.

سُورَةُ ٱلتَّحْرِيمِ

مدنيّة، و اثنتا عشرة آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَ ٱللَّهُ غَفُورٌ] يغفرلكم ما لحقكم من ايمانكم [رَّحِيمٌ] يرحمكم بعد المغفرة.

[قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ] اى اوجب الله او قدّر الله او اثبت [تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ] اى تحليل ايمانكم او كفّارة ايمانكم فانّها ما به التّحليل.

[وَ ٱللَّهُ مَوْلَـٰكُمْ] فهو اولى بالاسترضاء [وَ هُوَ ٱلْعَلِيمُ] بمصالحكم فاذا قال حلّلوا ايمانكم بالكفّارة فحلّلوا.

[ٱلْحَكِيمُ] فى فعاله واقواله فلا يشرع لكم ولا يأمركم و لاينها كم الّا بما فيه مصالح و له غايات شريفة انيقة، و قال الّذين توسّلوا بأمثال هذه الاية فى تصحيح خلافة خلفائهم و امامة ائمّتهم.

انّ فى هذه الاية دلالةً على انّه تعالى عاتب نبيّه ﷺ و ليس العتاب الّا لذنبٍ صدر منه و الّذنب ههنا كما نقل فى نزول الاية تحريمه ﷺ من قبل نفسه بدون امر الله مارية القبطيّة او شرب العسل على نفسه.

فنقول: مثل هذا العتاب يدلّ على كمال عنايته بمحمّدٍ ﷺ و رأفته به بحيث لم يرض انّه ﷺ حرّم على نفسه بعض الملاذّ المباحة، كالاب الّشفيق الّذى يمنع ولده عن ترك بعض الملاذّ النّفسانيّة شفقة عليه و منعاً له من الامساك عن بعض ما فيه حظوظ النّفس.

و لایدلّ على انّه صدر منه ذنب او خلاف امر، غاية الامر انّه يدلّ على انّه امتنع عن بعض املاذّ استرضاءً لبعض ازواجه، و استرضاء الازواج ممّا ندب عليه، اماترى جواز الكذب للازواج استرضاءً لهنّ.

قال القمّىّ و غيره سبب نزول الايات انّ رسول الله ﷺ كان فى بيت عايشة او فى بيت حفصة، فتناول رسول الله ﷺ مارية، فعلمت حفصة بذلك فغضب و اقبلت على رسول الله ﷺ، فقالت يا رسول الله، فى يومى فى دارى و على فراشى؟!

فاستحيى رسول الله ﷺ، فقال كُفّى، فقد حرّمت مارية على نفسى و انا اقضى اليك سرّاً ان انت اخبرت به فعليك لعنة الله و الملائكة و النّاس اجمعين، فقالت نعم ما هو!.

فقال ﷺ انّ ابابكر يلى الخلافة بعدى ثمّ بعده ابوك، فقالت من انبأك هذا؟

قال نبّأنى العليم الخبير، فاخبرت حفصة به عايشة من يومها ذلك، و اخبرت عايشة ابابكر، فجاء ابوبكر الى عمر، فقال له انّ عايشة اخبرتنى بشىءٍ عن حفصة و لااثق بقولها، فاسئل انت حفصة، فجاء عمر الى حفصة و قال، ما هذا الّذى اخبرت عنكِ عايشة؟ فانكرت ذلك و قالت ما قلت لها من ذلك شيئاً، فقال لها عمرانّ هذا حقّ فاخبر ينا حتّى نتقدّم فيه، فقالت نعم قال رسول الله ﷺ .فنزل جبرئيل على رسول الله بهذه السّورة و اظهره الله عليه يعنى اظهره الله على ما اخبرت به و عرّف بعضهاى خبرها و قال لم اخبرت ما اخبرتك؟! و اعرض عن بعضٍ يعنى لم يخبرهم بما يعلم، و قيل: خلا النّبىّ ﷺ فى بيت عائشة مع مارية فاطّلعت عليه حفصة فقال لها رسول

الله: لاتعلمی عائشة ذلك و حرّم عارية على نفسه، و اخبرها انّ اباها يملك بعده و بعده عمر فأعلمت حفصة عائشة الخبر و استكتمتها ايّاه فاطلع الله نبيّه ﷺ على ذلك و هو قوله: و اذا سرّ النّبىّ الى بعض ازواجه حديثا (الاية).

و قيل: انّ رسول الله ﷺ كان اذا صلّى الغداة يدخل على ازواجه واحدة واحدة و كان اذا دخل على حفصة حبسته و احضرت العسل له و انّ عائشة انكرت احتسابه عندها، فتواطئت مع بعض ازواجه انّه اذا دخل النّبىّ ﷺ عليهنّ يقلن متّفقاتٍ: انّا نجد منك ريح المغافير[1] فلمّا دخل الرّسول على كلٍّ قلن ذلك، فقال الرّسول ﷺ: لااشرب العسل بعد ذلك.

و قيل: كانت زينب بنت جحش تحبس النّبىّ ﷺ فتواطئت عائشة مع بعض ازواجه ان يقلن ذلك لما علمن انّه كان يشرب عند زينب العسل [وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا] حديث خلافة ابى بكر و عمر، او حديث تحريم مارية و امرها بكتمانه [فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ] عائشة به [وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ] اى اظهر اخبارها لعائشة.

[عَلَيْهِ] على محمّدٍ ﷺ [عَرَّفَ] تلك الزّوج المأمورة بالكتمان [بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ] كما مضى.

[فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ] حفصة [مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ] ثمّ خاطب الله على لسان جبرئيل و محمّدٍ ﷺ حفصة و عائشة.

---

(١) المغافر كمانبر و المغافير صمغ شجر فيه حرقة كرية الريح، الواحد مغفر كمنبر و مغفر بضمتين و مغفور بزيادة الواو على الضمتين، و مغفار و مغفير بكسرهما.

فقال: [إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ] من افشاء ما امرتما بكتمانه او من همّتكما لسمّه [فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا] الفاء سببيّة و الجزاء محذوفٌ يعنى ان تتوبا الى الله لاجل ميل قلوبكما عن الحقّ و الى خلاف محمّدٍ ﷺ الّذى ينبغى التّوبة منه كان خيراً لكما فقد صغت قلوبكما.

او الفاء للجزاء و قوله: قد صغت قلوبكما قائمٌ مقام الجزاء و المعنى ان تتوبا الى الله كان واجباً عليكما التّوبة لانّه قد صغت قلوبكما، و جمع القلوب لما عليه العرب من انّه اذا اضيف تثنية الى تثنية اتى بالتّثنية الاولى بصورة الجمع كراهة الاجتماع بين التّثنيتين.

و للاشعار بانّ لكلّ منهما قلوباً متعدّدة، و الاية باتّفاق المفسّرين من الخاصّة و العامّة فى عائشة و حفصة [وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَـٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ] و المراد بصالح المؤمنين علىّ بن ابى طالبٍ عليه السلام.

قيل: انّه سئل عمر بن الخطّاب من اللّتان تظاهرتا على رسول الله؟

ـ فقال: عائشة و حفصة، و عن الباقر عليه السلام قال: لقد عرّف رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام اصحابه مرّ تين، امّا مرّةً فحيث قال: من كنت مولاه فعلىّ عليه السلام مولاه، و امّا الثّانية فحيثما نزلت هذه الاية اخذ رسول الله ﷺ بيد علىٍّ عليه السلام و قال: يا ايّها النّاس هذا صالح المؤمنين، و قد ورد الرّواية بطريق العامّة و الخاصّة انّ المراد بصالح المؤمنين علىّ بن ابى طالب عليه السلام [عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ] الاتيان بالايمان بعد الاسلام للاشارة الى انّ الايمان غير الاسلام فليكن الطّالب طالباً للايمان بعد الاسلام.

[قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ] قـيل: المـراد منه الصّائمات، لقول النّبيّ صلّى الله عليه وآله: سياحة امّتي الصّيام، فانّ الصّوم عن مشتهيات النّفس اطلاق للنّفس، و في اطلاقها سياحه لها في ملك الرّبّ.

و قيل: المراد به ماضياتٍ في امر الله و طاعته، و قيل: مهاجراتٍ الى رسول‌الله صلّى الله عليه وآله.

[ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا] أتى بالعاطف لانّـهما بـمنزله صـفةٍ واحـدةٍ [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟] بالبيعة العامّة النّبويّة، او بالبيعة الخاصّة الولويّة. [قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ] وقاية الّشخص لنفسه من النّار بحفظه لها عن اتّباع الّشهوات و الغضبات و الحيل الّشيطانيّة، و وقايته لاهليه بأمرهم بالمعروف و تعليمه لهم و نهيهم عـن المنكر و تعليمه لهم و ترغيبهم في الخيرات و تحذيرهم عـن الّشـرور و اعلامهم بما هو غاية الغايات و نهاية النّهايات من الولايـة و اتّـباع وليّ الامر.

عن الصّادق عليه السلام: لمّا نزلت هذه الاية جلس رجل مـن المسـلمين يبكي و قال: عجزت عن نفسي كُلِّفت اهلي، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: حسبك ان تأمرهم بما تأمر به نفسك و تنهاهم عمّا تنهى عنه نفسك.

و بهذا المضمون ورد عنهم اخبارٌ كثيرةٌ.

[عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ] و هو حال او مستأنفٌ بتقدير القول من الملائكة او من الله.

[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] بالبيعة العامّة [تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ] بالبيعة الخاصّة، او المعنى يا ايّها الّذين آمنوا بالبيعة الخاصّة توبوا و ارجعوا من مقام نفوسكم الى الله الّذى مظهره قلوبكم.

[تَوْبَةً نَّصُوحًا] خالصة من وصمة العود، او توبة ناصحاً صاحبها لنفسه فيها بان يكون نادماً على مامضى و عازماً على التّرك فيما يأتى، او توبةً ترقع الخروق الّتى وقعت فى الدّين و ترتق الفتوق و تصلح الفاسد من النّصح بمعنى الخياطة.

او المراد بها التّوبة الجارية على يد ولىّ الامر فى البيعة الخاصّة الولويّة فانّها الّتى يخلّص صاحبها عن كلّ سوءٍ و غشٍّ و غلٍّ، و هى الّتى يبصر بها صاحبها كلّ سوءٍ و رذيلة فينصح نفسه فى الخلاص عنها، و هى الّتى ترقع كلّ خرقٍ وقع للنّفس قبلها.

اعلم، انّ للتّوبة بحسب الصّورة معانى فانّ معناها ان يقول الانسان: أتوب الى الله، او تبت الى الله، و ان يرجع الى نبىّ وقته او ولىّ وقته و باع على يده بيعةً عامّةً او بيعةً خاصّةً.

و ان يندم على المعاصى القالبيّة، و ان يندم على الرّذائل النّفسانيّة، و ان يندم على العائد الزّائغة، و ان يرجع عن ملاحظة نسبة الافعال الى نفسه، او ملاحظة نسبة الصّفات الى نفسه، او نسبة الوجود الى نفسه، و ان يندم على تلوّنه فى مقاماته و يطلب التّمكين و يرجع اليه و الكلّ توبةٌ و الكلّ منظور من الاية بحسب مراتب الاشخاص.

[عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ] من المعاصى القالبيّة و الرّذائل النّفسانيّة و العقائد الزّائغة و من رؤية الافعال من انفسكم و نسبة

الصّفات الى انفسكم و من انانيّاتكم.

[وَ يُدْخِلَكُمْ] بـعد ازالة السّـيّئات [جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ] قد مضى فى سورة آل عمران فى آخرها بيان جريان الانهار مـن تحت الجنّات [يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُو] اى باعوا البيعة العامّة او الخاصّة معه لكنّ المناسب لقوله تعالى.

[نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَـٰنِهِمْ] هو المعنى الثّانى و قد مضى فى سورة التّغابن بيان هذا النّور و انّه فى قـلب المـؤمن انـور مـن الّشمس المضيئة بالنّهار.

و اختار من جملة الجهات ما بين الايدى و الايمان اشعاراً بـجهتى النّفس المطيعة الّتى هى بحسب قوّتيها العّلامة و العمّالة، و امّا الخـلف و اليسار فانّهما لايكونان للنّفس المطيعة بمعنى انّه لايكون لهاجهة شيطانيّة و لاجهة حيوانيّة اللّتان يعبّر عنهما بالخلف و اليسار و لوكانتا لم يكن ذلك النّور فى تينك الجهتين.

[يَقُولُونَ] حالاً و قالاً [رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا] فانّهم بـظهور هـذا النّور و الصّورة الملكوتيّة من امامهم يشتدّ لوعتهم و يزداد حرقتهم و يزيد طلبتهم فيطلبون ازدياد الظّهور و اشتداد هذا النّور بحيث لايبقى لهم ذات و اثر، فانّ مثلهم فى تلك الحال مثل الفراش و الّسراج لايسكنون ما كان لهم ذات و حركة.

[وَ ٱغْفِرْ لَنَآ] الحدود و النّقائص الملحقة بنا المانعة لنا من كـمال ادراك هذا النّور [إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ] فى العالم الصّغير و العالم الكبير.

و قرأ الصّادق عليه السلام: جاهد الكفّار بالمنافقين قال: انّ رسول الله صلى الله عليه و آله لم يقاتل منافقاً قطّ انّما كان يتألّفهم.

و فی خبرٍ عنه: جاهد الكفّار و المنافقين، قال: هكذا نزلت فجاهد رسول الله صلى الله عليه و آله الكفّار، و جاهد علىّ عليه السلام المنافقين فجهاد علىٍّ عليه السلام جهاد رسول الله صلى الله عليه و آله.

[وَ ٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ] كفر النّفاق و ان كان لهم قرب الى الانبياء و الاولياء عليهم السلام.

[ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَ ٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا] الخاصّين بنا [صَـٰلِحَيْنِ] و كونهما تحتهما كنايةٌ عن كمال قربهما [فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا وَ قِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ وَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ] فانّ وصلة الكفّار و مخالطتهم لاتضرّهم كما انّ وصلة آسية و مخالطتها لفرعون ما كانت تضرّها.

[إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَ نَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِۦ وَ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ] اى القبطىّ التّابعين له [وَ مَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا] من ان ينظر اليه او تنظر هى بنفسها اليه.

[فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَ كُتُبِهِۦ] المراد بالكلمات هى الكلمات الوجوديّة و هى مراتب العالم مندرجة فى ابن آدم عليه السلام، و المراد بالكتب احكام النّبوّات و الرّسالات و آثار الولايات، و

منها الكتب التّدوينيّة.

[وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ] لامن القانتات بل هى عدّت من الرّجال، روى عن النّبىّ ﷺ انّه قال: كمل من الرّجال كثير و لم يكمل من النّساء الّا اربع، آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، و مريم بنت عمران، و خديجه عليها السلام بنت خويلد، و فاطمة بنت محمّدٍ ﷺ.

سُورَة المُلك

مكّيّة، ثلاثون آيةً، و قيل: احدى و ثلاثون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[تَبٰارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ] الملك يطلق على عالم الطّبع مقابل الملكوت العامّة الّتى هى جملة عالم الارواح، او الخاصّة و هى عالم المثال، و هذا الاطلاق هو المشهور عندهم، و يطلق على جملة ما سوى الله، و على الرّسالة و الصّدر المستنير بنورها، و على النّبوّة و القلب المستضىء بضوئها، و على الولاية الّتى بها يكون التّصرّف فى العباد و دعوتهم الى التّوحيد، و اليد تطلق على ما به التّصرّف، و على القدرة الّتى هى مبدء التّصرّف، و على صفات الله اللّطفية و القهريّة، و على عالمى الملكوت العليا و الملكوت السّفلى، و الكلّ مناسب ههنا.

[وَ هُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْىءٍ] من الممكنات الواقعة فى عالم الطّبع و عالمى الملكوت [قَديرٌ اَلَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ] لمّا كان الموت من اعدام الملكات، و اعدام الملكات لها حظّ ضعيفٌ من الوجود و ماله حظٌّ من الوجود صحّ تعلّق الخلق به قال: خلق الموت [وَ اْلحَيٰوةَ] و لمّا كان الموت فى عالم الطّبع بوجهٍ مقدّماً على الحيوة بالطّبع، او كان المنظور من ذكر خلق الموت و الحيوة التّهديد عن الشّرور و التّرغيب فى الخيرات و كان الموت فى هذا المنظور ابلغ قدّم الموت.

[لِيَبْلُوَكُمْ اَيُّكُمْ اَحْسَنُ عَمَلاً] و لم يقل، او اسوء عملاً، للاشارة الى انّ المنظور من كلّ ذلك ان يحسن الانسان عمله، و سوء العمل يكون من

الطّوارى و ليس علّة غائيّةً و حسن العمل يكون بنيّةٍ حسنةٍ كاملةٍ، و النّيّة الحسنة تكون بالعقل الكامل و لذلك ورد فى اخبارٍ عديدةٍ انّ المراد بـه ايّكم اتمّ عقلاً.

و روى عن الصّادق عليه السلام انّه قال: ليس يـعنى اكـثر عـملاً ولكـن اصوبكم عملاً و انّما الاصابة خشية الله و النّيّة الصّادقة ثمّ قال: الابقاء على العمل حتّى يخلص اشدّ من العمل، و العمل الخالص الّذى لاتريد ان يحمدك عليه احدٌ الّا الله عزّ و جلّ، و النّيّة افضل من العمل، الا و انّ النّيّة هو العمل، ثمّ تلا قوله عزّ و جلّ: قل كلٌّ يعمل على شاكلته يعنى على نيّته.

[وَ هُوَ الْعَزِيْزُ] الّذى لامانع له من حكمه و ارادته فليحذر الّذين يخالفون امره و يسيئون فى عملهم و ليرج الّـذين يـطيعونه و يـحسنون عملهم [الْغَفُورُ] فلا ييأس الّذين يعملون السّيّئات.

[اَلَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ طِبٰاقًا] مصدر او جمع، و الموصول بدل من الّذى فى تبارك الّذى، او صفة للعزيز، او خبرٌ بعد خبرٍ، او مبتدءٌ و خبره قوله [مٰا تَرٰى في خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفٰاوُتٍ] و العائد الرّحمن الّذى هو بـمعناه و المنظور منه بيان قدرته و حكـمته و عـنايته و بـخلقه و عـدم اهـمالهم بلاثوابٍ و عقابٍ و المراد بالتّفاوت الاختلاف فى الاتقان و عدمه، و قرئ من تفوّتٍ و هو بمعنى التّفاوت.

[فَارْجِعِ الْبَصَرَ] يعنى انظر الى السّماء ثمّ تفكّر فى نفسك و تأمّل فى خلل السّماء ثمّ ارجع بصرك الى السّماء [هَلْ تَرٰى مِنْ فُطُورٍ] انشقاق فيها و خللٍ و فسادٍ فى خلقها [ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ] فى ارتياد الخلل و النّقص و الفساد ليس التّثنية منظورة بل المنظور تكرار النّـظر و كـثرته

[يَنْقَلِبْ اِلَيْكَ الْبَصَرُ خٰاسِئًا] خسأ الكلب كمنع طرده، و خسأ الكب بعُد كانخسأ، و خسى من باب علم و خسأ البصر كمنع كلّ، و الخاسىء من الكلاب و الخنازير المبعد الّذى لايترك ان يدنو من النّاس.

[وَ هُوَ حَسِيرٌ] كليل و منقطع من الابصار من طول المدى فى الابصار، و نعم ما قال المولوىّ ﷺ فى بيان هذه الاية:

اندر اين گردون سكرر كن نظر زانكه حق فرمود ثمّ ارجع بصر

يك نظر قانع مشو زين سقف نور بارها بنگر ببين هل من فطور

چونكه گفتت كاندر اين سقف نكو بارها بنگر چو مرد عيب جو

[وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمٰاءَ الدُّنْيا] اى اقرب الّسماوات الى الارض فانّ جنس سماء الطّبع اقرب اصناف الّسماوات الى الارض، و ان كان المكوكبة منها هى الثّامنة منها، فانّ سماوات عالم المثال و عالم النّفوس و عالم العقول ابعد الّسماوات الى الارض، و هكذا فى العالم الصّغير سماء الصّدر المنشرح بالاسلام وسماء القلب الدّاخل فيه الايمان اقرب الّسماوات الى ارض البدن و ارض النّفس الامّارة و اللّوّامة.

[بِمَصٰابِيحَ] بالكواكب الصّوريّة او بالكواكب الّذكريّة الّنفسانيّة [وَ جَعَلْنٰاهٰا رُجُومًا لِلشَّيٰاطِينِ] كون النّجوم الّذكريّة رجوماً لّلشياطين واضح، و امّا كون الّشهب الّسماويّة رجوماً لّلشياطين فقد انكر الفلاسفة سقوط الكواكب عن محالّها لانّها بسائط و ليست مركّبةً من العناصر بل هى على ما خلقت من غير تغييرٍ و تغيّر، و الّشهب الّتى تترائى انّما تتكّون فى كرة الدّخان و هى انموذج للّشهب الّتى بها ترجم الّشياطين و الّا فالّشياطين من اهل عالم المثال الّسفلىّ و لاتزاحم بين اهل عالم المثالين و اجزاء عالم

الطّبع، و قد مضى فى سورة الحجر و سورة الصّافّات بيان لهذه الاية.

[وَ اَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعيرِ] فى الاخرة [وَ لِلَّذينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمَصيرُ اِذا اُلْقُوا فيها سَمِعُوا لَها شَهيقًا] صوتاً كصورت الحمير و قد مضى فى سورة هودٍ بيان انّ لهم فيها زفيراً و شهيقاً [وَ هِيَ تَفُورُ] اى تغلى بهم غليان المرجل بما فيه.

[تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ] اى تتفرّق من الغيظ على اعداء الله [كُلَّما اُلْقِيَ فيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها اَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذيرٌ قالُوا بَلى قَدْجاءَنا نَذيرٌ فَكَذَّبْنا وَ قُلْنا ما نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ اِنْ اَنْتُمْ اِلاّ في ضَلالٍ كَبيرٍ وَ قالُوا] اعترافاً بعدم التّحقيق و عدم التّقليد.

[لَوْ كُنّا نَسْمَعُ] و ننقاد لاولياء الامر و كنّا فى تقليدٍ صحيحٍ [اَوْ نَعْقِلُ] اى ندرك بعقولنا و نميّز الحق من الباطل و كنّا محقّقين.

[ما كُنّا في اَصْحابِ السَّعيرِ فَاعْتَرِفُوا بِذَنْبِهِمْ] لمّا رأوا قصورهم و تقصيرهم فى تشخيص حال الانبياء عليهم السلام.

[فَسُحْقًا لِاَصْحابِ السَّعيرِ] اى بعداً، روى انّ هذه الايات فى اعداء علىٍّ عليه السلام و اولاده، و الّتى بعدها فى اوليائهم [اِنَّ الَّذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ] حالكونهم فى الغيب من ربّهم، او حالكون الرّبّ فى الغيب منهم، او بسبب غيبة حالهم، او غيبة حال الرّبّ فى رضاه و سخطه عنهم، و قد سبق الاشارة الى انّ الخوف فى مقام النّفس و ظنّه والخشية ايضاً فى مقام النّفس لكن بعد ترقّبه الى ادنى مرتبة العلم او اعلاها، و قد سبق فى سورة الفاطر عند قوله: انّما يخشى الله من عباده العلماء بيان للخشية.

[لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ اَجْرٌ كَبيرٌ] و الايتان وعيد و وعد للفريقين [وَ

اَسِرُّوا قَوْلَكُمْ اَوِ اجْهَرُوا بِهِ] عطفٌ على واحد من الجمل الّسابقة لكـون الانشاء فى معنى الخبر فانّ الامر للتّخيير فهو فى معنى انتم مخيّرون بين الاسرار والاعلان او للتّسوية، و المعنى سواء اسراركم و اجهاركم بـالقول عنده.

[اِنَّهُ عَليمٌ بِذاٰتِ الصُّدُورِ] الّتى هى اخفى من القـول الخـفىّ، و المراد بذات الصّدور الخطرات و الخيالات، او النّيّات و العزمات، او القوى و الاستعدادات المكمونات الّتى لاشعور لصاحبى الصّدور بها.

[اَلاٰ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ] تأكيد لاحاطة علمه فانّ الخالق لايكون جاهلاً بمخلوقه [وَ هُوَ اللَّطيفُ] فى علمه بحيث لايشذّ عن علمه اصغر ما يكون [الْخَبيرُ] ببواطن الامور، روى انّ المشركين كانوا يتكلّمون فيما بـينهم باشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون: اسرّوا قولكم لئّلا يسمع اله محمّدٍ ﷺ فنبّه الله على جهلهم.

[هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ ذَلُولاً] مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [فَامْشُوا] اى اذ كانت ذلولاً فامشوا [فى مَنٰاكِبِهٰا] اى فى نواحيها.

[وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَ اِلَيْهِ النُّشُورُ] فاحذروا كفران نعمه و مخالفة امره [ءَاَمِنْتُمْ مَنْ فِى السَّمٰاءِ] يعنى الملائكة الّذين هم فى الّسـماء [اَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْاَرْضَ] كما فعل بقارون.

[فَاِذٰا هِىَ تَمُورُ] تضطرب قبل الخسف او بعده يعنى صرتم آمنين فتكفرون به و تكفرون بنعمائه لذلك و تخالفون امره و امر رسوله ﷺ فى ولاية علىٍّ عليه السلام.

[اَمْ اَمِنْتُمْ مَنْ فِى السَّمٰاءِ اَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حٰاصِبًا] اى رامياً لكم

بالحصباء او ريحاً حاملةً للتّراب.

[فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ] اى انذارى حين رأيتم المنذربه [وَ لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ] انكار عليهم فاعتبروا انتم بهم و تسلّ انت يا محمّد ﷺ عن تكذيبهم.

[اَوَلَمْ يَرَوْا اِلَى الطَّيْرِ] الم ينظروا فى آيات قدرته و لم يروا الى الطّير [فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ] باسطاتٍ اجنحتهنّ.

[وَ يَقْبِضْنَ] بالدّفيف أتى به مضارعاً لانّ الدّفيف يكون مكرّراً متدرّجاً و يناسبه المضارع الدّالّ على الاستمرار التّجدّدىّ، و الصّفيف اذا وقع يكون باقياً على الحالة الاولى و يناسبه الفاعل الدّالّ على الاستمرار من دون التّجدّد فى الحدوث.

[مَا يُمْسِكُهُنَّ] فى الجوّ [اِلَّا الرَّحْمٰنُ اِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ بَصِيرٌ] فيعلم دقائق مايحتاج اليه المخلوق و الغرض من النّظر الى الطّير ان ينظر العاقل الى انّها مخلوقة من التّراب و الغالب عليه الجزء الارضىّ و هى بالطّبع طالب للمركز، و انّ الله تعالى خلقها بحيث يكون تعيّشها فى الجوّ و قوتها يكون من حركتها فى الجوّ فى الاغلب فخلقها تعالى بحيث يكون جميع ماتحتاج اليه فى حركتها و تعيّشها فى الجوّ مهيّأةً.

و ليس هذا الّا فعل حكيم بصيرٍ قديرٍ و ليس فعل طبيعة الّسماء و الّسماويات كما يقول الدّهريّون، و لافعل الطّبائع الارضيّة كما يقول الطّبيعيّون فيعلم من ذلك مبدءً قديراً عليماً حكيماً لنفسه، و يعلم انّ الّذى لايهمل شيئاً ممّا يحتاج اليه الطّير لايهمل الانسان الّذى هو اشرف من الطّير و لم يخلقه عبثاً [أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ] ام منقطعةٌ و من

استفهاميّة للانكار و هذا الّذى خبره.

[يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ] ينصركم حالٌ او مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ او صفةٌ لجندٍ و توحيد الضّمير لوحدة صورة الجند و لذلك حمل على هذا و من دون الّرحمن بمعنى من عند الرّحمن متعلّق بينصركم او حال عن فاعل ينصركم، او بمعنى من غير الرّحمن، و حال من فاعل ينصركم او صفة اخرى لجند يعنى لايقدر اصنامكم و سائر جنودكم ان تنصركم فباىّ قوّةٍ تعصوننى.

[إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ] من الّشيطان [أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ] الله [رِزْقَهُ بَل] ليس اعتمادهم فى مخالفتهم على رازقٍ سوى الله يرزقهم ولكنّهم [لَّجُّوا] خاصموانبيّنا [فِى عُتُوٍّ] فى استكبار عن الحقّ و اهله و تجاوزٍ عن الحدّ فى اللّجاجة [وَ نُفُورٍ] من الحقّ و اهله [أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ] اى مصروعاً على وجهه فانّ كبّه واكبّه بمعنى صرعه، واكبّ بمعنى انكبّ لازمٌ و متعدٍّ [أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ] غير منحرفٍ عن المقصد، سئل الكاظم عليه السلام عن هذه الاية فقال: انّ الله ضرب مثلاً من حادّ عن ولاية علىٍّ عليه السلام كمن يمشى على وجهه لايهتدى لامره و جعل من تبعه سويّاً على صراطٍ مستقيمٍ، و الصّراط المستقيم امير المؤمنين عليه السلام.

[قُلْ] يا محمّد صلى الله عليه و آله لقومك [هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَ جَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَ ٱلْأَفْـِٔدَةَ] ذكراً من اصول ما يحتاج اليه الانسان ما هو اظهر، و الحاجة اليه اكثر [قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ] شكراً قليلاً او نعيماً قليلاً من نعمائه تشكرون [قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ] فهو المبدء و المنتهى و الفاعل و الغاية، و من تحتاجون اليه فى الدّنيا و الاخرة.

[وَ يَقُولُونَ] اى قومك المنكرون للبعث [مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ قُلْ] لهم انّ البعث خارج عن الزّمان انّما هو فى طول الزّمان لافى عرضه و انتم تسألون عن وقته فى عرض الزّمان.

و [اِنَّمَا الْعِلْمُ] بمرتبته فى طول الزّمان [عِنْدَاللهِ] من العلوم الخاصّة به لايعلمها غيره [وَ اِنَّما اَنَا نَرِيرٌ] من عنده [مُبِينٌ] ظاهرٌ او مظهرٌ لصدقى [فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً] ذازلفةٍ اى لمّا رأوا الموعود ذاقرب.

[سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ]لهم [هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ] قرئ بتخفيف الدّالّ و بتشديده، و المعنى فى كليهما واحد يعنى هذا الّذى كنتم تستعجلون به و تدعون الله بتعجيله، و قيل: هو من الدّعوى و المعنى كنتم تدّعون انّه ليس بحقٍّ، و يكون الباء للتّعدية او للاطلاق.

روى عن الباقر عليه السلام: هذه نزلت فى امير المؤمنين عليه السلام و اصحابه الّذين عملوا ما عملوا، يرون امير المؤمنين عليه السلام فى اغبط الا ماكن لهم فيسىء وجوههم و يقال: هذا الّذى كنتم به تدّعون الّذى انتحلتم اسمه.

و عنه عليه السلام فلمّا رأوا مكان علىٍّ عليه السلام من النّبىّ صلى الله عليه و آله سيئت وجوه الّذين كفروا يعنى الّذين كذّبوا بفضله، و الاتيان بالماضى فى قوله فلّما رأوا لتحقّق و قوعه على الاوّلين و لما ضويّته على الاخير.

[قُلْ أَرَءَيْتُمْ]ايّها الكفّار [إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ] اماتنى [وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا] بابقائنا الى آخر اعمارنا.

[فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ]هو عذاب الدّنيا او عذاب الموت البرازخ او القيامة، و هذا جواب لهم حيث قالوا نتربّص به ريب المنون.

[قُلْ هُوَ الرَّحْمٰنُ] المفيض للوجود و كمالات الوجود على كلّ

موجودٍ [اٰمَنّاٰ بِهِ] تؤمنون به او لاتـؤمنون [وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنا] فـلانبال مـعاداتكـم و مـودّتكم [فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ ضَلاٰلٍ مُبِينٍ] روى عـن الباقر عليه السلام فستعلمون يا معشر المكذّبين حيث انبأتكم رسالة ربّى فى ولاية علىٍّ عليه السلام و الائمّة عليهم السلام من بعده من هو فى ضلالٍ مبينٍ، كذا انزلت.

[قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا] غـائراً فـى الارض بـحيث لايمكن اجراؤه على وجه الارض و لانيله بدلوٍ و غيره.

[فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ] جارٍ او ظاهرٍ، و لمّا لم يكن اسم الماء خاصّاً بالماء العنصرىّ الّذى هو جسمٌ سيّالٌ محيطٌ بالارض بل كلّ ما كان سبباً لحياةٍ ما و سبباً لتماسك الاجسام اليابسة ماءٌ فالعلم و الايمان و افاضات الله كلّها مياهٌ بوجهٍ.

و الامام الّذى به يكون الايمان، و الولاية الّتى هى البيعة الخـاصّة الايمانيّة الّتى بها يحصل الايمان و يدخل بذر المعرفة فى القلوب مـاءٌ، و الحياة النّباتيّة و الحيوانيّة بمراتبها، و الانسانيّة بـمراتـبها كـلّها مـياهٌ، و العقول و الارواح و النّفوس الكلّيّة و الجزئيّة البشريّة و الحيوانيّة و النّباتيّة كلّها مياهٌ، و الرّوح النّفسانيّة الّتى هى مركب القوى الدّرّاكة و الحيوانيّة الّتى هى مركب حياة الاعضاء ماءٌ.

و المشيّة الّتى هى اصل كلّ اصلٍ و مبدء كلّ مبدءٍ و مـنتهى كـلّ منتهىً اصل المياه، فاذا عرفت ذلك سهل عليك تصوّر وجوه الاية و نعم ما قول المولوىّ قدس سره فى بيان وجهٍ من وجوه الاية:

مُـقرئى مـيخوانـد از روى كـتاب
مـاؤكم غـوراً زچشـمه بـندم آب
آبـرا در چشـمه كـه آرد دگـر
جز من بى مثل و بـا فـضل و خـطر

فــــلسفيّی مــنطقيّی مســتهان
میگذشت از سوی مکتب آن زمـان

چـونکه بشـنيد آيت او از نـاپسند
گــفت آريــم آب را مـا بـا كـلند

شب بخفت و ديد او يك شـير مـرد
زد طپانچه هر دو چشمش كور كـرد

گفت زين دو چشمهٔ چشم ای شقی
بـا تــبر نـوری بـيار ار صـادقی

روز برجست و دو چشمش كور ديد
نور فـائض از دو چشـمش نـاپديد

سُورَة القَلم

و هی مكّيّة، و قيل: من اوّله (الی قوله تعالی) سنسمه علی الخرطوم، مكّیّ، و ما بعده (الی قوله تعالی) لوكانوا يعلمون، مدنیٌّ، و ما بعده (الی قوله تعالی) يكتبون، مكّیّ، و ما بعده مدنیٌّ و هی اثنتان و خمسون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[نٓ] روی عنّ الصّادق عليه السلام و امّا نٓ فهو نهرٌ فی الجنّة قال الله عزّ و جلّ: اجمد، فجمد، فصار مداداً ثمّ قال عزّ و جلّ للقلم: اكتب، فسطر القلم فی اللّوح المحفوظ ما كان و ما هو كائن الی يوم القيامة فالمداد مداد من نورٍ و القلم قلمٌ من نورٍ، و اللّوح لوحٌ من نورٍ، و بهذا المعنی مع اختلافٍ فی اللّفظ اخبارٌ كثيرةٌ.

و قيل: المراد به الحوت الّذی عليه الارضون، و قيل: هو لوحٌ من نورٍ، و قيل: هوالدّواة، و قيل: هو مطلق الحوت فی البحر، و قيل: هو من اسماء الّسورة، و قيل: هو من حروف اسم الرّحمن، و قيل: هو من أسماء محمّدٍ صلّى الله عليه وآله و لعلّك بعد ما سبق فی اوّل البقرة يسهل عليك التّوفيق بين هذه الاقوال؛ و تعلم انّ نٓ كناية عن مرتبةٍ من مراتب العالم و انّ محمّداً صلّى الله عليه وآله متّحد مع جميع مراتب العالم و انّ مراتب العالم مراتب سعة وجود الله تعالی، و انّ الّورة ظهور تلك المرتبة.

[وَ ٱلْقَلَمِ] قيل: المراد به مطلق القلم، اقسم الله به لكثرة منافع الخلق به، اذهو احد لسانی الانسان بل هو اشرف لسانيه لانّ لسانه لايبلّغ ما فی

جنانه الى من بعد منه زماناً او مكاناً، و القلم يبلّغ ما فى جنان الانسان الى الاباعد منه، و الكلام يفنى من حينه و لو بقى اثره فى قلب الّسامع لم يبق فى الاغلب الى آخر عمره، و لو بقى لم يبق بعده خلاف كتاب القلم كما قيل: انّ البيان بيانان، بيان اللّسان و بيان البنان، و بيان اللّسان تدرسه الاعوام، و بيان الاقلام باقٍ على مرّ الايّام، و بالقلم يحفظ احكام الاديان و به يستقيم امور العالمين كما قيل: انّ قوام الدّنيا بشيئين، القلم و الّسيف، و الّسيف تحت القلم، و قد قيل:

ان يخدم القلَم السّيفُ الّذى خضعت

له الرّقاب و دانت حذره الامـمُ

كذا قضى الله للاقلام مذ برئت

انّ السّيوف لها مذ اُرهفت خدمٌ

و روى انّ المراد به القلم الاعلى الّذى سطر ما كان و ما هو كائن و هو ملك من الملائكة [وَ مٰا يَسْطُرُونَ] اقسم بالمسطورات او بالملائكة الّذين يسطرون ما كان و ما هو كائنٌ او الملائكة الّذين يسطرون احوال الارضيين، او كُتّاب الاعمال الّذين يسطرون اعمال بنى آدم، او النّاس الّذين يسطرون الكتب السّماويّة و الاحكام الالهيّة و الّشرائع الحقّة و الفنون و الصّناعات المعاشيّة والدّيون والمعاملات و المحاسبات الخلقيّة.

[مٰا اَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ] بنعمة ربّك حالٌ و الباء للمصاحبة، و العامل فيها معنى النّقى، او لّلسببيّة و متعلّقة بمعنى النّفى.

[وَ اِنَّ لَكَ لَاَجْرًا] على التّبليغ و تحمّل مشاقّه [غَيْرَ مَمْنُونٍ] اى غير مقطوع او غير ممنونٍ به عليك.

[وَ اِنَكَّ لَعَلٰى خُلُقٍ عَظيمٍ] الخلق بالضّمّ و بـالضّمّتين اَلّسـجيّة و الطّبع و المروءة و الدّين، و الكلّ مناسب ههنا، و لكنّ المراد هو اَلّسجيّة، فانّ المقصود انّك على خلقٍ تتحمّل به كلّ ما يرد عليك ممّا يغيّر غيرك اذا ورد عليه و لايغيّرك لاظاهراً و لاباطناً، و مثل ذلك الخلق لايكون الّا عن ديـن عظيم هو ولاية علىٍّ عليه‌السلام و هى الولاية المطلقة.

فانّ من ترقّى عن مقام البشريّة و وصل الى مقام الولاية المـطلقة يتبدّل جميع اوصافه الرّذيلة اَلّتى هـى الاخـلاق الحـيوانـيّة و الرّذائـل اَلّنفسانيّة بالاوصاف الملكيّة اَلّتى هى الخصائل الحسـنة و مـنها المـروّة الكاملة، و سبب الكلّ هو الطّبع الكامل و المزاج المعتدل و قد فسّـر فـى الاخبار بالدّين و الاسلام.

و عن الصّادق عليه‌السلام : انّ الله عزّ و جلّ ادّب نبيّه صلى‌الله‌عليه‌وآله فأحسن ادبه فلمّا اكمل له الادب قال: انّك لعلى خلق عظيمٍ.

و فى خبر انّ الله ادّب نبيّه صلى‌الله‌عليه‌وآله فاحسن تأديبه فقال: خذالعفو و امر بالعرف و اعرض عنالجاهلين، فلمّا كان ذلك انزلالله انّك لعلى خلقٍ عظيمٍ.

[فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ] البـــاء بـمعنى مـع، و المفتون بمعنى المصدر، او المفتون اسم مفعول، و المـعنى بأيّكـم العـقل المفتون، او هو من باب التّجريداى مع ايّكم الرّجل المفتون، او الباء زائدة، او بمعنى فى و المعنى فى اىّ الفريقين منكم المفتون.

روى عن الباقر عليه‌السلام انّه قال: قال رسولالله صلى‌الله‌عليه‌وآله : مامن مؤمنٍ الّا وقد خلّص وُدّى الى قلبه، و ما خلّص ودّى الى قلب احـدٍ الّا و قـد خـلّص ودّ علىٍّ عليه‌السلام الى قلبه، كذب يا علىّ من زعم انّه يحبّنى و يبغضك، فقال رجلان

من المنافقين: لقدفتن رسول‌الله صلى الله عليه وآله بهذا الغلام فأنزل الله تبارك: فستبصر و يبصرون بايّكم المفتون، قال: نزلت فيهما (الى آخر الايات).

[اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ] الّذى هو ولاية علىٍّ عليه السلام و الضّالّ عن سبيل الولاية هو المجنون حقيقةً.

[وَ هُوَ اَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] الى الولاية [فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ] لله اولك فى علىٍّ عليه السلام او لعلىٍّ [وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ] المداهنة و الادهان اظهار خلاف ما تضمر و الغشّ [فَيُدْهِنُونَ] و المعنى ودّوا دهانك و غشكّ او نفاقك او مداراتك معهم بخلاف ما اضمرت فيدهنون بعدك او ودّوا ادهانّك بسبب انّهم يدهنون على الاستمرار.

و قال القمّى: اى احبّوا ان تغشّ فى علىٍّ عليه السلام فيغشّون معك [وَ لَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ] تأكيدٌ للاوّل و تبديل للمكذّبين بين بالاوصاف الاخر ذمّاً لهم بجميع ذلك فانّ كلّ كذّاب يكون كثير الحلف، و كلّ كثير الحلف يكون مهيناً عند الخلق و عندالله.

فانّ كثرة الحلف لاتكون الّا من كون الحالف مهيناً عند الخلق و عندالله، فانّ كثرة الحلف لاتكون الّا من كون الحالف مهيناً لايقبل منه، و كثرة حلفه تصير سبباً لكونه مهيناً ايضاً.

[هَمَّازٍ] عيّابٍ طعّانٍ [مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ] النّمّ التّوريش و الاغراء و رفع الحديث اشاعة له و افسادا و تزيين الكلام، و النّميم و النّميمة اسم له.

[مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ] يمنع قواه و مداركه و اهل مملكته عن خيراتهم الحقيقيّة الّتى هى انقيادهم لولىّ امرهم و للعقل ثمّ عن خيراتهم المجازيّة الّلازمة لتلك الخيرات، ثمّ يمنع اهل المملكته الكبيرة عن الخيرات

الحقيقيّة، ثمّ عن الخيرات المجازيّة.

[مُعْتَدٍ] متجاوزٍ عن الحدّ او ظالمٍ على نفسه بالطّغيان على الامام [اَثيمٍ] كثير الاثم [عُتُلٍّ] العتلّ الاكول المنيع الجا فى الغليظ.

[بَعْدَ ذٰلِكَ] المذكور من المثالب [زَنيمٍ] الزّنيم المستلحق فى قومٍ ليس منهم و الدّعىّ و اللّئيم المعروف بلؤمة او شرهٍ.

روى عن النّبىّ ﷺ انّه سئل عن العتلّ الزّنيم فقال: هو الشديد الخلق المصحيح[١] لاكول الشروب الواجد للطّعام و الشراب الظّلوم للنّاس، الرّحب الجوف.

و عن علىٍّ عليه السلام: الزنيم هو الّذى لااصل له، و قال القمّىّ: الخير امير المؤمنين عليه السلام معتدٍ اى اعتدى عتّلٍ بعد ذلك قال: العتّل العظيم الكفر و الزنيم الدّعىّ.

[اَنْ كانَ ذامالٍ وَ بَنينَ اِذا تُتْلى عَلَيْهِ اٰياتُنا قالَ اَساطيرُ الْاَوَّلينَ] قد مضى بيان الاساطير مكرّراً فى السّابق.

و قيل: نزلت الايات فى الوليد بن المغيرة كان يمنع عشيرته عن الاسلام و كان موسراً و له عشر بنين فكان يقول لهم و للحمته: من اسلم منكم منعته رفدى و كان دعيّاً ادّعاه ابوه بعد ثمانى عشرةً من مولده.

[سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ] على الانف قيل: قد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدرٍ فبقى اثره، و قيل: انّه كناية عن ان يذلّه غاية الاذلال.

و قال القمّىّ: اساطير الاوّلين اى اكاذيب الاوّلين سنسمه على

---

(١) وزن مبالغة اى غائب الصّحة و قليل المرض و مقابله الممريض و الممراض، و الخير انّه لاخير فى البدن المصحاح.

الخرطوم قال فى الرّجعة اذا رجع امير المؤمنين عليه السلام و يرجع اعداؤه فيسمهم بميْسمٍ معه كمايوسم البهائم على الخراطيم الانف و الّشفتان.

[اِنّاٰ بَلَوْناٰهُمْ] اى اهل مكّة بالقحط و الجوع [كَماٰ بَلَوْناٰ اَصْحاٰبَ الْجَنَّةِ] المعهودة الّتى كانت مالكوها مستعدّين لان يصرموها فلمّا دخلوها وجدوها بلاثمرٍ لانّهم لم يستثنوا و كانت تلك الجنّة على تسعة اميالٍ من صنعاء اليمن و كانت يقال لها الرّضوان.

[اِذْاَقْسَمُوا] اى المالكون لها [لَيَصْرِ مُنَّهاٰ مُصْبِحيِنَ] وقت الصّباح [وَ لاٰ يَسْتَثْنُونَ] لايقولون ان شاءالله و سمّى استثناءً لما فيه من الاخراج من مشيّة القائل و التّعليق على مشيّة الله تعالى.

[فَطاٰفَ عَلَيْهاٰ طاٰئِفٌ] اى حرٌّ طائفٌ كالّسموم، او بردٌ طائفٌ [مِنْ رَبِّكَ وَ هُمْ ناٰئِمُونَ فَأَصْبَحَتْ] صارت وقت الصّباح.

[كَالصّرِيمِ] كالجنّة المقطوعة الثّمار او كاللّيل المظلم باحتراقها، او كالنّهار المضىء بابيضاضها و عدم خضرتها، فانّ الصّريم يطلق على اللّيل و النّهار.

[فَتَناٰدَوْا] نادى بعضهم بعضاً [مُصْبِحيِنَ] وقت الصّباح [اَنِ اغْدُوا عَلٰى حَرْثِكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صاٰرِميِنَ فَاْنطَلَقُوا] اى جنّتهم للصّرم.

[وَ هُمْ يَتَخاٰفَتُونَ] يتسارّون [اَنْ لاٰ يَدْخُلَنَّهاٰ] مفعول ليتخافتون بلاواسطةٍ او بواسطة الباء الجارّة.

[الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مسْكيِنٌ وَ غَدَوْا عَلٰى حَرْدٍ] اى على منع للفقراء، او على جدٍّ من امرهم، او على غضبٍ على الفقراء وقت الصّرم [قاٰدِرِينَ] اى يقدّرون عند انفسهم ذلك.

[فَلَمَّا] دخلوا بستانهم [رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ] عن جنّتنا فانّها ليست على صفة جنّتنا، او لضالّون عن طريق الحقّ فی امرنا حيث اردنا منع الفقراء فلذلك عوقبنا.

[بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ] بل هی جنّتنا لكنّا صرنا محرومين من ثمارها بارادتنا منع الفقراء [قَالَ أَوْسَطُهُمْ] سنّاً او اعدلهم او افضلهم و اعقلهم [أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ] تنزّهون الله فتؤدّوا شكر نعمه و تؤدّوا حقوقها، او تصلّون.

[قَالُواْ] اعترافاً بظلمهم لانفسهم و تنزيهاً للحقّ تعالى عن الظّلم [سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ قَالُواْ] اعترافاً [يَـٰوَيْلَنَآ] يا قوم ويلنا او نادوا الويل لغاية دهشتهم.

[إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ] و هذه تقال عند شدّة الغيظ و غلظ اليأس، و يقال عند التّوجّه الى الله و التّوبة اليه و النّدم على ما فرّط [عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ] و هذه تدلّ على انّهم تابوا الى الله و ندموا على ما فرّط منهم.

[إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ] فی الدّنيا [وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ] نسب الى عبدالله بن مسعود انّه قال: بلغی انّ القوم اخلصوا و عرف الله تعالى منهم الصّدق فابدلهم بها جّنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عقوداً.

و قال ابو خالد اليمامیّ: رأيت تلك الجنّة و رأيت كلّ عنقودٍ منها كالرّجل الاسود القائم.

[إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ] عن المعاصی او عن رؤية انفسهم [عِندَ رَبِّهِمْ

جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ] لم نجعل لهم جنّات.

[فَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ] كانوا يقولون ان كان بعث و جزاء كما يقوله محمّد ﷺ فانّ حالنا يكون افضل فى الاخرة كما فى الدّنيا و لو لم يكونوا يقولون ذلك بالسنتهم فانّهم كانوا يقولون ذلك بلسان حالهم فقال الله تعالى، ذلك ظنٌّ فاسدٌ و زعمٌ باطلٌ.

[مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ] على الله مالا يرضاه الجاهل او كيف تحكمون بينكم بترجيح الكافر المعاند على المسلم الموافق [أَمْ لَكُمْ كِتَـٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ] ذلك اى تقرأون و الحال ان ليس لكم كتاب و كتاب الله الّذى هو القران يحكم بخلاف ذلك.

[إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ] تدرسون معلّق عنه او هو استفهام على الاستيناف بتقديره اداة الاستفهام.

[أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ عَلَيْنَا بَـٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ] اى ثابت الى يوم القيامة او كاملة باقية.

[إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ] جوابٌ للقسم [سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ] المذكور من جعلنا المسلمين كالمجرمين [زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ] لله يجعلونهم مثل المسلمين.

[فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُواْ صَـٰدِقِينَ] فى دعويهم امر للتّعجيز [يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ] ظرف لقوله تعالى: فليأتوا، او المعنى فليأتوا بشركائهم فى الدّنيا حتّى نعلم انّ لهم شركاء و يوم يكشف ظرف لقوله تعالى: ترهقهم ذلّةٌ كناية عن هول اليوم و شدّته.

فانّ الامر اذا اشتدّ و احتاج الانسان الى الفرار يكشف عن ساقه يعنى

يوم يشتدّ الامر عليهم، او المعنى يوم يكشف عن ساق البدن الاخروىّ فانّ البدن الدّنيوىّ كالحجاب و اللّباس للبدن الاخروىّ بل بساق البدن الاخروىّ و لارادة ساق البدن الاخروىّ نكّر السّاق اشارة الى منكوريّته لهم او الى تفخيمه.

او المعنى يكشف عن شدّةٍ عظيمةٍ فانّه يكنّى عن الشّدّة بالسّاق، و هذا معنى قوله تعالى: و التفّت السّاق بالسّاق، او المعنى يوم يكشف عن اصل الامور و حقيقتها.

[وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ] لانّ استكبارهم عن السّجود فى الدّنيا يظهر بصورة عدم الاستطاعة له فى الاخرة.

عنهما عليهما السلام انّهما قالا: افحم[1] القوم و دخلتهم الهيبة و شخصت الابصار و بلغت قلوبنا الحناجر لما رهقهم من النّدامة و الخزى و الذّلّة.

و عن الرّضا عليه السلام انّه قال حجاب من نور يكشف فيقع المؤمن سجّداً و يُدَبَّحُ[2] اصلاب المنافقين فلا يستطيعون السّجود.

[خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ] من شدّة الهول و كثرة الشّدائد[وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ] فى الدّنيا، و عن الصّادق عليه السلام و هم سالمون اى مستطيعون.

و قال القمّىّ: يكشف عن الامور الّتى خفيت و ما غصبوا آل محمّدٍ صلى الله عليه وآله حقّهم و يدعون الى السّجود قال: يكشف لامير المؤمنين عليه السلام فيصير اعناقهم مثل صياصى البقر يعنى قرونها فلايستطيعون ان يسجدوا و

---

(١) افحم القوم عجزوا ـ و افحمه الهمّ منعه.

(٢) دبّح بالدّال و الباء الموّحدة المشدّدة و الحاء المهملة = بسطظهره و طأماً راسه.

هی عقوبة لهم لانّهم لم يطيعواالله فی الدّنيا فی امره و هو قوله و قد كانوا يدعون الی السّجود و هم سالمون قال الی ولايته فی الدّنيا و هم يستطيعون.

[فَذَرْنِی وَ مَن يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ] ای حديث ولاية علیٍّ عليه السلام، تهديد بليغ لهم [سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَ أُمْلِی لَهُمْ إِنَّ كَيْدِی مَتِينٌ] قد مضی الاية فی سورة الاعراف.

[أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ] قد مضت الاية فی سورة الطّور[أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ] من ذلك ما يستغنون به عنك و ما يحكمون به.

[فَاصْبِرْ] ای فانتظر [لِحُكْمِ رَبِّكَ] فيهم و لاتعجل بالدّعاء عليهم او فاصبر علی أذاهم و تدبيرهم لمنع علیٍّ عليه السلام عن حقّه لاجل حكم ربّك بامهالهم و لاتعاجل بالدّعاء عليهم.

[وَ لَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ] يعنی يونس بن متّی عليه السلام حيث تعجّل بالدّعاء علی قومه فوعده الله العذاب و تاب علی قومه و رفع عنهم العذاب فغضب يونس عليه السلام و فرّمنهم و ابتلی ببطن الحوت [إِذْ نَادَىٰ] فی بطن الحوت او نادی الله بالعذاب علی قومه [وَهُوَ مَكْظُومٌ] مملوّ غيظاً علی قومهو عن الباقر عليه السلام ای مغموم.

[لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ] و هی التّوبة عليه و الّشفقة [لَنُبِذَ بِالْعَرَآءِ] ای الارض الخالية من الاشجار و النّبات و السّقوف [وَ هُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ] بان اخرجه من بطن الحوت و نبذه بارض ذات ظلٍّ و جعله ثانياً رسولاً الی قومه [فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ وَإِن يَكَادُ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ وَ مَاهُوَ] ای محمّد ﷺ او القرآن او قرآن ولاية علیٍّ علیه‌السلام.

[إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ] قيل: نزلت حين نزول القران و قراءته حيث كانوا ينظرون اليه من شدّة البغض و الحسد نظراً يكادون يصرعونه بنظرهم.

و ورد فی الخبر: انّها نزلت حين قال: من كنت مولاه فهذا علیٌّ مولاه آخذاً بعضد علیٍّ علیه‌السلام رافعاً له و قال بعضهم لبعضٍ: انظروا الی عينيه تدوران كأنّهما عينا مجنونٍ.

و قيل: نزلت فی اصابة العين فانّه روی انّه كان فی بنی اسدٍ عيّانون فأراد بعضهم علی ان يعيّنه ﷺ، و ورد انّ العين ليدخل الرّجل القبر و الجمل القدر.

و روی انّه مرّ الصّادق علیه‌السلام بمسجد الغدير فنظر الی مسيرة المسجد فقال: ذاك موضع قدم رسول الله ﷺ حيث قال: من كنت مولاه فعلیّ مولاه، ثمّ نظر الی الجانب الاخر فقال: ذلك موضع فسطاط بعض المنافقين فلمّا ان رأوه رافعاً يده قال بعضهم لبعضٍ: انظروا الی عينيه تدوران كأنّهما عينا مجنونٍ، فنزل جبرئيل بهذه الاية.

سُورَة الحاقّة

مكّيّة، احدى و خمسون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ] من حقّ بمعنى وجب او ثبت، او من حقّ يحقّ من باب نصر من حاققته فحققته احقّه من المغالبة، و على ايّ معنى فسمّيت القيامة حاقّد لتحقّقها و ثبوتها، او لغلبتها على الكافرين و ابطالهم، او لتحقّق الامور فيها و ثبوت الحقّ فيها و بطلان الباطل ليكون من قبيل الوصف بحال المتعلّق، و الاستفهام عنها و اتيان الظّاهر موضع المضمر للتّفخيم و التّعجيب.

[وَ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ] انكار درايته ﷺ بالاستفهام الانكاريّ الدّالّ على المبالغة و الاتيان بالاسم الظّاهر موضع المضمر و الاتيان بالاستفهام كلّها يدلّ على التّفخيم.

[كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عَادُم بِالْقَارِعَةِ] بالقيامة سمّيت بها لانّها تقرع قلوب الكفّار باهوالها و افزاعها، او تقرع فيها رؤسهم بالمقارع من النّار فلينظر هؤلاء الى تكذيبهم بها و عاقبتهم حتّى يرتدعوا عن التّكذيب.

[فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَةِ] الصّيحة و الرّجفة المتجاوزة عن الحدّ كما مضى مكرّراً.

[وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ] قد مضى قصّتهم مكرّراً و مضى فى سورة فصّلت و سورة القمر بيان الرّيح و الصّرصر.

[سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ] قد مضى فى سورة

القمر بيان الايّام الثّمانية، و قد مضى سابقاً قصّة عادٍ و ثمود.

[حُسُومًا] الحسوم بالضّمّ الّشؤم و الدّؤوب[١] فى العمل، و يجوز ان يكون جمعاً لحاسمٍ بمعنى القاطع او بمعنى المانع، فالمعنى ثمانية ايّام شومات، او متتابعات او قاطعات لحيانهم، او مانعات لهم، قال القمّىّ: كان القمر منحوساً بزحل.

[فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ] موتى [كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ] خالية الاجواف تشبيه لهم بعد خروج ارواحهم باعجاز النّخل المتأكّلة الاجواف [فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنم بَاقِيَةٍوَ جَآءَ فِرْعَوْنُ وَ مَن قَبْلَهُو] من الامم الماضية، و قرئ من قِبَله بكسر القاف و فتح الباء اى من عنده من اتباعه.

[وَٱلْمُؤْ تَفِكَـٰتُ] اى قرى قوم لوطٍ الّتى ائتفك بأهلها [بِالْخَاطِئَةِ] اى بالخطيئة [فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ] ربّهم.

[أَخْذَةً رَّابِيَةً] مثل زيادة عملهم فى القبح، او اخذةً زائدةً على خطائهم [إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ] فى امّة نوحٍ عليه السلام.

[حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ] اى اّلسفينة الجارية يعنى حملنا آباءكم و انتم فى اصلابهم.

[لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَ تَعِيَهَآ أُذُنٌ وَ ٰعِيَةٌ] اى لنجعل الفعلة من طغيان الماء و حملكم فى الجارية و اهلاك الكافرين و انجاء المؤمنين تذكرةً لكم وعظةً و تعى هذه الفعلة او التّذكرة اذن و اعية.

و للاشارة الى التّأويل روى انّه قال الرّسول صلّى الله عليه وآله لعلىٍّ عليه السلام: يا علىّ

---

(١) الدُّؤب بالضّم = الجّد والتّعب فى العمل.

انّ الله تعالى أمرنى ان ادنيك و لااقصيك، و ان اعلّمك و تعى، و حقّ على الله ان تعى، فنزل: و تعيها اذنٌ و اعيةٌ.

و فيه اشارة ما الى التّأويل فانّ فيه انّا لمّا التقى ماء البحر الاجاج من الارض الهيولويّة و ماء سماء الاهوية و طغى الماء ان الملتقيان و حملنا كم فى سفينة نوحٍ عليه السلام الّتى هى سفينة الّشريعة الّتى من ركبها نجا و من تخلّف عنها هلك، او سفينة الولاية الّتى هى المركب المنجى الحقيقىّ.

فانّ مثل عترته مثل سفينة نوحٍ عليه السلام ينجو من ركبها و يهلك من تخلّف عنها، لنجعل تلك الفعلة من طغيان الماء او ركوب الّسفينة او نفس الّسفينة الّتى هى الّشريعة او الطّريقة تذكرة لامور الاخرة و تعيها اى الّشريعة او الطّريقة بادابها.

او هذه التّذكرة اذن واعية شأنها ان تعى ما يسمع و يرى.

و ورد انّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا نزلت هذه الاية قال: سألت الله عزّ و جلّ ان يجعلها اذنك يا علىّ عليه السلام.

و فى روايةٍ قال صلى الله عليه وآله: اللّهمّ اجعلها اذن علىٍّ عليه السلام.

[فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ] لمّا ذكر القيامة و فخّمها فصّلها للتّهويل و التّهديد و المراد بالنّفخة هى النّفخة الاولى او الثّانية، و التّوصيف بالواحدة للاشعار باختصارها و سهولتها مثل قوله تعالى: و ما أمرنا الّا واحدة كلح بالبصر.

[وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ] اى رفعت عن مكانها [وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً] اى دقّتا و كسرتا، و التّوصيف بالواحدة مثل توصيف النّفخة يعنى يجعل الارض مثل الاديم المنبسط ليس فيها تلالٌ و لاوهادٌ.

[فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ] اى القيامة، سمّيت واقعةً لوقوعها لامحالة [وَ ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ] رخوة [وَ ٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا] اى جنس الملك بكثرتها على اطراف السّماء.

[وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ] روى عن النّبىّ ﷺ انّ حملة العرش اليوم اربعةٌ فاذا كان يوم القيامة ايّدهم باربعةٍ اخرى فيكونون ثمانيةً.

و عن الصّادق عليه السلام: حملة العرش و العرش العلم ثمانية، اربعة مّنا و اربعة ممّن شاءالله.

اعلم، انّ حملة العرش و العرش بوجهٍ جملة المخلوقات، و بوجهٍ العلم، و بوجهٍ الوجود المطلق الّذى هو اضافة الحقّ الاوّل اضافته الاشراقيّة بوجه الّذى الحقّ تعالى شأنه فى النّزوال اربعة من الاملاك و هم الملائكة المقرّبون و فى الصّعود و عود النّفوس الى الله يصير الحملة ثمانيةً، اربعة من الملائكة المقرّبين و اربعة من نفوس الكمّلين من الانبياء المرسلين عليهم السلام الّذين وصلوا الى اعلى درجات الكاملين و اتّحدوا مع الملائكة المقرّبين.

[يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ] قرئ بالتّاء الفوقانيّة و الياء التّحتانيّة [خَافِيَةٌ] اى نفس خافية او فعلة او خصلة او خطرة خافية، او هو مصدر او اسم فاعل، و التّاء للمبالغة لاللتّأنيث.

[فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ] عطف من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال [بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ] تبجّحاً:[هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ]ها اسم لخذ و قد يمدّ و يلحق بهما كاف الخطاب و يتصرّف فيها تصرّف الضّمائر بحسب حال المخاطب، و قد يستغنى بتصريف الهمزة نحو تصاريف الكاف عن الحاق

الكاف فيقال: هاء بفتح الهمزة و هاء بكسرها، و هاؤما، و هاؤم، و هاؤنّ.

[إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ] لمّا كان علوم النّفس مغايرة لمعلوماتها و جائزة الانفكاك عنها كالظّنون كثيراً ما يعبّر عنها بالظّنون كما سبق مكرّراً و المعنى انّى كنت فى الدّنيا موقناً انّى ملاقٍ حسابى عند ربّى فعملت على طبق يقينى.

عن الصّادق عليه السلام: كلّ امّة يحاسبها امام زمانها و يعرف الائمّة ٧ اولياءهم و اعداءهم بسيما و هو قوله: و على الاعراف رجال يعرفون، و هم الائمّة عليهم السلام يعرفون كلّاً بسيماهم فيعطوا اولياءهم كتابهم بيمينهم، فيمرّوا الى الجنّة بلاحسابٍ، و يعطوا اعداءهم كتابهم بشمالهم، فيمرّوا الى النّار بلاحسابٍ فاذا نظر اولياؤهم فى كتابهم يقولون لاخوانهم: هاؤم اقرؤا كتابيه انّى ظننت انّى ملاقٍ حسابيه.

[فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ] اى راضٍ صاحبها بها و قيل راضية بمعنى المرضية [فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ] على الجنّات [قُطُوفُهَا] جمع القطف بالكسر العنقود، و اسم للثّمار المقطوفة اى المجنيّة، و قطف العنب من باب ضرب جناه [دَانِيَةٌ] يعنى ثمارها الّتى من شأنها ان تجنى دانية للقائم و القاعد.

[كُلُواْ] حال او مستأنف بتقدير القول [وَ ٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔام بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ] اى الماضية من الاعمال الحسنة.

[وَ أَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ] قيل: نزلت فى معاوية [فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ وَ لَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ] لما يرى من سوء العاقبة و ثبت الاعمال السّيّئة.

[يَـٰلَيْتَهَا] اى ياليت الموتة الّتى متّها [كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ] لى من

غير حياةٍ بعدها [مَآ أَغْنَىٰ] الله او ما اغنى العذاب [عَنِّى مَالِيَهْ] اى الّذى كان لى من الاتباع و الاولاد و الاموال، او ما اغنى مالى عنّى مالى الّذى جمعته فى الدّنيا.

[هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ] سلطنتى او سلطانى الّذى كان يأمرنى بأعمال فى الدّنيا، او سلطانى الّذى كنت اشركه بالله و اجعله شفيعاً لى عندالله [خُذُوهُ] حال او مستأنفٌ بتقدير القول.

[فَغُلُّوهُ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ] اى ادخلوه [ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ].

و قد وصف الصّادق عليه السلام تلك الّسلسلة بانّ حلقةً منها لو وضعت على الدّنيا لذابت الدّنيا من حرّها.

و عنه عليه السلام و كان معاوية صاحب الّسلسلة الّتى قال الله عزّ و جلّ فى سلسلةٍ ذرعها (الاية).

و عن الباقر عليه السلام: كنت خلف ابى عليه السلام و هو على بغلته فنظرت بغلته فاذا هو شيخٌ فى عنقه سلسلةٌ و رجل يتبعه فقال: يا علىّ بن‌الحسين عليهما السلام اسقنى، فقال الرّجل: لاتسقه لاسقاه الله، قال: و كان الّشيخ معاوية، و قال القمّىّ: معنى الّسلسلة سبعون ذراعاً فى الباطن هم الجبابرة الّسبعون.

اعلم، انّ الانسان واقع بين الحيوانيّة و بين الملكيّة و لنفسه وجهٌ الى الحيوانيّة و وجه الى الملكيّة و يعبّر عن الجهتين باليسار و اليمين.

و اذا عمل الانسان عمله من حيث وجهته الى الحيوانيّة يثبت ذلك العمل فى صفحة النّفس الّتى تلى الحيوانيّة، و بحذائها الكتاب الّذى بيد كاتب الّسيّئات فيثبت ذلك العمل كاتب الّسيّئات فى كتاب الّسيّئات سواء

كان ذلك العمل بحسب صورته من الطّاعات او من المعاصى.

و لذلك ورد فى حقّ النّاصب: صلّى اوزنى، و اذا بعث ذلك العامل يوم القيامة يتمثّل صورة العمل الّذى كان فى صفحة النّفس العليا و يؤتى كتابه من تلك الجهة فيرى صورة اعماله فى صفحة نفسه و فى كتابه على غاية الحسن و البهاء فيتبجّح و يقول من غاية الوجد و السّرور: هاؤم اقرؤا كتابيه.

[إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ٱلْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ] يعنى انّه لم يكن صاحب خير لابحسب قوّته العلّامة و لابحسب قوّته العاملة [فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ] لانّ النّسب الجسمانيّة صارت منقطعة و النّسب الرّوحانيّة الالهيّة لم تكن له حاصلة لانّ حصولها لايكون الّا بالايمان بالله بالبيعة العامّة او الخاصّة فلم يكن له فى ذلك الموقف حميمٌ جسمانيٌّ و لاحميمٌ روحانيٌّ.

[وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ] هو مايغسل من الثّوب و نحوه كالغسالة، و ما بسيل من جلود اهل النّار، و ما كان شديد الحرّ، و اسم شجرٍ فى النّار و لم يكن له طعام الّا من غسلين لانّه لم يكن يطعم من طعامه حتّى يعطيه طعاماً طيّباً عوضاً من طعامه.

[لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ] اى المذنبون من خطئ الرّجل اذا اذنب عمداً او خطأً [فَلَآ أُقْسِمُ] لفظة لامزيدةٌ للتّأكيد و شاع زيادتها فى القسم.

[بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ] بكلّ ما من شأنه ان يبصروان لايبصر [إِنَّهُۥ] اى القران او قرآن ولاية علىٍّ عليه السلام [لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ] و قول الرّسول صلى الله عليه و آله من حيث انّه رسول ليس الّا من المرسل سواء اريد

بالرّسول جبرئيل او محمّد صلّى الله عليه وآله.

[وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ] كما تقولون تارةً انّه شاعر [قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ] كما تقولون اخرى [قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ] قليلاً صفة مفعول مطلق محذوف، او ظرف لتذكّرون و ما زائدة للتّأكيد او صفته و الاتيان بالايمان فى جانب نفى كونه شعراً لانّ تميّز كونه من الله دون الّشعر يحتاج الى الايمان العامّ او الخاصّ، او الاذعان بالله و اليوم الاخر حتّى يعلم انّ مضمونه ليس الّا الهيّاً اخرويّاً عقليّاً بخلاف الّشعر.

فانّه لايكون فى الاغلب الّا خياليّاً نفسانيّاً، و اى فى جانب نفى الكهانة بالتّذكّر لعدم اكتفاء الايمان فى تميّز القران من الكهانة الّتى هى ايضاً اخبارٌ بالغيب، و للحاجة الى تذكّر حال الكاهن و حال الرّسول صلّى الله عليه وآله و اقوالها و انّ حال الكاهن لايشبه حال الالهيّين الاخرويّين و انّ حال الرّسول صلّى الله عليه وآله و قوله لايشبه حال الكاهنين الّشيطانيّين.

[تَنزِيلٌ] اى بل هو تنزيل [مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ وَ لَوْ تَقَوَّلَ] ابتدع [عَلَيْنَا] كذباً.

[بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ] لامسكنا من اعضائه بيمينه كما يمسك من اعضاء الجانى المستحقّ للعذاب بيده، و ذكر اليمين لانّه اشرف اطرافه فيكون ابلغ فى الدّلالة على الاذلال او لاخذنا منه باليمين للقطع اى قطعناها فانّه حينئذٍ يكون سارقاً فى الدّين، و الّسارق يقطع منه اليمين، او لاخذناه بقوّتنا، و استعمال اليمين فى القوّة لظهورها على اليد فى الاغلب، و اليمين اقوى الاطراف.

[ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ] و هو جبل القلب اذا قطع هلك صاحبه، و

قطعه كناية عن اهلاكه [فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ] مـانعين و كافّين و جمع الحاجزين لحمله على احدٍ المفيد للعموم فى سياق النّـفى [وَإِنَّهُۥ] اى القران او قران ولاية علىٍّ عليه السلام.

[لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ] و قد مضى بيان التّقوى و مراتبها فى اوّل البقرة [وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ] قد سبق مكرّراً انّ المراد بتسبيح الرّبّ تنزيه اللّطيفة الانسانيّة الّتى هى مظهر الله و هو الرّبّ بوجهٍ و اسم الرّبّ بوجهٍ سواء علّق التّسبيح على الله او على الرّبّ او على اسم الرّبّ، و الباء ههنا صلة التّسبيح لتأكيد اللّصوق او سببيّة.

روى عن الكاظم عليه السلام انّه لقول رسول كريم يعنى جبرئيل عن الله فى ولاية علىٍّ عليه السلام، قال عليه السلام قالوا: انّ محمّداً صلى الله عليه وآله كذب على ربّه و ما امره الله بهذا فى علىٍّ عليه السلام فأنزل الله بذلك قرآناً فقال: انّ ولاية علىٍّ عليه السلام تنزيل من ربّ العالمين و لو تقوّل علينا محمّد صلى الله عليه وآله بعض الاقاويل (الاية).

ثمّ عطفّ القول فقال: انّ ولايـة عـلىٍّ عليه السلام لتـذكرة للـمتّقين و انّ عليّاً عليه السلام لحسرة على الكافرين و انّ ولايته لحقّ اليقين فسبّح بـاسم ربّك العظيم يقول اشكر ربّك العظيم الّذى اعطاك هذا الفضل.

و عن الصّادق عليه السلام: لمّا اخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عـلىٍّ عليه السلام فأظـهر ولايته قالا جميعاً: و الله ما هذا من تلقاء الله و لاهذا الّا شىءٌ اراد ان يشرّف ابن عمه فأنزل الله: و لو تقّول علينا (الايات).

و فى خبرٍ: نزلت فى امير المؤمنين عليه السلام و معاوية عليه ما عليه.

سُورَة المعارج

مكّيّة، و قيل: سوى قوله تعالى: والّذين فى اموالهم حقٌّ معلوم، اربع و اربعون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[سَأَلَ سَآئِلُم بِعَذَابٍ وَاقِعٍ] سأل يتعدّى بنفسه و بعن و بالباء الى المفعول الثّانى، و يخفّف الهمزة فيقال: سال يسال مثل خاف يخاف و قرئ به ايضاً، قيل: نزلت فى ابى جهلٍ حين قال الرّسول ﷺ لقريشٍ: انّ الله بعثنى ان اقتل جميع ملوك الدّنيا او اجرّ الملك اليكم فأجيبونى الى مادعوكم اليه تملكوا بها العرب و تدين لكم بها العجم و تكونوا ملوكاً فى الجنّة، فقال ابوجهل: اللّهمّ ان كان هذا الّذى يقول محمّد ﷺ هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السّماء او ائتنا بعذابٍ اليمٍ حسداً لرسول‌الله ﷺ.

و قيل: نزلت فى الحارث بن عمر الفهرى حين قال رسول الله ﷺ فى علىٍّ عليه السلام ما قال فقال: اللّهمّ ان كان هذا هو الحقّ من عندك (الاية) و قد سبق فى سورة الانفال عند قوله: ان كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السّماء، بيان لنزول الاية.

و فى خبرٍ: لمّا اصطفّت الخيلان يوم بدرٍ رفع ابوجهل يده فقال: اللّهمّ اَقطعُنا للرّحم و آتانا بمالانعرفه ففاجئه العذاب، فأنزل الله تبارك و تعالى سأل سائلٌ بعذاب واقع.

[لِّلْكَـٰفِرِينَ] الّلام للتّبيين او متعلّق بواقع و اشارة الى انّ الكافر

لاحاجة له الى انتظار العذاب بل العذاب واقع له.

[لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ] يدفعه عنهم [مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ] المعراج و المعرج كمكحل و المعرج بفتح الميم و الرّاء السّلّم، والله باضافته الاشراقيّة الّتى هى فعله و غير خاليةٍ منه معراج لعباده السّالكين، و له معارج بعدد نفوس السّالكين بل بعدد نفوس الخلق اجمعين، و له ايضاً معارج بعدد انواع الموجودات فهو بوجهٍ معارج، و بوجهٍ ذومعارج.

[تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ] هو ربّ النّوع الانسانىّ و هو اعظم من جميع الملائكة المقرّبين و هو الّذى لم يكن مع احد من الانبياء عليهم السلام و كان مع نبيّنا صلى الله عليه وآله و كان مع اوصيائه الكاملين.

[فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ] والمقصود انّه تعرج الملائكة و الرّوح اليه فى تلك المعارج، فانّ الملائكة و الرّوح تنزل من مقامها العالى الى مقام الطّبع فى الملك الكبير و الصّغير ثمّ تعرج الى الله و مقامها الاوّل فى تلك المعارج، و قد مضى فى سورة بنى اسرائيل و سورة السّجدة بيانٌ لهذه الاية.

و عن الصّادق عليه السلام انّ للقيامة خمسين موقفاً كلّ موقفٍ مقام الف سنة ثمّ تلا الاية.

[فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً] على تكذيب قومك و كفرهم بولاية علىٍّ عليه السلام لانّهم واقعون فى العذاب من غير انتظارٍ لمجيئه.

[إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا] اى يرون ذلك اليوم او العذاب بعيداً من الامكان او بعيداً امده.

[وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا] من الوقوع او قريباً امده و انت ترى برؤيتنا

فینبغی ان تراه قریباً [یَوْمَ تَکُونُ ٱلسَّمَآءُ کَالْمُهْلِ] کالفلزّ المذاب او کدردیّ الزّیت و یوم بدل من قوله فی یوم او خبر مبتدءٍ محذوفٍ او ظرف لیبصرونهم او لیوّد المجرم.

[وَ تَکُونُ ٱلْجِبَالُ کالْعِهْنِ] العهن القطعة من الصّوف او المصبوغ الوانا.

اعلم، انّ الملائکة الموکّلة علی بنی آدم و الرّوح النّازلة الیهم من مقامها العالی تعرج الی مقاماتها بل الی الله تعالی بالموت الاختیاریّ او الاضطراریّ، و بالموت یصیر سماوات مقامات الارواح کالصّفر المذاب فی عدم تماسکها و عدم تمانعها و انشقاقها لخروج الرّوح الانسانیّة النّاطقة و تصیر جبال الانانیّات کالصّوف المنفوش فی عدم ثباتها و عدم تمانعها، و تصیر الاعضاء البدنیّة ایضاً کالعهن فی تخلخلها بخروج الرّوح عنها.

[وَ لَا یَسْئَلُ حَمِیمٌ حَمِیمًا] قرئ بالبناء للفاعل و قرئ بالبناء للمفعول یعنی انّ کّلاً منهم مشغولٌ بنفسه بحیث لایسأل الحمیم عن حمیمه او لایسأل حمیم عن حمیم حمل اوزاره او دفع العذاب عنه، لمعرفته انّه لایغنی عنه شیئاً.

او المعنی علی البناء للمفعول لایسئل حمیم عن حال حمیمه لعدم الاحتیاج الی ذلک لمعرفة کلٍّ کلّ من سواه، اولانّ المذنب و المحسن و الکافر و المؤمن کانوا ذوی علاماتٍ مغنیة عن الاستفسار.

[یُبَصَّرُونَهُمْ] قرئ مبنیّاً للمفعول و مبنیّاً للفاعل و بصّره من التّفعیل یستعمل فی معنی عرّفه و فی معنی قطعه.

و عن الباقر علیه السلام یعرّفونهم ثمّ لایتساءلون [یَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ یَفْتَدِی

مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَ صَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ وَ فَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ] اى عشيرته الّتى يأوى هو اليهم فى نوائبه و كانوا يؤويه فى كلّ امرٍ و كان يأوى اليهم فى نسبه و صار منفصلاً عنهم بالتّولّد منهم.

[وَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ] ذلك الفداء [كَلَّآ] اى يقال له كلّا ردعاً له عن ذلك الوداد و عن انجاء الفداء [إِنَّهَا لَظَىٰ] اللّظى كالفتى النّار او لهبها و لظى معرفة كما ههنا اسم لجهنّم او لوادٍ منها و ضمير انّها للقصّة او لجهنّم، و استغنى عن ذكرها بشهودها.

[نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ] قرئ بالرّفع خبراً للظى، او خبراً بعد خبرٍ لانّ و قرئ بالنّصب حالاً و الّشوى الامر الهيّن و رذال المال واليدان و الرّجلان و الاطراف و قحف الرّأس و ما كان غير مقتل، و النّزاعة من نزعه قلعه، او من نزع الى اهله نزوعاً اشتاق.

[تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ] حينئذٍ عنها او من ادبر عن الولاية [وَ تَوَلَّىٰ] عنها او عن الولاية او اليها، و استعمال تدعو فى معنى تجرّ بعنفٍ للتّهكّم بهم [وَ جَمَعَ] المال [فَأَوْعَىٰٓ] فى وعاء الكنز.

[إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا] تعليل للجمع و الايعاء يعنى انّ الانسان بطبعه شديد الحرص و قليل الصّبر، و قوله تعالى [إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا] اذا ظرف لجزوعاً، و جزوعاً و منوعاً بدل تفصيلىّ من هلوعاً، و هلوعاً حال مقدّره او محقّقة، او جزوعاً خبر لكان مقدّراً، و اذا ظرف له او لشرطه.

[وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا] و المراد بالّشرّ كلّ مالايلائم طبعه و بالخير كلّ مايلائم طبعه [إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ] قد مضى فى اوّل البقرة بيان الصّلوة و مراتبها [ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ].

اعلم، انّ الصّلوة اسم لكلّ مابه يتوجّه الى الله و لذلك لم يكن شريعة الّا و كانت الصّلوة فى تلك الّشريعة و بعبارةٍ اخرى الصّلوة هى التّحلّى بحلى اوصاف الرّ وحانيّين كما انّ الّزكوة كانت اسماً للتّبرّى من كلّ مايتبرّى منه و لذلك كانت فى كلّ شريعة، و صلوة القالب كانت فى الّشرائع بحسب الاذكار و الافعال مختلفة.

و لمّا كانت شريعة محمّدٍ ﷺ اكمل الّشرائع جعلت الصّلوة القالبيّة فيها اكمل الصّلوات مشتملةً على عبادات جميع اصناف الملائكة من الّذين هم قيام لاينظرون و من الرّكع و الّسجّد و على صلوة جميع اصناف المواليد من الطّبائع المنطبعة و النّفوس النّباتيّة الّتى هى بوجهٍ قيام لاينظرون، و بوجهٍ سجّد و منطبعة، و من النّفوس الحيوانيّة الّتى هى بالطّبع راكعة منكوسة، و من النّفوس الانسانيّة الّتى هى قائمة باحسن التّقويم متمكّنة من الرّكوع و الّسجود، و القيام الّتى كانت لسائر الموجودات.

و لمّا كانت الصّلوة القالبيّة مانعة من الاشتغال الضّروريّة من الاكل و الّشرب و طلب الحاجات و قضاء الحاجة و النّوم كانت لايمكن ادامتها الّا على ضرب من التّأويل و المجازبان يكون المراد من ادامتها عدم فوتها عن اوقاتها المقرّرة، فليكن المراد ادامة الصّلوة القلبيّة المأخوذة من ولىّ الامر فانّها ان كان الانسان مواظباً عليها مستغرفاً فيها لم يكن يمنع الاشتغال الضّروريّة عن اقامتها بل يكون الانسان فى حالة النّوم ايضاً مشغولاً بها من غير تعمّلٍ و فكر و رويّةٍ.

و لذلك قال: على صلوتهم يعنى صلوتهم المخصوصة بهم فانّ لكلّ انسانٍ صلوةً خاصّةً لايشاركه فيها غيره بخلاف الصّلوة القالبيّة فانّها

مشرّعة للكلّ لااختصاص لها بفرد دون فرد.

و فى الخبر: اذا فرض على نفسه شيئاً من النّوافل دام عليه، و فى خبر : الّذين يقضون مافاتهم من اللّيل بالنّهار و مافاتهم من النّهار باللّيل، و مجمل القول انّ الولاية الحاصلة بالبيعة الثّانية هى الصّلوة الّتى تزكّى الانسان من الرّذائل الّتى منها كونه هلوعاً و تحلّيه بحلية الخصائل الحسنة الّتى منها ادامة الصّلوة القالبيّة و القلبيّة و الصّدريّة.

[وَ ٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّآئِلِ وَ ٱلْمَحْرُومِ] فى الخبر ليس المراد بالحقّ المعلوم الزّكوة و لاالصّدقة المفروضتين بل هو ما يخرجه من ماله يصل به اقرباءه و اخوانه، و المحروم هو الّذى قد حرم كدّيده فى الشرى، او المحترف الّذى لم يبسط له فى رزقه.

[وَ ٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ] اى يوم الجزاء [وَ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ] تعليلٌ لاشفاقهم.

[وَ ٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ وَ ٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَٰعُونَ وَ ٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ وَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ] قد مضى اكثر تلك الايات فى سورة المؤمنون فلانعيد تفسيرها.

[فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ] يعنى اذا كان هذا حال المنافقين الّذين ادبروا عن الولاية و لم يقبلوها و ذلك حال من اقبل على الولاية و باع البيعة

الخاصّة فماللّذين كفروا بالولاية؟! فانّ الاية كما فى الاخبار نزلت فى المنافقين الّذين لم يقبلوا ولاية علىٍّ عليه السلام.

[قِبَلَكَ] يعنى فمالهم عندك [مُهْطِعِينَ] مسرعين اليك، او مقبلين عليك، او ناظرين اليك [عَنِ ٱلْيَمِينِ وَ عَنِ ٱلشِّمَالِ] اى عن يمينك و شمالك [عِزِينَ] العزة كالعدة الجماعة و العصبة منقوص و اوىّ جمعه عزين، و قيل: معناه قعود، عن امير المؤمنين عليه السلام فى ذكر حال المنافقين: و مازال رسول الله صلى الله عليه وآله يتألّفهم و يقرّبهم و يجلسهم عن يمينه و شماله حتّى اذن الله له فى ابعادهم بقوله: و اهجر هم هجراً جميلاً، و بقوله: فماللّذين كفروا قبلك مهطعين (الايات).

[أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ] قيل: هو انكار لقولهم: لوصّح ما يقوله لنكون فيها افضل حظّاً منهم كما فى الدّنيا [كَلَّآ] ردع لهم عن هذا الطّمع.

[إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ] اى من نطفةٍ قذرةٍ لائقةٍ للمزابل لالجنّات النّعيم و انّما يدخل الجنّات اذا بدّل مادّته بمادّةٍ شريفةٍ لطيفةٍ قابلةٍ للجنان الاخرويّة، و لايكون ذلك الّا بالايمان بعلىٍّ عليه السلام فانّه الماء الّذى كلّما دخل فيه و اتّصل به صار من سنخه و جنسه.

[فَلَآ أُقْسِمُ] لفظة لاقد مضى مكرّراً انّها شائع دخولها فى القسم، و تكون زائدة للتّأكيد [بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَ ٱلْمَغَـٰرِبِ] مشارق عالم الطّبع و مغاربه فانّ للّشمس فى كلّ يوم بل فى كلّ آنٍ مشرقاً و مغرباً غير ما كان له فى الان الّسابق، و مشارق العوالم العالية و مغاربها، فانّ كلّ عالمٍ مشرقٌ بوجهٍ و مغرب بوجهٍ، و له مشرق بوجهٍ و مغرب بوجهٍ.

[إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ] بان نـذهبهم و نـجعل بدلهم جمعاً يكونون خيراً منهم [وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ] بمغلوبين ان اردنا ذلك يعنى نقدر على ذلك و لامانع لنا و لكنّا اهملناهم لحكمةٍ و مصلحةٍ [فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ] فى اباطيلهم.

[وَ يَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ] اى القبور [سِرَاعًا] مسرعين [كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ] النّصب بالفتح و الّسكون و قرئ به و بالتّحريك العلم العلم المنصوب، و بالضّمّتين كلّما جعل علماً و كلّما عبد من دون الله و قرئ به، و النّصب بالضّمّ و الّسكون كلّما عبد من دون الله.

[يُوفِضُونَ] اى يسـرعون، قـال القـمّىّ: الى الدّاعـى يـبادرون [خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ] للـخوف و الدّهشــة [تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ] العظيم.

[ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ] فى الدّنيا و كـانوا يـنكرونها و يـقولون استهزاءً: لوكان ما يقولونحقّاً لكنّا خيراً منهم فيها.

سُورَة نُوح

مكّيّة، ثمان و عشرون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] فى الدّنيا، او فى الاخرة، او بين الدّنيا و الاخرة حين الاحتضار، او فى البرازخ.

[قَالَ] امتثالاً لامرنا و تبادراً الى تبليغ رسالته [يَـٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] ظاهر الصّدق، او مظهر لصدقى، او مظهر لما انذربه، او مظهر للامر بعبادة الله.

[أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ] ان تفسيريّة و تفسير لنذيرٌ او لمبينٌ، او مصدريّة بتقدير اللّام، او مصدريّة مفعولٌ به لمبين [وَ ٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ] بعض ذنوبكم فانّ الكلّ لايغفر الّا بعد الفناء التّامّ و هو الفناء عن الفناء.

[وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى] هو آخر مدّة اعمارهم و هو الاجل المعيّن الّذى سمّى فى الالواح العالية [إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ] اذا قدّر مجيئه او اذا قرب مجيئه.

[لَا يُؤَخَّرُ] فاعملوا لما بعده فى زمان الامهال [لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ] لامتنعتم ممّا انتم عليه اوليتكم كنتم تعلمون عقوبة افعالكم، اوليتكم كنتم من اهل العلم.

[قَالَ] بعد ما دعاهم و لم يجيبوه اظهاراً لامتثاله و تشكيّاً من عدم

اجابتهم [رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَ نَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا] عنّى و عن الايمان بك و عن تصديقى.

[وَ إِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ] اليك و الى الايمان بك [لِتَغْفِرَ لَهُمْ] مساويهم الّلازمة لذواتهم و شنائع اعمالهم [جَعَلُوٓاْ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ] لئّلا يسمعوا قولى.

[وَ ٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ] لئّلايرونى ادعوهم اليك، لجاجاً و تنفّراً عن الحقّ [وَ أَصَرُّواْ] على الامتناع [وَ ٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا] عظيماً عن انقيادى و سماع قولى.

[ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا] تفصيل لدعائه ليلاً و نهاراً و لذلك عطف بثمّ، و جهاراً مفعول مطلق نوعىّ من غير لفظ الفعل.

[ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا] يعنى دعوتهم اوّلاً جهاراً فلمّا رأيت انّه لاينفع فيهم لفّقت الجهر و الاسرار بالنّسبة الى كلّ، او اعلنت لبعضٍ و اسررت لبعضٍ آخر لانّ بعضهم كانوا يتأنّفون عن قبول الدّعاء جهاراً.

[فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ] بيانٌ لكيفيّة دعائه يعنى انّى دعوتهم و وعدتهم على مقتضى اهويتهم ليكون دعائى سبباً لميلهم الى المدعوّ لاسبباً لنفرتهم.

[إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا] لمن يستغفره [يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ] اى الّسحاب [عَلَيْكُم مِّدْرَارًا] كثير الدّرّو المطر [وَ يُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَ يَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا] فى الدّنيا و الاخرة.

[مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا] هو من قول نوح عليه السلام، او ابتداء كلام

من الله خطاباً معهم، و الوقار الرّزانة و العظمة، و الرّجاء ضدّ اليأس، و قد يستعمل فی الخوف، و المعنى ایّ حالٍ لكم؟ اسفهاء انتم ام مجانين؟

لانّكم لاترجون لله و قاراً فتستعجلونه بالعذاب، او ایّ نفعٍ لكم فی حالكونهم لاترجون لله و قاراً و عظمةً، او ماحالكم؟ـ امجانين انتم ام سكارى؟! لانّكم لاتخافون عظمة الله، او ایّ نفعٍ لكم فی ذلك؟

[وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا] نطفةً قذرةً و علقةً و مضغةً و عظماً و لحماً و نفساً ناقصةً و كاملةً، او خلقكم متطّورين فی احوالكم من الرّضا و السّخط و البسط و القبض و الغنى و الفقر و العزّة و الذّلّة من غير تصرّفٍ لكم فيها و من دون ارادةٍ و اختيارٍ، فمالكم لاترجون رزانته و قد شاهدتموها فی تطّوراتكم الخلقيّة، او مالكم لاتخافون عظمته و قد شاهدتموها فی تطّوراتكم فی احوالكم.

[أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا] هذه ايضاً من كلام نوحٍ عليه السلام استشهاداً على عظمته، او من كلام الله تعالى.

[وَ جَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَ جَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا] مثّل الّشمس بالّسراج فی مقابل القمر للاشعار بانّ نورها من ذاتها كالّسراج دون القمر، و للاشارة الى انّها بضوئها تزيل ظلمة اللّيل كالّسراج.

[وَ ٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا] انشأكم منها من غير مداخلة اختياركم فيه [ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا] بجعل ابدانكم و اوائل موادّكم جزءً منها و قد كنتم متّحدين معهامدّة حياتكم، او الله انبتكم بحسب نفوسكم من ارض ابدانكم و نطفكم نباتاً منكوراً لاتعرفونها، ثمّ يعيدكم فيها بعد اختياركم بتوجّهكم الى ابدانكم بلوازم معاشكم.

[وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا] يعنى يوقع ذلك بكم مكرّراً، او يخرجكم بالموت اخراجاً، او يخرجكم من ابدانكم البرزخيّة اخراجاً منكوراً لكم.

[وَ ٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا] و اسعاتٍ، و من يفعل ذلك ينبغى ان يرجى له الرّزانة او يخاف منه العظمة [قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَ ٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُو وَ وَلَدُهُوٓ إِلَّا خَسَارًا] اى الرّؤساء الّذين ابطرهم كثرة اموالهم و اولادهم.

[وَ مَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا] كبيراً غاية الكبارة [وَ قَالُواْ] فيما بينهم [لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَ لَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لَا سُوَاعًا وَ لَا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْرًا] يعنى لاتذرنّ هؤلاء مخصوصاً، قيل: كان هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم و نوحٍ عليه السلام فنشأ قوم بعدهم يأخذون اخذهم فى العبادة.

فقال لهم ابليس: لوصوّرتم صُورهم كان انشط لكم و اشوق الى العبادة، ففعلوا فنشأ بعدهم قومٌ فقال لهم ابليس: انّ الّذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونهم، فعبدوهم، فصار عبادة الاوثان سيرة من ذلك الزّمان.

و قيل: كان نوح عليه السلام يحرس جسد آدم عليه السلام على جبلٍ بالهند و يجول بينه و بين الكفّار لئّلا يطوفوا بقبره فقال لهم ابليس: انّ هؤلاء يفخرون عليكم و يزعمون انّهم بنو آدم دونكم و انّما هو جسد و انا اصوّر لكم مثله تطوفون به فنحت خمسة اصنام و حملهم على عبادتها و هى ودّ و سواع و يعوق و يغوث و نسر، فلمّا كان ايّام الطّوفان دفن تلك الاصنام و طمّها التّراب فأخرجها الّشيطان لمشركى العرب.

و قيل: صارت اوثان قوم نوحٍ عليه السلام الى العرب فكانت ودّ لقضاعة، و يغوث لبطنان من طىّ، و يعوق صار الى همدان، و نسر لخثعم، وسواع لال

ذى الكلاع، و اللّات لثقيفٍ، و العزّى لسليم، و مناة لقديدٍ، و اساف و نائلة و هبل لاهل مكّة.

و قيل: كان ودّ على صورة الرّجل، و سواع على صورة امراةٍ، و يغوث على صورة اسدٍ، و يعوق على صورة فرس، و نسر على صورة النّسر.

[وَ قَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا] اى اضلّ عابدوا تلك الالهة كثيراً من النّاس، او اضلّ هؤلاء الالهة كثيراً بماظهر من الّشيطان على هيا كلها.

[وَ لَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلاً] لمّا كان دعاء الانبياء عليهم السلام على وفق الواقع و التّكوين و قد شاهد نوح عليه السلام من قومه انّهم فى ازدياد الضّلال و البعد عن طريق الانسان و رأى انّهم قطعوا الانسانيّة و الفطرة ويئس من صلاحهم و خيرهم دعا بذلك، او لمّا بالغوا فى العتوّ و النّفار واخذه البغض فى الله و اشتدّ غضبه لله دعا بذلك.

[مِّمَّا خَطِيٓـَٰتِهِمْ] اى من اجل خطاياهم و ذنوبهم [أُغْرِقُواْ] بالطّوفان [فَأُدْخِلُواْ نَارًا] بسبب الاغراق فانّهم ماتوا و خرجت انفسهم بالموت الى النّار.

[فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا] يدفعون عنهم العذاب [وَ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَ لَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا] و هذا دليل انّه علم انّهم قطعوا الفطرة بحيث لايبقى فيهم استعداد تولّد المؤمن منهم.

روى عن الباقر عليه السلام انّه سئل: ما كان علم نوح عليه السلام حين دعا على قومه انّهم لايلدون الّا فاجراً كفّاراً؟ـ فقال: اما سمعت قول الله تعالى لنوح عليه السلام: انّه لن يؤمن لك من قومك الّا من قدامن.

[رَّبِّ ٱغْفِرْلِى] بعد ما دعا على قومه لشدّة غضبه لله تضرّع على الله و استغفر من غضبه لله فانّ الحبّ فى الله من البغض فى الله [وَ لِوَ ٰلِدَىَّ وَ لِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا] عن الصّادق عليه السلام يعنى الولاية، من دخل فى الولاية دخل فى بيت الانبياء عليهم السلام.

[وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ] اى المسلمين و المسلمات الّذين قبلوا الدّعوة العامّة و لم يقبلوا الدّعوة الخاصّة، او المراد بهم المؤمنون و المؤمنات بالولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة.

لكنّ المراد بمن دخل بيته من باع البيعة الخاصّة على يده، و بالمؤمنين و المؤمنات من باع البيعة الخاصّة على يده و على ايدى غيره من الانبياء و الاولياء عليهم السلام.

[وَ لَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا] بعد دعائه للمؤمنين كرّردعاءه على الظّالمين لجمعه بين الحبّ فى الله و البغض فيه، و هذا هو الكمال التّامّ للانسان حيث لايذهب بغضه فى الله حبّه فى الله، و لاحبّه فى الله بغضه فى الله كما اشار تعالى الى هذا الكمال بقوله: محمّد صلى الله عليه وآله رسول الله و الّذين معه اشدّاء على الكفّار رحماء بينهم، دعا نوح عليه السلام دعوتين، دعوة على الكفّار و دعوة للمؤمنين، فاستجاب الله دعوته على الكافرين فأهلك من كان منهم على وجه الارض، و نرجوان يستجيب ايضاً دعوته للمؤمنين فيغفرلهم.

سُورَة الجِنّ

مكّيّة ثمانٍ و عشرون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[قُلْ] لاهل مكّة [أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا] قد سبق فى سورة الاحقاف نزول الاية و قصّة الجنّ.

[وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا] الجدّ بمعنى البخت، و روى عن الباقر عليه السلام: انّما هو شىءٌ قالته الجنّ بجهالة فحكى الله عنهم.

او هو مستعارٌ للعظمة، و قرئ انّه بكسر الهمزة على انّه محكّى بقول الجنّ، و قرئ بفتحها على انّه معطوف على الضّمير المجرور فى قوله: فامنّا به، او على انّه معطوف انّه استمع، و هكذا الحال فى اختلاف القراءة و فى العطف فيما بعد الّا انّ بعض الفقرات لايمكن ان يكون معطوفاً على انّه استمع [مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا] كما يقول بعض الانس.

[وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا] اى من كان منحرفاً منّا عن الدّين [عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا] قولا بعيداً عن الحقّ مجاوزاً عن الحدّ، او هو بمعنى الظّلم، و المراد بالّسفيه الّشيطان، او مطلق المنحرفين عن الحقّ.

[وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا] يعنى ان كنّا نتّبع الّسفيه فذلك كان من ذلك الظّنّ يعنى كان تصديقنا و اتّباعنا لمن قال لله تعالى بالّشريك و الصّاحبة والولد لذلك حتّى سمعنا القران و ايقنّا انّهم يقولون كذباً.

[وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ] من في من الجنّ تبعيضيّة، او تعليليّة، روى عن الباقرعليه السلام في هذه الاية: انّه كان الرّجل ينطلق الى الكاهن الّذى يوحى اليه الّشيطان فيقول: قل لشيطانك: فلان قد عاذبك.

و قيل: كان الرّجل من العرب اذا نزل وادياً فى سفره ليلاً قال: اعوذ بعزيز هذا الوادى من شرّ سفهاء قومه، و قيل: كان رجال من الانس يعوذون برجالٍ من الانس من اجل شرّ الجنّ.

[فَزَادُوهُمْ رَهَقًا] الرّهق محرّكةً الّسفه و الخفّة و ركوب الّشرّ و الظّلم، و غشيان المحارم، و حمل الانسان على ما لايطيقه، و الكذب، و العجلة، و ضمير فاعل زادوهم للرّجال من الانس، او للرّجال من الجنّ، و المفعول بعكس ذلك، او هو للرّجال العائذين او للمعوّذبهم او للجنّ، و المفعول ايضاً يحتمل الكلّ.

[وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا] هذا من قول مؤمنى الجنّ لكفّارهم يعنى انّ هؤلاء الرّجال العائذين لضعف حالهم و سوء عقيدتهم عاذوا بالجنّ او بالاناسىّ.

فانّهم ظنّوا كما ظننتم ايّها الجنّ ان لن يبعث الله احداً رسولاً الى بنى آدم، او لن يبعث الله احداً فى القيامة او هو معترض من الله و المعنى انّهم اى الجنّ ظنّوا كما ظننتم ايّها الانس ان لن يبعث الله احداً.

[وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ] اى قربناها، او صعدنا اليها، او طلبنا الصّعود اليها [فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا] الحرس جمع الحارس و تذكير الّشديد لاجراء الفعيل بمعنى الفاعل مجرى الفعيل بمعنى المفعول فى

استواء التّذكير و التّأنيث فيهاى حفظة اقوياء لايمكن الاستراق معهم [وَ شُهُبًا] جمع الّشهاب.

[وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْأَنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا] يترصّده للرّمى له و قد مضى فى سورة الحجر لهذه الاية و لاستماع الجنّ وردعهم بالّشهب.

[وَ أَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ] فانّ تغيير اوضاع الّسماء يدلّ على حدوث حادثٍ عظيمٍ.

[أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا] خيراً و صلاحاً [وَ أَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَ مِنَّا] قوم [دُونَ ذَٰلِكَ] فى الصّلاح او دون ذلك بانّ بعضهم فى غاية الّشرارة و بعضهم لايكون فى غاية الّشرارة يعنى منّا غير صالحين.

[كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا] اى ذوى طرائق مختلفةٍ متفرّقة، او كنّا بانفسنا طرائق متفرّقة، او الطّرائق بمعنى الاماثل.

[وَ أَنَّا ظَنَنَّآ]اى علمنا، والاتيان بالظّنّ لما سبق مكرّراً انّ علوم النّفوس شأنها شأن الظّنّ فى مغايرتها لمعلوماتها و جواز انفكاك معلوماتها عنها.

[أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ] اينما كنّا فيها [وَ لَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا] حال او تميز او مفعول مطلق لمحذوف حالٍ يعنى ظنّنا انّا لن نعجزه اذا هر بنا منه الى الّسماء.

[وَ أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ] اى القران او الرّسالة او الولاية [ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ] الفاء للّسببيّة [فَلَا يَخَافُ بَخْسًا] نقصاً او ظلماً او مشاحّة فى الحساب اوفقاً لعينه.

[وَ لَا رَهَقًا] قد مضى الرّهق قبيل ذلك، عن الكاظم عليه السلام انّه قال: الهدى الولاية، آمنّا بمولانافمن آمن بولاية مولاه فلايخاف بخساً و لارهقاً، قيل: تنزيلٌ؟ـ قال: لا، تأويلٌ.

[وَ أَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ] اى الخارجون عن الحقّ [فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا] عن الباقر عليه السلام اى الّذين اقرّوا بولايتنا.

[وَ أَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا] يعنى يحرقون به او يوقد الجحيم بهم.

[وَ أَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ] ان هذه مخفّفة من الثّقيلة و المجموع معطوف عن قوله انّه استمع نفرٌ، او ان زائدة فى الكلام و الجملة ابتداء كلام من الله.

[عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ] اى الولاية او الطّريقة المعهودة المأخوذة من الاباء و هى طريقة الكفر، و نظير الوجهين قوله تعالى: لو انّ اهل القرى آمنوا و اتّقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السّماء و الارض و قوله تعالى: لولا ان يكون النّاس امّةً واحدةً لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة.

[لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا] اى كثيراً، لمّا كان الماء عزيز الوجود فى ملك العرب و كان جلّ الخيرات منوطاً به كنّى به عن كثرة الخيرات.

و عن الصّادق عليه السلام: لافدناهم علماً كثيراً يتعلّمونه من الائمّة عليهم السلام.

و عن الباقر عليه السلام يعنى لواستقاموا على ولاية امير المؤمنين عليه السلام عليٍّ عليه السلام و الاوصياء عليهم السلام من ولده و قبلوا طاعتهم فى امرهم و نهيهم لاسقيناهم ماءً غدقاً يقول: لاشربنا قلوبهم الايمان.

[لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ] لنختبرهم فى ذلك الماء، او لنعذّبهم بسببه [وَ مَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ] اى عن ذكره لربّه او ذكر ربّه له، او عمّا به ذكر ربّه، و اصل ما به ذكر الرّبّ علىٌّ ﷺ و ولايته كماروى عن ابن عبّاس انّه قال: ذكر ربّه ولاية علىّ بن ابى طالب عليه السلام.

[يَسْلُكْهُ] اى يدخله [عَذَابًا صَعَدًا] صاعداً كلّ العذاب او غالباً و غالباً على المعذّب [وَ أَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ] اى مختصّة به.

[فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا] فيها، او المعنى فلاتدعوا مع مظاهر الله الّتى هى المساجد احداً، و قد فسّر المساجد ههنا بالوجه واليدين و الّركبتين و الابهامين.

و عن الكاظم عليه السلام انّ المساجدهم الاوصياء عليهم السلام.

و قد سبق فى سورة البقرة عند قوله تعالى: و من أظلم ممّن منع مساجد الله (الاية) بيانٌ للمساجد.

[وَ أَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ] يعنى محمّداً ﷺ [يَدْعُوهُ] اى يعبده، او يدعوه بلسانه، او يقول: لا اله الّا الله او يقرأ القران، او يدعو اليه و هو من جملة ما اوحى اليه ﷺ، او هو من قول الجنّ بعضهم لبعضٍ.

[كَادُواْ] يعنى الجنّ لاستماع دعائه او اصحابه لاستماع القرآن و احاديثه، او قريشاً لمنعه و ردعه [يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا] اللّبدة بالكسرة و الّسكون و بالضّمّ و الّسكون الصّوف المتراكم بعضه على بعضٍ، و اللّبد بالكسر او الضّمّ و الفتح.

و قرئ بهما جمع لهما، و قرئ لبّداً بالضّمّ و التّشديد جمع لابد ولبداً بالضّمّتين.

[قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ] و قرئَ قال: انّما ادعـوا [رَبِّى وَ لَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا] سواء رضـيتم عـنّى او سـخطتم [قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا رَشَدًا] حتّى آتى بما تستعجلون من العذاب او آتى بـما تـقترحـون مـن الايات.

و روى عن الكاظم عليه السلام انّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعـا النّـاس الى ولايـة علىٍّ عليه السلام فاجتمعت اليه قريشٌ فقالوا: يا محمّد صلى الله عليه وآله اعفنا من هذا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا الى الله ليس الىّ، فاتّهموه و خرجوا من عنده فأنزل الله عزّ و جلّ: قل لااملك (الاية).

[قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا] ملتجأً او منحرفاً و هو تعريض بهم حيث اعتمدوا على الاوثان او على رؤساء الضّلالة.

[إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَ رِسَـٰلَـٰتِهِۦ] اى تبليغاً من جـانب الله او بلوغ الوحى من الله الىّ و هو استثناء من ملتحداً او من احداً و ضرّاً او رشداً.

روى عن الكاظم عليه السلام انّه قـال الّا بـلاغاً مـن الله و رسـالاته فـى علىٍّ عليه السلام. و قيل: هذا تنزيل؟ـ قال: نعم.

[وَ مَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَ رَسُولَهُۥ] فـى ولايـة عـلىٍّ عليه السلام كـما عـن الكـاظم عليه السلام [فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ] من العذاب او من الحساب او من كون علىٍّ عليه السلام قسيم الجنّة و النّار، او من الموت، او القـائم عليه السلام و انـصاره، او عـلىّ عليه السلام فـى الرّجـعة [فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَ أَقَلُّ عَدَدًا] كما يقولون: نحن اقوياء و اكثر عدداً من علىٍّ عليه السلام [قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ] ممّا ذكر [أَمْ

يَجْعَلُ لَهُو رَبِّىٓ أَمَدًا] اى مدّة و هو كناية عن البعد، قال القمّىّ: لمّا اخبرهم رسول الله ﷺ بما يكون من الرّجعة قالوا: متى يكون هذا؟ـ قال الله: قل يا محمّد ﷺ ان ادرى (الاية).

[عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ] اى عالِم عالَم الغيب او عالم ما هو الغيب عن الابصار و الاسماع [فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ] عن الرّضا عليه السلام فرسول الله ﷺ عندالله مرتضى، و نحن ورثه ذلك الرّسول ﷺ الّذى اطلعه الله على من يشاء من غيبه، فعلمنا ما كان و ما يكون الى يوم القيامة، و قد مضى وجه عدم المنافاة بين هذه الاية و بين قوله تعالى: قل لايعلم من فى السّموات و الارض الغيب الّا الله، و انّ المطّلعين على الغيب ليس اطّلاعهم الّا بلطيفةٍ الهيّة.

[فَإِنَّهُو يَسْلُكُ مِنم بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِى رَصَدًا] سلك زيد المكان و فى المكان، و سلك زيد عمراً لازم و متعدٍّ، و اسم انّ راجع الى الرّسول ﷺ، او الى الله.

و هكذا فاعل يسلك و هو لازم او متعدٍّ، و رصداً مصدر، او جمع للرّاصد و المعنى انّ الله لايظهر على غيبه احداً الّا من ارتضاه من رسولٍ بشرىٍّ او ملكىٍّ لانّ الرّسول ﷺ يسلك من بين يدى نفسهاى الاخرة و من خلفهاى الدّنيا مترقّباً لامورهما.

او للاطّلاع على اسرارهما، او هو مفعول مطلق نوعىّ او يجعل رصّاداً و مترقّبين من بين يديه و من خلفه من قواه الدّرّاكة و الملائكة الموكّلة عليه حتّى يعلّموه اخبار الدّنيا و اسرار الاخرة.

او يسلك الله بمظاهره الّذين هم ملائكته الموكّلة على الرّسول مترقّباً

للاخبار و اعلام الرّسول ﷺ او يجعل الله رصّاداً له لاعلامه.

[لِّيَعْلَمَ] الله [أَن قَدْ أَبْلَغُواْ] اى الرّسل الّذين هم الملائكة او الرّسل البشريّون [رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ] و المعنى ليظهر علمه بذلك او ليعلم الرّسول ﷺ ان قد ابلغ الملائكة او ابلغ الرّسل الماضون رسالات ربّهم.

[وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ] عطف على عالم الغيب و رفع لتوهّم ان يكون‌لله علم‌حادث كما يتوهّم من قوله ليعلم [وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدَاً] تأكيد و تعميم بعد تخصيص.

سُورَة المزّمل

مكّيّة كلّها، و قيل: مدنيّة، و قيل: بعضها مدنيٌّ وبعضها مكّيٌّ، و هی عشرون آيةً فی المشهور.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ] تزمّل تلفّف بالثّياب او اللّحاف او امثال ذلك او اختفی، و الخطاب خاصّ بالنّبیّ ﷺ او عامّ و كان النّبیّ ﷺ يتلفّف بثيابه او لحافه و ينام او كان متلفّفاً باحكام الرّسالة و كان يختفی من النّاس تأنّفاً من المقابلة مع امثالهم، و المعنی يا من تلحّفت باللّحاف او بثيابك او بأحكام الرّسالة، او المعنی يامن اختفی ممّا يری من مدّعی الرّياسة و يری انّ معاداتهم كانت شيئاً عن العاقل.

[قُمِ ٱلَّيْلَ] لصلوة اللّيل فانّه ليس لك ان تنام كلّ اللّيل، او قم فی عالم الكثرة و اهد عبادالله الی الوحدة، او قم فی عالم الطّبع و انظر الی العوالم العالية، او قم عن الاشتغال بالكثرات بحكم الرّسالة و توجّه الی الوحدة، او قم عن الاختفاء و اظهر امرك و اصدع بما تؤمر.

و نعم ما قال المولویّ رحمه الله:

احمقان سرور شدستند و زبيم
عاقلان سرها كشيده در گليم

خواند مزمّل نبی را زان سبب
كه برون آ از گليم ای بوالهرب

سرمكش اندر گليم و رو مپوش
كه جهان جسمی است سرگردان توهوش

هين مشو پنهان ز ننگ مدّعی
که تو داری نور وحی شعشعی
هين قم اللّيل که شمعی ای همام
شمع دايم شب بود اندر قيام
خيز و بنگر کاروان ره زده
غول کشتيبان اين بحر آمده
خضر وقتی غوث هر کشتی توئی
همچو روح الله مکن تنها روی

[إِلَّا قَلِيلاً] من اللّيل [نِّصْفَهُوٓ] بدل من المستثنى او المستثنى منه، و ايّاًما كان فالمعنى واحد.

[أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ] قليلاً، او المعنى يا من تلفّف بثياب طبعه من افراد البشر قم فى ليل طبعك و ظلمة نفسك، او عن ليل طبعك و اهوية نفسك للّسلوك الى ربّك الّا قليلاً من اللّيل.

فانّ ضروريّات البدن تحصل فى قليل من اللّيل فى نصفه او اكثر او انقص، فانّ الوقت ينبغى ان يكون اثلاثاً او ارباعاً لطلب المعيشة و تلذّذات النّفوس و طالب المعاد، او طلب المعاش و تلذّذات النّفوس و الرّاحة و طلب المعاد، يعنى ان كنت قويّاً فاجعل نصف او قاتك للّسلوك الى الله، و ان كنت اقوى فاجعل اكثر اوقاتك للّسلوك، و ان كنت ضعيفاً فاجعل قليلاً من اوقاتك للّسلوك.

[وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً] ترتيل القران بحسب لفظه ان تقرأه قرأءةً متوسّطة بين الّسرعة المفروطة و البطوء المفرّط وابانة حروفه و حفظ وقوفه، فانّ ترتيل الكلام ان تحسن تأليفه و تترسّل فيه.

كما عن الصّادق عليه السلام انّه قال: قال امير المؤمنين عليه السلام فى بيان الاية: بيّنه تبييناً و لاتهذّه هذّا الّشعر و لاتنثره نثر الرّمل و لكن افزعوا قلوبكم القاسية و لايكن همّ احدكم آخر الّسورة.

و فى خبرٍ آخر: هو حفظ الوقوف و بيان الحروف، و فى خبرٍ: هو ان تمكث و تحسن به صوتك، او المعنى فصّل المعانى المجتمعة المندرجة فى وجودك بعد القيام من رقدتك و غفلتك، و اخرج ما كان فيك بالقوّة الى الفعليّة بالنّظر و المراقبة الّتى هى من لوازم سلوكك، و انظر الى خطرات نفسك انّها من ایّ الخطرات شيطانيّةٌ هى ام رحمانيّة و انظر الى تجليّات ربّك و جذباته، و لعلّه للاشارة الى هذا الوجه من التّأويل قال امير المؤمنين عليه السلام: ولكن افزعوا قلوبكم القاسية و لايكن همّ احدكم آخر الّسورة.

[إِنَّا سَنُلْقِى] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: لم امرت بقيام اللّيل و ترتيل القران الّذى هو تفصيل المعانى المجملة فى الوجود فى العالم الكبير او العالم الصّغير؟ـ فقال: لانّا سنلقى.

[عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً] لايتحمّله من كان ضعيفاً فى قوّته العمّالة و العّلامة، و قيام اللّيل يقوّى القوّة العمّالة و يعدّ القوّة العّلامة لادراك دقائق الامور و ترتيل القران يعنى تفصيل المعانى المجملة فى العقول الكلّيّة و النّفوس الكلّيّة فى الكثرات الكونيّة، و تفصيلها فى الصّغير يقوّى القوّة العّلامة و ينشط القوّة العمّالة.

و المراد بالقول الثّقيل القران فانّه كان من ثقله اذا نزل يأخذ النّبىّ صلّى الله عليه و آله شبه الغشى، و كان فى بعض الاحيان يرى سرّة دابّته كأنّها تمسّ

الارض، او آثار الولاية فانّها لثقلها لم يكن موسى عليه السلام يطيق الصّبر على ما يرى من الخضر عليه السلام.

او المراد نصب عليٍّ عليه السلام بالخلافة فانّها لثقلها لم يكن يظهره النّبيّ صلى الله عليه وآله حتّى عوتبه فى ذلك و نزل عليه فان لم تفعل فما بلّغت رسالتك، او المراد مصائب اهل بيته بعده فانّها لثقلها كادت لايمكن ان تسمع، او المراد هو اّلسكينة اّلتى لم تكن تنزل الّا و معها جنود لم تروها و لم تكن تنزل حتّى يطهّر القلب من الاغبار، و لم يطهّر الّا باستنارة القوّة العّلامة و نشاط القوّة العمّالة، و لايكون ذلك الّا بقيام اللّيل و ترتيل القران.

[إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا] جوابٌ لسؤالٍ ناشٍ من مجموع ما تقدّم كأنّه قيل: لم امرت بقيام اللّيل و ترتيل القران لاجل القاء القول الّثقيل؟ـ فقال: انّ ناشئة اللّيل اى النّفس المربّاة فى اللّيل او النّفس المتجاوزة حدّ البلوغ او الجماعة النّاشئة باللّيل، او النّاشئة مصدر بمعنى الفاعل اى اّلشخص النّامى باللّيل اشدّ وطاً اى اخذاً او ضغطاً او قدماً و المقصود الثّبات والقوّة فى القوّة العمّالة.

[وَأَقْوَمُ قِيلاً] اى اعدل قولاً، و لمّا كان القول مسبّباً عمّا فى الضّمير من العلوم كما قال امير المؤمنين عليه السلام: المرء مخبوء تحت لسانه، كان هذا اشارةٍ الى اعتدال القوّة العّلامة و قوّتها.

و يجوز ان يكون المعنى كما اشير اليه فى الخبر انّ قيام الرّجل فى اللّيل عن فراشه هو اشدّ وطأً، و يكون نسبة اشدّ وطأً الى ناشئة اللّيل بمعنى القيام فى اللّيل مجازاً عقليّاً.

[إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً] هذا ايضاً جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ

تقديره اذا امرتنا بقيام اللّيل فمتى ننام؟ـ و اذا ننام فى النّهار فمتى نطلح معيشتنا؟

ـ فقال: انّ لك فى النّهار سبحاً طويلاً، و السّبح الفراغ و التّصرّف فى المعاش و النّوم و السّكون و التّقلّب فى الانتشار فى الارض و الابعاد فى السّير، و الكلّ مناسب ههنا، او المعنى لاتطلب فى ليل طبعك و ظلمة نفسك سبحاً فى آثار الله فانّ لك بعد الخلاص من الطّبع و الدّخول فى نهار الرّوح سبحاً طويلاً.

[وَ ٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ] يعنى انّ المقصود من قيام اللّيل ذكر اسم الرّبّ [وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً] اى التج بالانقطاع عن الخلق الى الله.

[رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَ ٱلْمَغْرِبِ] التّوصيف للاشعار بوجه الحكم [لَآ إِلَـهَ إِلَّا هُوَ]فاذا كان كذلك [فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً وَ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ] فى الله او فيك او فى ابن عمّك.

[وَ ٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً] بان تكون فى الباطن مجانباً مبايناً متباعداً منهم و فى الظّاهر مخالطاً مدارياً بهم [وَ ذَرْنِى وَ ٱلْمُكَذِّبِينَ] بالله او بك او بوصيّك.

و عن الكاظم عليه السلام و المكذّبين بوصيّك، قيل: هذا تنزيلٌ؟ـ قال: نعم [أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ وَ مَهِّلْهُمْ]و لاتعاجلهم بالعقوبة من عندك او بطلب العقوبة من عندالله [قَلِيلاً إِنَّ لَدَيْنَآ] تعليل.

[أَنكَالًا] جمع النّكل بالكسر القيد الشّديد، او القيد من النّار، او ضرب من اللّجم [وَجَحِيمًا وَ طَعَامًا ذَا غُصَّةٍ] ينشب فى الحلق و لايسيغ [وَ عَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ] تضطرب او تخسف كما قال القمّىّ

[وَ ٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً] الكثيب التّلّ من الرّمل، و هال عليه التّراب و التّراب مهيل.

[إِنَّـآ أَرْسَلْنَآ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل بعد ما هدّدهم بـقوله: فذرني و المكذّبين: ما فعلت بنا؟ و ما تفعل بـعدبنا؟ـ فـقال: انّـا ارسـلنا [إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَـٰهِدًا] يشهد [عَلَيْكُمْ] يوم القيامة بـالرّدّ و القـبول و الاقرار و النّكول.

[كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا] نكّر الرّسول لعدم تعلّق الغرض بتعيين الرّسول [فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلاً] ثقيلاً فاحذروا انتم عن مثل فعله حتّى لانأخذكم مثلهم.

[فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا] لطوله او لشدّة هوله و يوماً مفعول تتّقون و هو اليق لتوصيفه بما ينبغى ان يتّقى منه او ظرف لتتّقون و المفعول محذوفٌ.

[ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌم بِهِۦ] اى فيه او بسببهاى بسبب شدّة البـلاء و الهول فيه [كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًاإِنَّ هَـٰذِهِۦ] المذكورات مـن الوعـد و الوعيد [تَذْكِرَةٌ] للنّفو من المتيقّظة.

[فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ] فى الولاية [سَبِيلاً] هو قبول ولايته بالبيعة معه و اتّباع اوامره و نواهيه او الى ربّه المطلق و السبيل الى الرّبّ المطلق هو صاحب الولاية و قبول ولايته بالبيعة معه و اتّباعه.

[إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ] اى الزّيادة على النّـصف [وَ نِصْفَهُۥ وَ ثُلُثَهُۥ وَ طَـآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَ ٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَ ٱلنَّهَارَ] بحسب ساعاتهما و اثلاثهما و ارباعهما و انصافهما لاانتم

[عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ] انتم اى لن تحصوا قدرهما او لن تحصوا كّلاً من اللّيل و النّهار [فَتَابَ عَلَيْكُمْ] عن تكليفه لكم بالقيام فى نصف اللّيل او ازيد او انقص من النّصف بقليلٍ فرفع هذا الحكم عنكم و لذلك ورد انّها نسخت هذه الاية الاية الاولى.

[فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ] يعنى فى الصّلوة فى اللّيل بقرينة المقام.

و فى خبرٍ عن الباقر عليه السلام: و اعلموا انّه لم يأت نبىٌّ قطّ الّاخلا بصلوة اللّيل، و لاجاء نبىٌّ قطّ بصلوة اللّيل فى اوّل اللّيل.

[عَلِمَ أَن سَيَكُونُ] جوابُ سؤالٍ و وجه آخر للتّرخيص [مِنكُم مَّرْضَىٰ] لايقدرون على قيام اللّيل [وَ ءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ] فيكون القيام شاقّاً عليهم.

[يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ] الصّورىّ كالمسافرين للتّجارة او المعنوىّ كالمسافرين لطلب الدّين و العلم [وَ ءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ] لمّا كان بعض النّفوس مولعةً بالعبادة و قيام اللّيل و الامر بترك العبادة خصوصاً ما كان منها موظّفاً عليها كان ثقيلاً عليها كرّر الامر بقراءة ما تيسّر من القران و الصّلوة و كان الاوّل مترتّباً على عدم الاحصاء و الثّانى على المرض و الضّرب فى الارض.

و روى عن الرّضا عليه السلام انّه قال: ما تيسّر منه لكم فيه خشوع القلب و صفاء السّرّ.

[وَ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَ ءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ] قد مضى بيان الصّلوة و الزّكوة و مراتبهما و اقامة الصّلوة و ايتاء الزّكوة [وَ أَقْرِضُواْ ٱللَّهَ] من اصل مالكم

او هو بيان لايتاء الزّكوة و ترغيب فيه و اشعارٌ بان من آتى الزّكوة آتاه الله عوضه فى الدّنيا او فى الاخرة او فيهما.

[قَرْضًا حَسَنًا وَ مَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ] تعميم بعد تخصيصٍ او بيان و تعميم للقرض [تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا] اى تجدوه بعينه خيراً منه حين آتيتموه و تجدوا اجره ايضاً عظيماً، او تجدوه بما هو اجره خيراً من نفسه و اعظم.

[وَ ٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ] حين الصّلوة و الزّكوة حتّى يستر عليكم دواعى نفوسكم فى ذلك، او استغفروه فى جميع احوالكم فانّه ما منكم احدٌ الّا و له مساوٍ لاتليق بشأنه [إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ].

سُورَة المدثّر

مكّيّة، ستّ و خمسون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ] تدثّر تلفّف بثيابه.

روى عن الرّسول ﷺ انّه قال: جاورت شهراً بحراء فلمّا قضيت جوارى نزلت فاستبطنت[1] الوادى فنوديتُ، فنظرت امامى و خلفى و عن يمينى و شمالى فلم اراحداً، ثمّ نوديت فرفعت رأسى فاذا هو على العرش فى الهواء يعنى جبرئيل فقلت: دثّرونى دثّرونى فصّبوا علىّ ماءً فأنزل الله عزّ و جل: يا ايّها المّدّثر.

و فى خبرٍ: فرعبت و رجعت الى خديجة فقلت: دثّرونى، فنزل جبرئيل يا ايّها المدّثّر.

[قُمْ] عن نومك او عن التحافك او عن الكثرات او عن طبعك [فَأَنذِرْ] العباد عن الّشيطان و عن مساوى النّفس و عن رذائلها و عن سخط الله و عقوباته، و لمّا كان ينبغى ان يكون الرّسول ﷺ واقعاً بين الوحدة و الكثرة جامعاً لهما بحيث لايستر جهة الوحدة و لايتدنّس بعلائق الكثرة حين الاشتغال بالكثرة و لايغفل عن الكثرة حين الاستغراق فى الوحدة قال تعالى: قم عن الاشتغال بالكثرات و توجّه الى جهة الوحدة و انذر بعد ذلك حتّى لايذهب انذارك جهة الوحدة عنك.

[وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ] اى لكن ربّك فكبّر حتّى لاترى شيئاً الّا ورأيت الله

---

(١) اى وصلت الى بطنها.

محيطاً به، و قدّم الرّبّ لشرافته و لارادة الحصر، و الفاء زائدة للتّأكيد، او لتقدير امّا او توهّمه.

[وَ ثِيَابَكَ فَطَهِّرْ] كناية عن تطهير القلب من ادناس الكثرات فانّه كثيراً يكنّى بتلوّث الثّياب عن تلوّث القلب و تعلّقاته.

و عن الصّادق عليه السلام فى خبرٍ انّه قال: شمّر، و فى خبرٍ: ارفعها و لاتجرّها، و فى خبرٍ عنه: و ثيابك فقصّر.

[وَ ٱلرُّجْزَ فَاهْجُرْ] الرّجز بالضّمّ و الكسر و قرئ بهما القذر و عبادة الاوثان و العذاب و الشّرك، و الكلّ مناسب، و قيل: المعنى اهجر الاصنام.

و قيل: اجتنب المعاصى: و قيل: اجتنب الفعل القبيح و الخلق الذّميم، و قيل: اجتنب حبّ الدّنيا لأنّه رأى كلّ خطيئةٍ.

[وَ لَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ] اى لاتعط طلباً لاكثر ممّا اعطيت، او لاتمنن على العباد عادّاً لعطائك كثيراً، او لاتمنن بحسناتك على الله مستكثراً لها، او لاتمنن ما اعطاك من النّبوّة او القران او الدّين على النّاس مستكثراً به الاجر من العباد، و قيل: هو نهى عن الرّبا المحرّم.

[وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ] على مشاقّ التّكليف و اثقال النّبوّة، او فاصبر على اذى القوم، او على محاربة العرب و العجم، او على الطّاعات و المصائب و عن المعاصى.

[فَإِذَا نُقِرَ] الفاء سببيّة يعنى لانّه اذا نقر [فِى ٱلنَّاقُورِ] اى نفخ فى الصّور فى النّفخة الاولى او الثّانية او حين ظهور القائم عليه السلام.

[فَذَٰلِكَ] اليوم [يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ] على الكافرين متعلّق بعسير او بيسير، و هذا التّقييد يدلّ على

سهولته و يسره على المؤمنين.

و عن الصّادق عليه السلام فى هذه الاية: انّ منّا اماماً مظفّراً مستتراً فاذا اراد الله اظهاره نكت فى قلبه نكتةً فظهر فقام بأمر الله.

[ذَرْنِى وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا] الوحيد بمعنى المتوحّد و هو حال عن فاعل خلقت، او عن من، اوعائده المحذوف.

او المراد به الوليد بن المغيرة فانّه كان يسمّى وحيداً فى قومه فيكون بدلاً من من، او لانّه كان لايعرف له ابٍ، و الوحيد من لايعرف له ابٍ، و حينئذٍ يكون حالاً عن من [وَ جَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا] اى كثيراً او متّصلاً منافعه لايقطع فى فصلٍ، و لايكون كسائر الضّياع و سائر الاموال، او ممدوداً ما بين مكّة الى الطّائف من الابل و الخيل و النّعم و الجوارى و العبيد و المتسغّلات الّتى لاتنقطع غلّتها فانّه كان له اموال كذلك، و مائة الف دينارٍ و عشرة بنين او ثلاثة عشر بنين.

[وَ بَنِينَ شُهُودًا] حاضرين معه بمكّة لايسافرون لطلب المعيشة لعدم حاجتهم الى السّفر لغنائهم [وَ مَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا] بسطت له فى العيش بحيث لايحتاج الى شىء الّا كان له، او بسطت له فى الرّياسة و الجاه بحيث لم يكن احد ينازعه فى ذلك و كان يلقّب ريحانة قريشٍ و وحيداً.

[ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّآ] ردع له عن ذلك الطّمع اورد عن لمن ظنّ له ذلك [إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَـٰتِنَا] الافاقيّة و الانفسيّة و خصوصاً الايات العظمى [عَنِيدًا] اى جاحداً رادّاً فانّ معنى عنده ردّه عارفاً بحقّه فهو عنيد و عاند.

[سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا] الارهاق اى يحمل الانسان على ما لايطيقه و الصّعود بفتح الصّاد مصدر ضدّ الهبوط او العقبة الّشاقّة او جبل فى جهنّم و

المعنى ساحمله على صعود لايمكنه تعريفه و لايحتمله الانسان، او ساحمله على الجبل المعروف فى جهنّم، او على عقبة عظيمة.

و قيل: هو جبل من صخرةٍ ملساء فى النّار يكلّف ان يصعدها حتّى اذا بلغ اعلاها اُحدر الى اسفلها، ثمّ يكلّف ايضاً ان يصعدها، فذلك دأبه ابداً يجذب من امامه بسلاسل الحديد و يضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها فى اربعين سنة.

[إِنَّهُۥ فَكَّرَ] فى القران و فيما اراد ان يقول فى ردّه و طعنه [وَ قَدَّرَ] فى نفسه ما اراد ان يقول.

روى انّ النّبىّ ﷺ لمّا انزل عليه حَم تنزيل الكتاب من الله العزير العليم غافر الذّنب و قابل التّوب شديد العقاب قام الى المسجد و الوليد بن مغيرة قريبٌ منه يسمع قراءته، فلمّا فطن النّبىّ ﷺ لاستماعه لقراءته اعاد قراءة الاية فانطلق الوليد حتّى اتى مجلس قومه بنى مخزوم فقال: و الله لقد سمعت من محمّد ﷺ آنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس و لا من الكلام جنّ انّ له لحلاوةً و انّ عليه لطلاوةً[1] و انّ اعلاه لمثمرو انّ اسفله لمغدق[2] و انّه ليعلو و ما يعلى، ثمّ انصرف الى منزله.

فقال قريشٌ: صبأ[3] و الله الوليد و الله لتصبأنّ قريش كلّهم و كان يقال للوليد ريحانة قريش.

فقال لهم ابوجهل: انا اكفيكموه، فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزيناً فقال: مالى اراك حزيناً يا ابن اخى؟ـ قال: هذه قريش يعيبونك على كبرسّنك

(١) الحسن و القبول و البهجة
(٢) الغدق = المطر الكبار القطر و المغدق مفعل منه = الماء الغدق الكثير.
(٣) صبأ كمنع و كرم = خرج من دينٍ الى آخر

و يزعمون انّك زيّنت كلام محمّدٍ ﷺ فقام مع ابى جهل حتّى أتى مجلس قومه فقال: اتزعمون انّ محمّداً ﷺ مجنون؟- فهل رأيتموه يجنّ قطّ؟- فقالوا: اللّهمّ لا، قال: اتزعمون انّه كاهن؟ فهل رأيتم عليه شيئاً من ذلك؟- قالوا: اللّهم لا،

قال: اتزعمون انّه شاعرٌ؟ فهل رأيتموه انّه ينطق بشعرٍ قطّ؟- قالوا: اللّهمّ لا، قال: اتزعمون انّه كذّاب؟ فهل جرّبتم عليه شيئاً من الكذب؟- فقالوا: اللّهمّ لا، و كان يسمّى الصّادق الامين قبل النّبوّة من صدقه، فقالت قريش للوليد: فما هو؟

- فتفكّر فى نفسه ثمّ نظر و عبس فقال: ما هو الّا ساحرٌ اما رأيتموه يفرّق بين الرّجل و اهله و ولده و مواليه فهو ساحر و ما يقوله سحر يؤثر، فكان لايلقى بعد ذلك احد منهم النّبىّ ﷺ الّا قال: يا ساحر، و اشتدّ عليه ذلك فأنزل تعالى: يا ايّها المدّثّر (الى قوله) الّا قول البشر.

[فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ] تأكيد للاوّل و الجملتان دعائيّتان [ثُمَّ نَظَرَ] عطف على فكّر و قدّر [ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ] تأكيدٌ للاوّل او الاوّل بمعنى كلمح الوجه، و الثّانى بمعنى نظر بالكراهة.

[ثُمَّ أَدْبَرَ] عن الحقّ [وَ ٱسْتَكْبَرَ] عن الانقياد [فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ] الّذى يقرءه محمّد ﷺ [إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ] يروى او يتعلّم و يؤخذ، او يختار من بين افنان السّحر.

[إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ] و ليس كما يقول محمّد ﷺ قول الله [سَأُصْلِيهِ سَقَرَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [وَ مَآ أَدْرَاكَ] يا محمّد ﷺ او يا من شأنه السّماع و الادراك قول الله [مَا سَقَرُ لَا تُبْقِى] شيئاً لاتأخذه.

[وَ لَا تَذَرُ] بعد ما اخذته، او لاتبقى شيئاً من المأخوذ بعد ما أخذته و لاتذر شيئاً لم تأخذه، او لاتبقى شيئاً من العذاب بل تعذّب المعذّب بجميع انواع العذاب و لاتذر احداً من المستحقّين للعذاب.

[لَوَّاحَةٌ] اى مغيّرة غاية التّغيير او مسوّدة [لِّلْبَشَرِ].

روى عن الباقر عليه السلام انّ فى جهنّم جبلاً يقال له: صعود، و انّ فى صعود لوادياً يقال له: سقر، و انّ فى سقر لجُبّاً يقال له هبهب كلّما كشف غطاء ذلك الجبّ ضجّ اهل النّار من حرّه و ذلك منازل الجبّارين.

[عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ] ملكاً او صنفاً من الملائكة لجميع الثّقلين او لكلّ واحد منهم.

قيل فى وجه هذا العدد: انّ المنصرف عن الانسانيّة يحكم عليه المادّة و الطّبيعة الجسمانيّة و الطّبائع العنصريّة و الصّورة الجماديّة و النّفس النّباتيّة و النّفس الحيوانيّة و المدارك العشرة الحيوانيّة و القوى الثّلاثة الشّيطانيّة و البهيميّة و السبعيّة.

و قيل فيه، هى الملكوت الارضيّة الّتى تلازم المادّة من روحانيّات الكواكب السّبعة و البروج الاثنى عشر الموكّلة بتدبير العالم السّفلىّ المؤثّرة فيه تقمعهم بسياط التّأثير و تردّهم الى مهاويها.

و قيل غير ذلك، و كلّ ذلك من قبيل الاستحسانات و التّخمينات، فانّ علم امثال ذلك موكول الى الله و الى من كان علمه علم الله و لاحظّ لغيرهم فيه و لذلك لم يرد من المعصومين عليهم السلام فى بيان ذلك شىءٌ.

قيل: لمّا نزلت هذه الاية قال ابوجهل لقريش: ثكلتكم امّهاتكم

اتسمعون ابن ابى كبشة يخبركم انّ خزنة النّار تسعة عشر و اتـم الدَّهـم[١] الّشجعان افيعجز كلّ عشرةٍ منكم ان يبطشوا برجل من خزنة جهنّم؟!

فقال رجل منهم: انا اكفيكم سبعة عشر عشرة على ظهرى و سـبعة على بطنى فاكفونى انتم اثنين، فنزلت هذه الاية.

[وَ مَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً] يعنى لايقوم تمام اهل الدّنيا بواحـد مـنهم [وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ] الفـتنة بالكسر الاختبار و الضّلال و الاثم و الكفر و الفضيحة و العذاب و الاضلال و الجنون و لامحنة و اختلاف النّاس فى الاراء، و الكلّ مناسب ههنا.

لانّ خزنة النّار و ان كانوا فى الاخـرة لكـن بـمضمون و انّ جـهنّم لمحيطة بالكافرين يكون من كلّ انموذجٍ فى الدّنيا و يكون موكّلاً بانموذجه على الكافر فى الدّنيا كما انّه فى الاخرة بنفسه يكون موكّلاً عليه.

و قيل: سبب افتتانهم بهذا العدد استهزاؤهم و استبعادهم ان يتولّى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثّقلين.

[لِيَسْتَيْقِنَ] قيل تعليل لمحذوف اى قـلنا ذلك ليسـتيقن [ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ] من اليهود و النّصارى بنبوّة محمّدٍ ﷺ لمّا رأوا الخـبر موافقاً لما فى كتبهم.

[وَ يَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ] اى اسـلموا بـمحمّد ﷺ [إِيمَـٰنًا] لمّـا اخبرهم اهل الكتاب بموافقته لما فـى كـتبهم [وَ لَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَ ٱلْمُؤْمِنُونَ] هذا ما فسّروه بحسب الظّاهر به ولكن نقول ايتاء الكتاب كناية عن قبول النّبوّة ايّه نـبوّة كـانت و لااخـتصاص بـاليهود و

(١) الدّهم= العدد الكثير.

النّصارى بل كلّ من قبل نبوّة محمّد صلی الله علیه و آله بالبيعة على يده و قبول احكام نبوّته و الانقياد تحت حكمه و قبول دعوته الظّاهرة كان ممّن اوتى الكتاب و الايمان، و ان كان يستعمل فى الاسلام و قبول الدّعوة الظّاهرة بالبيعة العامّة مجازاً او على سبيل الاشتراك، لكنّ المراد به ههنا الايمان الحقيقىّ الحاصل بالبيعة الخاصّة و قبول الدّعوة الباطنة و الدّخول تحت احكام الولاية.

و الى هذين اشار تعالى بقوله: لمن كان له قلب او القى السّمع و هو شهيد فانّ الاوّل اشارة الى المؤمن المحقّق و الثّانى الى المسلم المقلّد، و قد ذكرنا انّ كلّما يكون فى الاخرة يكون انموذجه فى الدّنيا فانّ الدّنيا بوجهٍ مادّة الاخرة و بوجهٍ صورة الجحيم او انموذجها.

فالمعنى عليها تسعة عشر صنفاً او شخصاً من الملائكة ليكونوا سائقين للكفّار الى النّار و للمؤمنين الى الجنّة، و من قبل النّبوّة لمّا لم يكن يدرك بالذّوق و الوجداو امور الاخرة لم يكن يستيقن بمحض تلك البيعة لامور الاخرة، و لمّا كان هؤلاء الملائكة فى الدّنيا سائقين لهم الى الاخرة كانوا بذلك الّسوق يدركون بالوجدان امور الاخرة فيستيقنونها، و لمّا كان المؤمنون موقنين فسوقهم يصير سبباً لازدياد ايقانهم، و يجوز ان يكون تعليلاً لقوله: و ما جعلنا اصحاب النّار الّا ملائكة، او لقوله و ما جعلنا عدّتهم الّا فتنةً، و يجوز ان يكون تعليلاً للكلّ على سبيل التّنازع.

[وَ لِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ] ممّن قبل الدّعوة الظّاهرةاى من فى قبله نفاق [وَ ٱلْكَـٰفِرُونَ] اى الّذين لم يقبلوا الاسلام [مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا] العدد او بهذا القول او بجعل عدّتهم فتنة او بجعل اصحاب النّار

ملائكة [مَثَلاً] تميز عن هذا او حال عنه‌اى حالكونه مستغرباً غرابة المثل او حالكونه جارياً على الالسن جريان المثل، و الّلام للعاقبة مثل قوله تعالى ليكون لهم عدوّاً و حزناً.

او للغاية على ما بيّنا يعنى ما جعلنا اصحاب النّار الّا ملائكة ليكونوا فى الدّنيا سائقين لاهل النّار الى النّار و موصلين لاهل الجنّة الى الجنّة.

[كَذَٰلِكَ] الاضلال باظهار ما ليس فى وسعهم ادراكه [يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ] من الملائكة و الجنّ و جميع الموجودات فانّ الكلّ من جنوده.

[إِلَّا هُوَ] فليس قلّة عدد اصحاب النّار لقلّة جنوده بل لعدم الحاجة الى ازيد من ذلك [وَ مَا هِىَ] اى المعهودة المطلقة الّتى هى ولاية علىّ بن ابى طالب عليه السلام، و قيل: ما السّقر او عدّة الخزنة او السّورة.

و قد ورد عن الكاظم عليه السلام تفسيرها بالولاية.

[إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ] و التّذكرة الحقيقيّة هى الولاية و ان كانت سقر و عدّة الخزنة و السّورة ايضاً تذكرة.

[كَلَّا] ردع لمن لايعظّم الولاية او لايعتنى بسقر او الخزنة [وَ ٱلْقَمَرِ وَ ٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ] قرئ اذا بسكون الذّال و ادبر من الادبار و هذه هى القراءة الصّحيحة فانّ اللّيل الّذى هو عالم الكون وجوده على الادبار فهو مدبر ابداً بخلاف صبح الملكوت.

فانّه يسفر بعد بالنّسبة الى اهل عالم الملك، و قرئ اذا بالالف و دبر من الثّلاثىّ المجرّد [وَ ٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ] يعنى الولاية او سقر او خزنة جهنّم او السّورة احدى الايات او النّقم و البلايا الكبر.

[نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ] حال او مفعول له او مفعول مطلق لمحذوفٍ [لِمَن شَآءَ مِنكُمْ] بدل من قوله للبشر [أَن يَتَقَدَّمَ] الى الولاية [أَوْ يَتَأَخَّرَ] عن سقر، في الخبر: من تقدّم الى ولايتنا اخّر عن سقر، و من تاخّر عن ولايتنا تقدّم الى سقر.

[كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: كيف يكون الولاية احدى الايات الكبرى؟

ـ فقال: لانّ كلّ نفسٍ بما كسبت رهنية الّا من تمسّك بها و العنى كلّ نفسٍ بما كسبت من خيرٍ او شرّ فانّه مفاد الاطلاق مرهونة فانّ كلّ ماعملت الانفس بانانيّاتها سواء كانت بحسب الصّورة خيراً او شرّاً كانت و بالاً عليها و قيداً لها، و كانت الانفس مرهونةً مقيّدةً بها الّا من تولّى عليّاً عليه السلام لانّ الولاية هي المبدّلة للّسيّئات بالحسنات و يحزى الله الّذين تولّوا عليّاً عليه السلام بازاء جملة اعمالهم باحسن ماكانوا يعملون.

و لذلك قال [إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ] فانّ اليمين امير المؤمنين عليه السلام و اصحاب اليمين شيعته [فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ] يعنى يستاءلون بينهم او يسألون غيرهم عن حال المجرمين او يتساءلون هم و المجرمون عن حال المجرمين.

[مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ] و هذا الخطاب و الّسؤال دليل على انّ اصحاب اليمين يسألون المجرمين عن حالهم [قَالُواْ] فى الجواب [لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ] اى من المتولّين عليّاً عليه السلام.

فانّ الصّلوة الحقيقيّة لاتكون الّا بالولاية بل الولايـة هـى الصّـلوة حقيقةً و لذلك قال عليٌّ عليه السلام: انا الصّلوة، او لم نكن من اتباع الّسابقين فانّهم

يسمّون الّذى يلى الّسابق فى الحَلبة[1] مصلّيّاً، او لم نكن من اتباع وصىّ محمّدٍ صلّى الله عليه وآله و لم نصلّ عليهم، و الى الكلّ اشير فى الخبر، او لم نك من المصلّين صلوة القالب المقرّرة فى الّشريعة، و اليه ايضاً اشير فى خبرٍ عن علىٍّ عليه السّلام.

[وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ] من الحقوق اواجبة او المتسحبّة، او لم نكن نعطى حقوق آل محمّد صلّى الله عليه وآله من الخمس.

[وَ كُنَّا نَخُوضُ] فى الايات بالرّدّ و القدح و الطّعن و الاستهزاء [مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ] فى ذلك [وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ] بالموت و كشف الحجب.

[فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ] لقطعهم الفطرة الّتى هى الولاية الّتكوينيّة الّتى هى سبب للولاية الّتكليفيّة و لذلك قيل: «مردود شيخى را اگر تمام مشايخ عالم جمع شوند و خواهند اصلاح نمايند نتوانند» لانّ المردود لايصير مردوداً الّا بعد قطع الفطرة و الولاية الّتكوينيّة و هو الّذى يسمّى بالمرتدّ الفطرى الّذى لايقبل توبته لاظاهراً و لاباطناً.

و قد سبق بيان الارتداد و المرتدّ الملّىّ و الفطرىّ فى سورة ال عمران عند قوله تعالي: و من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه.

[فَمَا لَهُمْ] يعنى اذا كان الولاية ذكرى للبشر و كانت هى احدى الكبر فمالهم [عَنِ] هذه [ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ] اى عن الولاية.

[كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ] بالغة فى النّفار [فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ] من اسدٍ، التّوصيف لزيادة المبالغة.

---

(۱) الحَلبة كحلقة = خيل تجمع للسّابق من كلّ اوب، كما يقول للقوم اذا جاؤا من كلّ اوب لّلنصره قد احلبوا.

[بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً] ناطقة بصدق محمّد صلى الله عليه وآله في نبوّته او في ولايته عليّ عليه السلام و هو اضراب من الادنى الى الاعلى، يعنى بل مالهم لايكتفون بالاعراض و يدّعون ما لايليق بشأنهم.

و قيل: المعنى يزيدون صحفاً من الله بالبراءة من العقوبة و اسباغ النّعمة حتّى يؤمنوا، و قيل: يريد كلّ منهم ان يكون رسولاً يوحى اليه و ينزّل عليه كتاب مثل القران.

و قيل: المراد معنى قوله تعالى: لن نؤمن لرقيّك حتّى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه.

[كَلَّا] ردع عن هذه الارادة او عن ظنّ انّهم يريدون ذلك واقعاً [بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأَخِرَةَ] اى ليس اقتراحهم لطلب الدّين بل لايخافون الاخرة فيعاندون و يريدون اظهار عجز الرّسول صلى الله عليه وآله عن مقترحهم.

[كَلَّآ] ردع عن ذلك الاعراض و تلك الارادة [إِنَّهُۥ] اى قران ولاية عليٍّ عليه السلام او عليّاً عليه السلام بنفسه [تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ وَ مَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ] يعنى انّ مشيّتكم و ذكركم و جميع افعالكم مسبوقة بمشيّة الله التّكوينيّة سواء كانت مرضيّةً لله او مبغوضةً.

فانّ مشيّته الّتى هى عبارة عن رحمته الرّحمانيّة سابقة على رضاه و غضبه و بمنزلة المادّة لهما.

[هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ] حقيق بان يتّقى منه [وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ] فانّ مغفرته غير مشوبة بغرض و غاية بخلاف غيره لعدم خلوص مغفرته عن شوب غرض و غاية.

سُورَة القيامة

مكّيّة، و هى اربعون آيةً.

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمـٰنِ ٱلرَّحِـيمِ

[لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَ لَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ] لفظة لامزيدة للتّأكيد او جواب و نفى لاعتقادهم لعدم البعث، او نفى للقسم و المعنى لااقسم بيوم القيامة لانّكم لاتعتقدونه، و لااقسم بالنّفس اللّوّامة لعدم اعتقادكم لها.

اعلم، انّ النّفس ذات انواعٍ و اصنافٍ كثيرةٍ و كلّ فردٍ منها ذات مراتب و درجات عديدةٍ، و النّفس الانسانيّة ذات مراتب، فمرتبة منها تسمّى بالامّارة و هى الّتى تكون محكومةً و خادمةً للّشيطنة و الغضب و الّشهوة و لاتكون الّا امّارةً بالّسوء، و مرتبة منها تسمّى باللّوّامة و هى الّتى تلوم نفسها فى جميع فعالها فى سيّئاتها لسوئتها و فى خيراتها لقصورها و تقصيرها و نسبتها الى نفسها.

و مرتبة منها تسمّى بالمطمئنّة لاطمينانها عن كدّالطّلب لخروجها من قوّتها الى الفعليّات.

[أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ] هذه قرينة جواب القسم المحذوف [أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ] قيل: نزلت فى عدىّ بن ربيعة سأل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن امر القيامة فأخبره به فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم اصدّقك اَوَ يجمع الله هذه العظام؟

[بَلَىٰ] نجمعها [قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ] الّتى فيها دقائق

الصّنع و صغار المفاصل و الاوتار، و قيل: المعنى على ان نسوّى بنابه فنجعلها كالخفّ و الحافر و لكن هذا المعنى غير مناسب ههنا.

[بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ] يعنى ليس انكاره البعث لالتفاته الى الاخرة و انجرار دليله الى الانكار بل لاقامته على الفجور و عدم نزوعه عنه و عدم التفاته الى البعث و الاخرة.

[لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ] اى فى مستقبل امره [يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ] استهزاء و هو لايدرى انّه فى الّذهاب الى القيامة و انّ القيامة لاتكون فى الزّمان بل هى خارجة عن حدّ الزّمان.

[فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ] كناية عن شخوص البصر و عدم القدرة على تحريك الجفن، و هذه كناية شائعة عن ذلك فى العرب و العجم [وَ خَسَفَ ٱلْقَمَرُ] ذهب ضوؤه.

[وَ جُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَ ٱلْقَمَرُ] و هذه امارات الموت و امارات القيامة الصّغرى و امارات ظهور القائم عليه السلام.

[يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَـئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ] يعنى لامفرّ [كَلَّا] ردع عن تمنّى المفرّ [لَا وَزَرَ] لاملجأ و لامعتصم.

[إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَـئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ] لااستقرار لاحدٍ الى احدٍ الّا ربّك المضاف و هو الرّبّ فى الولاية و هو علىّ عليه السلام.

[يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَـئِذِم بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ] بما عمل و ما ترك من خيرٍ و شرٍّ، او بما عمل فى حياته و ما سنّ من سنّةٍ يعمل بها بعد مماته، او بما قدّم من ماله فى حياته لنفسه و ما ترك لورثته.

[بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ] البصيرة للقلب كالبصر

للجسد، و تستعمل بمعنى الحجّة و تكون مؤنّث البصير، فاذا كانت مؤنّث البصير يكون التّقدير عين بصيرة، او المراد انّ الانسان بجوارحه بصير على نفسه فانّث الخبر لاقامة الانسان مقام الجوارح، او التّاء ليس للتّأنيث بل للمبالغة.

[وَ لَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ] و لو اعتذر الى النّاس بكلّ ما يعتذر به فانّ القاء الاعذروان كان يخفى الّشرّ على الاغيار لكنّه لايستره على نفسه يعنى يعلم ما صنع و ان اعتذر.

عن الصّادق عليه السلام: ما يصنع احدكم ان يُظهر حسناً و يستر سيّئاً اليس اذا رجع الى نفسه يعلم انّه ليس كذلك و الله عزّ و جلّ يقول: بل الانسان على نفسه بصيرةٌ انّ الّسريرة اذا صلحت قويت العلانية.

و فى خبرٍ من اسرّ سريرةً البسه الله رداءها، ان خيراً فخيرٌ و ان شرّاً فشرٌّ.

[لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ] الخطاب لمحمّدٍ صلى الله عليه و آله اذا انزل عليه القران عجّل بتحريك لسانه لحبّه ايّاه و حرصه على اخذه مخافة ان ينساه، او المعنى لاتحرّك بما اردت اظهاره من البراءة من معاوية كما سيأتى.

و قيل: الخطاب عامّ و المقصود تقريع المسيئين يوم القيامة بهذا الخطاب فانّه اذا اوبى العباد يوم القيامة كُتب اعمالهم و ينظر الانسان الّذى هو على نفسه بصيرة و يرى سيّئاته ضجر فيقال له توبيخاً: لاتعجل بقراءة كتابك.

[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَ قُرْءَانَهُۥ] اى تأليفه و تنظيمه [فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ

فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ] روى انّه كان النّبىّ ﷺ بعد هذا اذا نزل عليه جبرئيل اطرق فاذا اذهب قرأ.

[ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ] اى اظهار حقائقه عليك لتتحقّق بها [كَلَّا] قيل: ردع عن القاء المعاذير و ما بينهما اعتراض: و كونه ردعاً عن التّعجيل و التّحريك اولى.

[بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ] يعنى ليس القاء المعاذير لاصلاح النّفوس او لجهل نقائص النّفس بل لحبّ الدّنيا و اصلاحهم.

[وَ تَذَرُونَ ٱلْأَخِرَةَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ عن حال الاخرة [إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ] اى الى ربّها المضاف لظهور الولاية و صاحبها فى ذلك اليوم، او الى ربّها المطلق لظهور آثاره‌اى الى آثاره ناظرة، او منتظرة الى ثواب ربّها.

روى عن امير المؤمنين عليه السلام فى حديث: ينتهى اولياء الله بعد ما يفرغ من الحساب الى نهرٍ يسمّى الحيوان فيغتسلون فيه و يشربون منه فتبيضّ وجوههم اشراقاً فيذهب كلّ قذيٍ و وَعَثٍ[1] ثمّ يؤمرون بدخول الجنّة، فمن هذا المقام ينظرون الى ربّهم كيف يثيبهم؟ـ قال: فذلك قوله تعالى: الى ربّها ناظرة و انّما يعنى بالنّظر اليه النّظر الى ثوابه تبارك و تعالى، و فى الخبر و النّاظرة فى بعض اللّغة هى المنتظرة الم تسمع.

اى قوله: فناظرة بم يرجع المرسلون اى منتظرة و [وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍم بَاسِرَةٌ] عابسة او شديدة العبوس [تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ]

(۱)الوَعَث المشقّة، و وَعَثاء السفر مشقّته، و الوعث، المكان السّهل الذى تعيث فيه الاقدان و يشقّ على من يمشى فيه، و اوعث القوم اى وقفوا فى الوعث.

الفاقرة الدّاهية و لعلّها كانت فى الاصل بمعنى الكاسرة لفقرات الظّهر ثمّ غلب على الدّاهية لكسرها فقرات الظّهر المعنوىّ.

[كَلَّا] ردع عن اختيار الدّنيا اوردع عن ظنّ النّجاة بصاحبى تلك الوجوه [إِذَا بَلَغَتِ] النّفس [ٱلتَّرَاقِيَ وَ قِيلَ مَنْ رَاقٍ] رافع لك عن هذه المهالك؟

قيل: ذلك على سبيل التّحسّر، او يقول الملائكة: من يرفعه بروحه، ملائكة الرّحمة او ملائكة العذاب؟ او من يشفيه بأسماء الله تعالى من الرّقية و هو طلب الّشفاء بأسماء الله تعالى.

[وَ ظَنَّ] اى علم لكن لمّا كان علوم النّفس فى حكم الظّنون لمغايرتها لمعلوماتها و جواز انفكاك المعلومات عنها عبّر عنها بالظّنون كما ذكرنا سابقاً مكرّراً.

[أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ] من الدّنيا [وَ ٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِالسَّاقِ] كناية عن انتزاع الرّوح فانّه يلتفّ فى كثير الّساقان حينئذٍ، و لمّا كان آخر الدّنيا بمنزلة الّساق لها و اوّل الاخرة ايضاً بمنزلة الّساق لها جازان يقال: التفّت الدّنيا بالاخرة، و لمّا كانوا يكنّون عن شدّة الامر بالّساق جاز ان يقال: التفّت شدّة هول الدّنيا بشدّة هول الاخرة.

[إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَـئِذٍ ٱلْمَسَاقُ] هذه الجملة جواب اذا بتقدير الفاء، او الجواب محذوف بقرينة المقام [فَلَا صَدَّقَ] يجوزان يكون هذه الجملة جواباً و يكون المعنى اذا بلغت التّراقى لايكون له راحة لانّه لاصدّق.

[وَ لَا صَلَّىٰ] اى لاصدّق الانبياء و الاولياء عليهم السلام و لاصلّى [وَ لَـٰكِن كَذَّبَ] الانبياء و الاولياء عليهم السلام [وَ تَوَلَّىٰ] عن طاعة الله و طاعة خلفائه.

[ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ] يتبختر سواء كان اصله التّمطّى بالياء او التّمطّط بالطّاء.

[أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ] اولى فعل ماضٍ اصله اولاك الله ما تكرهه، او اولاك الله البعد من الخير او الهلاك، بمعنى ولّاك الله فحذف الفاعل و المفعول الثّانى و ادخل الّلام الزّائدة على المفعول الاوّل للتّأكيد.

او بمعنى قرّب الله منك الهلاك او قرب منك الهلاك، او بمعنى ارجعك الله الى الهلاك من، آل يؤل مقلوباً، او بمعنى اهلك الله من الويل او هو افعل التّفضيل بمعنى احرى اى احرى لك النّار او الهلاك او اللّعن او بمعنى اقرب فحذف المبتدء او هو افعل من الويل بعد القلب بمعنى ويل لك او شدّة الويل لك، او هو فعلى من آل يؤل بمعنى مرجعك النّار و على ايّ تقديرٍ هو كلمة تهديدٍ صار كالامثال لايغيّر و لايذكر المحذوف المقدّر.

قيل: اخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد ابى جهلٍ ثمّ قال له ذلك فقال: باىّ شىءٍ تهدّدنى؟ لاتستطع انت و لاربّك ان تفعلابى شيئاً و انّى لاعزّ اهل هذا الوادى فأنزل الله سبحانه كما قال له رسول الله صلى الله عليه وآله.

و قال القمّىّ: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا الى بيعة علىٍّ عليه السلام يوم غدير خمٍّ فلمّا بلّغ و اخبرهم فى علىٍّ عليه السلام ما اراد ان يخبرهم رجعو النّزاس فاتّكى معاوية على مغيرة بن شعبة و ابى موسى الاشعرى ثمّ اقبل يتمطّى نحو اهله و يقول: ما نقرّ لعلىٍّ عليه السلام بالولاية ابداً و لانصدّق محمّداً صلى الله عليه وآله مقالته فأنزل الله عزّ و جلّ: فلاصدّق و لاصلّى (الايات).

[ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ] التّكرير لمحض التّأكيد او الاوّل و تأكيده للدّنيا، و الثّانى و تأكيده للاخرة [أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى]

مهملاً [أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ] استفهام تقريرىّ فى مقام التّعليل لانكار هذا الحسبان.

[ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ] اى فسوّاه ذكراً بالغاً و انثى بالغةً، او فسوّاه بحسب اعضائه بمعنى فكسونا العظام لحماً [فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَ ٱلْأُنثَىٰ] يعنى انّ الله جعل لهذا البنيان و لمادّة الانسان تبدّلاتٍ من اخسّ الاحوال الى اشرفها، فاذا صار انساناً بالغاً ذكراً او انثى لايهمله بل اذا استكمل فى جهة روحانيّته بالموت الاختيارىّ او الاضطرارىّ صار اشدّ اهتماماً به من حال الخسيسة الّتى كان فيها نطفةً قذرةً او علقةً او مضغةً او جنيناً.

[أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْيِىَ ٱلْمَوْتَىٰ] و الحال انّ الموت هو سبب حياته الحقيقيّة.

عن الرّضا عليه السلام: انّه اذا قرأ هذه الّسورة قال عند فراغها: سبحانك اللّهمّ بلى.

سُورَة الدّهر

و تسمّى سورة الانسان و سورة الابرار و سورة هل أتى، مكّيّة كلّها، و قيل: مدنيّة كلّها، و قيل: مدنيّة الّا قوله: و لاتطع منهم آثمًا او كفورًا.

و قيل: انّ قوله: انّا نحن نزّلنا القرآن تنزيلاً (الى آخر السّورة) مكّيٌّ و الباقى مدنىّ احدى و ثلاثون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[هَلْ أَتٰى عَلَى الْاِنْسٰانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ] استفهام تقريرىّ و المعنى قد أتى و لذا فسّر به.

[لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُوراً] فى الخلق يعنى كان مقدّراً مقدوراً و لم يكن مكوّناً مخلوقاً [اِنّٰا خَلَقْنَا الْاِنْسٰانَ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فكيف خلق الانسان؟

ـ فقال: انّا خلقناه [مِنْ نُطْفَةٍ اَمْشٰاجٍ] مشج من باب نصر خلط و شىءٌ مشيج كقتيل و سَبَب و كتِف مخلوط، و الجمع امشاج، كون النّطفة امشاجاً امّا لاختلاط الاخلاط او العناصر او استعدادت الاعضاء و القوى فيها، او لاختلاط المائين ماء الرّجل و ماء المرأة.

[نَبْتَليهِ] نستخلصه من الفضول و ممّا لايليق به و نعطيه و نتفضّل عليه بما يليق بشأنه [فَجَعَلْنٰاهُ سَميعًا بَصيرًا] يعنى على اشرف احوال الحيوان [اِنّٰا هَدَيْنٰاهُ السَّبيلَ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: مافعلت به بعد ذلك؟ و ما تفعل به؟

ـ فقال: انّا هديناه الّسبيل بحسب فطرته فانّ الكلّ بحسب الفطرة

يعرف الخير و الّشرّ الانسانيّين و بحسب التّكليف بتوسّط الانبياء و الاولياء عليهم السلام.

[اِمّا شاكِرًا] اى عاملاً بما عرفناه [وَ اِمّا كَفُورًا] تاركاً لما عرفناه [اِنّا اَعْتَدْنا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن حال الكفور [لِلْكافِرينَ سَلاسِلَ] بها يقادون عنفاً.

[وَ اَغْلالاً] بها يقيّدون [وَ سَعيرًا] بها يحترقون [اِنَّ الْاَبْرارَ يَشْرَبُونَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن حال الشّاكرين [مِنْ كَأْسٍ] من خمرٍ او من كأسٍ فيها خمر.

[كانَ مِزاجُها كافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِها] اى منها [عِبادُ اللهِ يُفَجِّرُونَها] يجرونها بايّ نحوٍ و الى ايّ مكانٍ شاؤا، او يخرجون ماؤها من ايّ مكانٍ شاؤا [تَفْجيرًا] لايعرف لعظمته.

اعلم، انّ للانسان حالاتٍ و مراتب و درجاتٍ فانّ فى اولى مراتبه جمادٌ فى تطوّراته، و فى ثانية مراتبه نبات فى تفنّنانه، و فى ثالثة مراتبه حيوانٌ فى تبدّلاته و تقلّباته، و فى رابعة مراتبه انسانٌ فى كثرة نشاته.

و لتلك المراتب ميولٌ و اقتضاءات و شهوات و غضبات و محبّات و اشتياقات و عزمات و ارادات و حركات و سكنات، فاذا بلغ الانسان مبلغ الرّجال و النّساء فامّا ان تكون حركاته و سكناته بحكم ميوله الجماديّة او اقتضاءاته النّباتيّة او شهواته و غضباته الحيوانيّة.

او ادراكاته و حيله الّشيطانيّة، و امّا ان تكون بحكم عقله الانسانىّ فان كانت من القسم الاوّل كانت جملة حركاته و سكناته و عزماته و اراداته من حيث انجرارها الى العمل الّشىّء و الاسوء سلاسل تجرّه فى الدّنيا الى

اسفل النّفس الّتى هى صورة جحيم الاخرة و الى العمل القبيح الّذى هو من آثار لهبات الجحيم، و تلك السّلاسل فى الدّنيا مستورة عن الانظار الحسّيّة و ان كانت مشهودة بالانظار الملكوتيّة لاهلها.

لكن فى الاخرة تصير مشهودة ظاهرة بناءً على تجسّم الاعمال و موجبة لسلاسل اخرى اخرويّة بناءً على جزاء الاعمال فى الاخرة بالجزاء المناسب لها، و كانت كلّها من حيث اكتساب النّفس منها سوأة و ثقلاً اغلالاً لها مستورة عن الانظار الدّنيويّة مشهودة للانظار الاخرويّة.

و ان كانت من القسم الاخير صارت سبباً لاطلاقه من الاغلال و خلاصه من السّلاسل و سبباً لخروجه من هاوية النّفس و عروجه على مراقى الانسانيّة الى اعلى علّيين و قرب ربّه ربّ العالمين.

و بعبارةٍ اخرى كلّما يفعله الانسان بعد بلوغه امّا ان يكون بامر آمرٍ الهيٍّ من غير شراكةٍ لنفسه و امرها فيه او يكون بشراكةٍ لنفسه فيه و امّا ان يكون بامر نفسه من غير شراكةٍ لربّه و امر ربّه فيه.

فان كان من القسم الاوّل صار سبباً لاطلاقه و نجاته و يكون ممّا يتقرّب به قرب الفرائض، و ان كان من القسم الثّانى فامّا ان يكون شراكة النّفس فى الفعل لامرالله من حيث توجّهها الى الله و اعانتها لامتثال امر الله و قربها من الله، او من حيث انصرافها من الله و توجّهها الى حظوظها و ماربها.

و الاوّل كالاوّل فى صيرورته سبباً لاطلاق النّفس و نجاتها و يكون ممّا يتقرّب به قرب النّوافل.

و الثّانى يكون ممّا يكون العامل فيه مشركاً فى العبادة و يكون مردوداً اليه و ممّا يتركه الله تعالى لشريكه لكونه اغنى الشّركاء و يترك

لشريكه كلّ عملٍ يعمل بشراكة غيره.

و يكون سلسلةً و غلّاً لنفسه، و ان كان من القسم الثّالث لايكون الّا غلّاً و سلسلةً و اليها اشار تعالى شأنه بقوله: كلّ نفسٍ بما كسبت رهينة الّا اصحاب اليمين.

فانّ اصحاب اليمين اى الّذين قبلوا ولاية علىّ عليه السلام بالبيعة الخاصّة الولويّة هم الّذين توجّهوا الى الله و ابتغوا مرضاته و لقائه، فان كانوا فى حال الحضور و كان ولىّ امرهم ظاهراً عليهم و فاعلاً فعلهم بالات اعضائهم من دون مدخليّةٍ لانفسهم فى فعلهم كان فعلهم من القسم الاوّل، و ان لم يكن لهم حالة الحضور لكن كان حبّهم لربّهم و لولىّ امرهم بحيث لم يبق لهم التفاتٌ الى انفسهم و حظوظها كان فعلهم ايضاً من القسم الاوّل.

و ان لم يبلغ حبّهم الى مرتبة لم يبق لهم التفات الى انفسهم و حظوظها بل كانت انفسهم ايضاً باعثة على اعمالهم و لكن كانت حظوظ انفسهم فى امتثال امر الله و ابتغاء مرضاته كان من القسم الثّانى الملحق بالاوّل.

و ان كانوا فى افعالهم غافلين من ربّهم و امره مبتغين لحظوظ انفسهم حظوظها السفليّة لم يكونوا حينئذٍ من اصحاب اليمين فى تلك الافعال.

فانّ قيد الحيثيّة معتبرة فى امثال المقام، و كانوا مرهونين باعمالهم مثل سائر النّاس و لم يكونوا ينتفعون ببيعتهم فى تلك الاعمال لكن اذا لم يقطعوا حبل الولاية و لم يفسدوا بذر الايمان انتفعوا ببيعتهم عند الموت و بعده.

و قد اشار المولوىّ ﷺ الى الّسلاسل و الاغلال المستورة بقوله:

خـلق ديـوانـند شـهوت سـلسله
مـيكشد شـان سـوى دكّـان و غـله

هست ايـن زنـجير از خـوف و وله
تـو مـبين ايـن خـلق را بـى سـلسله

مـيكشاندشان بسـوى نـيك و بـد
گـفت حـق فـى جـيدها حـبل المسـد

قـد جـعلنا الحـبل فـى اعـناقهم
و اتـخذنا الحـبل مـن اخـلاقهم

و اعلم، ايضاً انّ الّشاربين للخمر الخبيثة المحرّمة لهم حالاتٌ و بحسب اختلافهم فى الحالات يختلف شربهم للخمر الصّوريّة.

فانّه قد يغلب الحرارة على مزاجهم، و قد يغلب البرودة، و قد يعتدل امزجتهم، و بحسب اختلاف تلك الاحوال قديمزجون بشرابهم الكافور و قديمزجون الزّنجبيل و قد يشربونها خالصاً و قد يشربون شراباً خالصاً ليذهب باذى الخمر و كسالة سكره.

و يسمّى بالطّهور و الغسّال، و للّسالكين الى الله ايضاً انواع من الّشراب المعنوىّ الرّوحانىّ فانّه قد يغلب عليهم برد الّسلوك فيسقيهم ربّهم شراباً زنجبيليّاً يسخّنهم و يزيد فى حرارة شوقهم و طلبهم.

و قد يغلب عليهم حرارة الّشوق فيسقيهم ربّهم شراباً كافوريّاً ليعتدل سخونة اشتياقهم ببرد كافور الّسلوك.

و قد يسقيهم شراباً خالصاً غير ممزوج اذا كانوا فى الّسلوك و الجذب معتدلين، و قد يسقيهم شراباً طهوراً يغسّلهم من نسبة الاموال و الافعال و

الصّفات الى انفسهم بل من انانيّاتهم و هذه الاحوال تطرو عليهم فى الاخرة و فى الجنّات.

[يُوفُونَ بِالنَّذْرِ] النّذر ما اوجبه الانسان على نفسه بشرطٍ او بغير شرطٍ، و المراد به العهد الّذى كان فى ضمن البيعة العامّة او الخاصّة و الوفاء بهذا النّذر يستلزم الوفاء بجميع العهود و الّشروط.

[وَ يَخٰافُونَ يَوْمًا كٰانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا] اى متفرّقًا غاية التّفرّق و فى الخبر كلوحاً عابساً.

و قيل: [وَ يُطْعِمُونَ الطَّعٰامَ عَلٰى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ اَسِيرًا اِنَّمٰا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاٰ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزٰاءً وَ لاٰ شُكُورًا] بل اطعمناكم ابتغاءً لمرضاة الله.

[اِنّٰا نَخٰافُ مِنْ رَبِّنٰا يَوْمًا عَبُوسًا] كريهاً يعبس فيه الوجوه [قَمْطَرِيرًا] شديد العبوس قدروى كثيراً من العامّة و الخاصّة انّ الايات الى قوله: و كان سعيكم مشكوراً نزلت فى علىٍّ عليه‌السلام و فاطمة عليها‌السلام و الحسن عليه‌السلام و الحسين عليه‌السلام و جارية لهم تسمّى فضّة.

و الاخبار الواردة مختلفة بحسب الالفاظ مجمل مضمون اكثرها و اشهرها انّه مرض الحسن عليه‌السلام و الحسين عليه‌السلام فنذر هو و فاطمة عليها‌السلام و فضّة صوم ثلاثة ايّام ان شفاهما الله فبرئا.

و استقرض علىّ عليه‌السلام ثلاثة اصوع من الّشعير من يهودىٍّ او آجر نفسه يهوديّاً ليغزل له صوفاً و اخذ ثلاثة اصوع من الّشعير فصاموا و طحنت فاطمة عليها‌السلام صاعاً منها و اختبزته و صلّى علىّ عليه‌السلام المغرب و قرّبته اليهم فاتاهم مسكينٌ يدعو لهم و سألهم، فأعطوه و لم يذوقوا الّا الماء، فلمّا كان

اليوم الثّانی اختبزت صاعاً آخر منها و قرّبته وقت الافطار اليهم، فاذاً يتيمٌ بالباب يستطعم، فأعطوه و لم‌يذوقوا الاّ الماء.

فلمّا کان اليوم الثّالث جاء اسير يستطعم، فاعطوه و لم يذوقوا الاّ الماء، فلمّا کان اليوم الرّابع و قد قضوا نذورهم اتی علیّ عليه‌السلام و معه الحسن عليه‌السلام و الحسين عليه‌السلام الی النّبیّ صلی‌الله‌عليه‌وآله و بهما ضعف فبکی رسول الله صلی‌الله‌عليه‌وآله و نزل جبرئيل بسورة هل أتی.

و فی بعض الاخبار فراٰهم النّبیّ صلی‌الله‌عليه‌وآله جياعاً فنزل جبرئيل و معه صحفةٌ من الّذهب مرصّعة بالدّرّ و الياقوت مملّوة من الثّريد و عُراق [1] يفوح منها رائحة المسك و الکافور فجلسوا و اکلوا حتّی شبعوا و لم‌ينقص منها لقمة واحدة.

و خرج الحسن عليه‌السلام و الحسين عليه‌السلام و مع الحسين قطعة عراق فنادته يهوديّة، يا اهل البيت الجوع من أين لکم هذه؟ اطعمنيها، فمدّ يده الحسين عليه‌السلام ليطعمها فهبط جبرئيل و اخذها من يده و رفع الصحفة الی الّسماء، فقال صلی‌الله‌عليه‌وآله: لولا ما اراد الحسين عليه‌السلام من اطعام الجارية تلك القطعة لترکت تلک الصحفة فی اهل بيتی يأکلون منها الی يوم القيامة.

[فَوَقيٰهُمُ اللهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَ لَقّيٰهُمْ نَضْرَةً] فی الوجوه [وَ سُرُورًا] فی القلوب [وَ جَزٰاهُمْ بِمٰا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيرًا مُتَّكِئِينَ فِيهٰا عَلَى الْاَرٰائِكِ] الاريکة الّسرير فی حجلة و کلّ ما يتّکأ عليه من سريرٍ و غيره، او سريرٍ منجّدٍ فی قبّةٍ او بيت.

[لاٰ يَرَوْنَ فِيهٰا شَمْسًا وَ لاٰ زَمْهَرِيرًا] يعنی لايرون حرّاً و لابرداً بل

---

(۱) العَرق العظم الّذی اخذ عنه اللحم، و الجمع عُراق بالضّمّ.

يكونون فى هواءٍ معتدلٍ [وَ دانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها] اى قريبة منهم افياؤها او دائمةً عليهم افياؤها، و معنى دنوّ الظّلال دنوّ المظّلة منهم، او الظّلال ههنا جمع الظّلة بالضّمّ بمعنى المظّلة.

[وَ ذُلِّلَتْ] اى سهلت [قُطُوفُها] للجنىّ [تَذْلِيلاً] فانّ ثمارها كأنّها باختيار الجانى يجنيها متى شاء و كيف شاء و على اىّ حالٍ شاء.

[وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ اَكْوابٍ] جمع الكوب و هو كوز لاعروة له و لاخرطوم [كانَتْ قَوارِيرًا قَوارِيرَ] قرئ فيهما بالتّنوين للمناسبة، و قرئ فى الاوّل فقط بالتّنوين.

[مِنْ فِضَّةٍ] يعنى كانت الاكواب مثل القوارير فى الصّفاء و الشفيف، او كانت القوارير مأخوذة من الفضّة لامن سائر الاحجار مثل قوارير الدّنيا.

[قَدَّرُوها تَقْدِيرًا] صفة للاكواب او للانية و الاكواب و المعنى اكواب كان المؤمنون يقدّرون قدرها فى انفسهم، او كانوا يتمنّونها، او كان الغلمان المديرون يقدّرونها بقدر ميل المؤمنين، و قرئ قدّروها على البناء للمفعول.

[وَ يُسْقَوْنَ فِيها كَأْسًا كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلاً] الكأس تطلق على الخمر و لذلك تؤنّث، و لمّا كان السّالك الباقى عليه من نفسه بقايا لابدّ له من حرارة الطّلب و اشتياق السّير فى عالم الصّفات الّتى لانهاية لها كان قديسقى من الشراب الزّنجبيلىّ الّذى به يشتدّ حرارة طلبه و التذاذ سيره و وجده.

[عَيْنًا فِيها تُسَمّىٰ سَلْسَبِيلاً] بدل من كأساً بدل الاشتمال، و السلسّبيل الشراب السهل الدّخول فى الخلق، اللّذيذ فى المذاق يقال: شرابٌ

سلسلٌ و سلسالٌ و سلسبيلٌ كذا فى المجمع.

[وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدٰانٌ] جمع الوليد بمعنى الغلام [مُخَلَّدُونَ] دائمون فى الجنّة، او مخلّدون على حال الغلمان.

[اِذٰا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا] فى الصّفاء و الحسن و التّلألؤ [مَنْثُورًا] متفرّقاً غير منظوم فى الكثرة او فى الخدمة [وَ اِذٰا رَأَيْتَ] شئياً [ثَمَّ] فى الجنّة حذف المفعول للاشارة الى انّ كلّما كان مرئيّاً هناك كان مشتملاً على جميع ما يكون فى المملكة الكبيرة.

[رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا] واسعاً جدّاً فانّ ادناهم منزلة ينظر فى ملكه من مسيرة الف عامٍ يرى اقصاه كما يرى ادناه، و قيل: هو القدرة على ما يتمنّى و نفاذ الامر.

و قيل: هو استيذان الملائكة و رسل‌الله عليهم‌السلام على المؤمنين [عٰالِيَهُمْ ثِيٰابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَ اِسْتَبْرَقٌ] اى مارقّ من الحرير و ما غلظ.

[وَ حُلُّوا أَسٰاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَ سَقٰيهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰابًا طَهُورًا] يطهّرهم من كلّ ما كان منسوباً اليهم من الاموال و الافعال و الاوصاف و الّذوات حتّى لايبقى فيهم سوى محبوبهم فيصير لذّتهم خالصةً غير مشوبةٍ و غير محبوبةٍ.

فى خبرٍ: يطهّرهم من السد و يسقط عن ابشارهم الّشعر، و فى خبر: يطهّرهم من كلّ شىءٍ سوى‌الله [اِنَّ هٰذٰا كٰانَ لَكُمْ جَزٰاءً] خطاب من الله لعباده فى الدّنيا او منه او من الملائكة لعبادة فى الاخرة.

[وَ كٰانَ سَعيُكُمْ مَشْكُورًا اِنّٰا نَزَّلْنٰا عَلَيْكَ الْقُرْاٰنَ تَنْزِيلاً] يعنى انّ قران ولاية علىٍّ عليه‌السلام ليس الّا من عندنا فما لك تخشى عن النّاس و تخفيه

عنهم و تخاف عن ردّهم او ارتدادهم او صرف علیٍّ عليه السلام عن حقّه [فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ] و لاتحزن علی ما يقولون فی حقّ علیٍّ عليه السلام و لاتغيّر ما نزّلناه عليك [وَ لٰا تُطِعْ مِنْهُمْ اٰثِمًا] عاصياً لك فی علیٍّ عليه السلام [اَوْ كَفُورًا] ساتراً لولايته او ساتراً لنبوّتك فبينهما عموم من وجهٍ.

[وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ] اسم الرّبّ هو اللّطيفة الانسانيّة الّتی هی الولاية التّكوينيّة و تتقوّی بالولاية التّكليفيّة ثمّ صاحب الولاية و الرّسالة ثمّ كلّ من قبل الولاية ثمّ كلّ وجودٍ عينیٍّ امكانیٍّ ثمّ الالفاظ و الحروف الموضوعة ثمّ النّقوش المكتوبة، و ذكر الكلّ من حيث كونها اسماء الرّبّ مأمور به و نافع للانسان و مورث لنجاته من المهاوی و النّيران.

[بُكْرَةً وَ اَصيلاً] دائماً او فی هذين الوقتين مخصوصاً لشرافتهما [وَ مِنَ اللَّيْلِ] الّذی هو مظهر عالم الطّبع و مظهر ظلمة النّفس و انانيّاتها [فَاسْجُدْلَهُ] بكسر انانيّة النّفس.

[وَ سَبِّحْهُ لَيْلاً طَويلاً] ای بعضاً طويلاً من اللّيل، او ليل الطّبع الّذی طوله بقدر العمر.

عن الرّضا عليه السلام: انّ هذا التّسبيح هو صلوة اللّيل و قد فسّر قوله: بكرةً و اصيلاً، بصلوة الغداة و الظّهرين و قوله و من اللّيل فاسجدله، بالعشائين، و قوله: و سبحه ليلا طويلاً، بالتّهجّد فی طائفةٍ طويلةٍ من اللّيل.

[اِنَّ هٰؤُلٰاءِ] المشركين او المنافقين الممتنعين من ولاية علیٍّ عليه السلام [يُحِبُّونَ الْعٰاجِلَةَ] و لذلك لايأتمرون بأمر الله و لابأمر نبيّه صلّی الله عليه و آله و لاينقادون لنبيّه صلّی الله عليه و آله و لاوصيّه.

[وَ يَذَرُونَ وَرٰاءَهُمْ يَوْمًا ثَقيلاً] يعنی امامهم لكنّه تعالی عبّر

بورائهم للاشعار بانّهم منكوسون مقبلون على الدّنيا الّتى هى مدبرة عنهم و مدبرون عن الاخرة الّتى هى مقبلة عليهم، و المراد بثقلة ثقل حسابه و ثقل شدائده و ثقل حسّابه.

[نَحْنَ خَلَقْنٰاهُمْ وَ شَدَدْنٰا اَسْرَهُمْ] اى خلقهم او مفاصلهم بالاعصاب و الاوتار او الياف المعدة و المثانة حتّى صارتا باختيار صاحبهما.

[وَ اِذٰا شِئْنٰا بَدَّلْنٰا اَمْثٰالَهُمْ] باذهابهم و جعل اولادهم اخلافهم، أتى باذا لتحقّق وقوعه.

[تَبْدِيلاً اِنَّ هٰذِهِ] اى ولاية علىٍّ عليه السلام، او قرآن ولايته، او هذه الّسورة الّتى فيها ذكر الولاية.

[تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شٰاءَ اتَّخَذَ اِلٰى رَبِّهِ سَبِيلاً وَ مٰاتَشٰاؤُنَ] لمّا اوهم قوله تعالى فمن شاء استقلالهم بالمشيّة رفع ذلك فقال و ما تشاؤن [اِلاّٰ اَنْ يَشٰاءَ اللّٰهُ].

اعلم، انّه لايكون شيءٌ من المكوّنات و من افعال العباد و اخلاقهم و اراداتهم و مشيّاتهم الّا بمبادٍ سبعةٍ، بمشيّة من الله، وارادةٍ منه، و قدرٍ منه سبحانه و قضاءٍ و اذنٍ و اجلٍ و كتابٍ.

و انّ المشيّة هى اضافته الاشراقيّة الّتى هى فعله و كلمته، و انّ كلّ شيءٍ من المبدعات و المنشئات و المخترعات و المكوّنات قوام وجوده مشيّة الله، و انّ مشيّة الله غير محبّته و رضاه.

و انّ الرّضا و الّسخط بمنزلة صورةٍ للمشيّة، و المشيّة كالمادّة و انّ مشيّة العباد هى مشيّة الله بضميمة خصوصيّة الاضافة الى العباد فمعنى

ماتشاؤن الّا ان يشاء الله الّا فى حال ان يشاء الله، او بسبب ان يشاء الله، او لان يشاء الله، و امّا جعل ان يشاء الله مفعولاً لتشاؤن فبعيد بحسب الظّاهر و ان كان له معنى صحيح بحسب دقيق النّظر، لانّ كلّ مايشاؤه العباد فهو متقوّم بمشيّة الله بل هو عين مشيّة الله الّتى صارت بحسب الاضافة محدودة بحدود الممكنات، و قد مضى بيانٌ وافٍ لكون مشيّة الله وارادته عين مشيّة العباد وارادتهم من غير لزوم جبرٍ و تسخيرٍ عند قوله تعالى: ولكنّ الله يفعل ما يريد، من سورة البقرة.

[اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيمًا] فبعلمه بدقائق الصّنع و مصالح المصنوع جعل مشيّته عين مشيّة العباد [حَكِيمًا] بحيث لطف فى هذا الصّنع لطفاً لايدركه احدٌ بل يتوهّمون ضدّه و يقولون: انّ الله فوّض امور العباد و افعالهم اليهم [يُدْخِلُ مَنْ يَشٰاءُ فِي رَحْمَتِهِ] اى من يحبّ و يرضاه.

[وَ الظّٰالِمِينَ اَعَدَّلَهُمْ عَذٰابًا اَلِيمًا].

سُورَة المُرسلات

مكّيّة، خمسون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَ الْمُرْسَلاٰتِ عُرْفًا] قد فسّرت بالملائكة المرسلة المتتابعة لتعذيب اهل الدّنيا و جحيم النّفس او الملائكة المرسلة للمعروف و الاحسان الى العباد بتعذيب اهل الّشرّ و الفساد.

[فَالْعٰاصِفٰاتْ عَصَفًا] من قبيل عطف الصّفات المتعدّدة لذاتٍ واحدةٍ، و تخلّل الفاء للاشعار بانّ هذه الصّفة اى شدّة الهبوب و المرور فى مقام التّعذيب ابلغ من الارسال، و فسّرتا بالرّياح المرسلة لتعذيب اهل الدّنيا بافساد زراعاتهم و اهلاك مواشيهم.

[وَ النّٰاشِرٰاتِ نَشْرًا] فسّرت بملائكة الرّحمة الّذين ينشرون العلوم فى قلوب الانبياء و سائر العباد، و الّذين يأتون بالّسحاب، و فسّرت برياح الرّحمة الّتى تنشر الّسحاب، و فسّرت بالامطار الّتى النّبات من الارض و فسّرت بنفوس الانبياء عليهم السلام الّذين ينشرون العلوم و الاحكام فى العباد.

[فَالْفٰارِقٰاتِ فَرْقًا]فسّر هذه بموافقة سابقتها [فَالْمُلْقِيٰاتِ ذِكْرًا] اى الملائكة و الرّياح او الّسحب او الامطار او الانبياء عليهم السلام.

فانّ كّلاً منها يذكّر الانسان قدرة الله و حكمته فى صنعه، و يستفاد من بيان الفقرات وجه اختلاف العطف بالفاء و الواو.

[عُذْرًا اَوْ نُذْرًا] اى يلقين الّذكر عذراً اى سبباً لنجاتهم، او نذراً اى تخويفاً فيكونان بمعنى ارجاءً و تخويفاً و هما بدلان من ذكراً.

او مفعولان له، او حالان و قد فسّرت الفقرات بالواردات الالهيّة فى العالم الصّغير الانسانىّ من الالهامات و القبضات و البسطات و المنامات المنذرات و المبشّرات و البلايا الواردات، و جبر آنها بالالطاف الالهيّات و الخطرات و الخيالات و آلسطوات و الرّأفات و الملائكة المرسلات بالنّبوّات و الرّسلات.

[اِنَّما تُوعَدُونَ لَواٰقِعٌ] جوابٌ للقسم و المراد بما يوعدون البعث و الحساب، او الثّواب و العقاب [فَاِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ] اى محقت او محى نورها، و جواب اذا محذوف بقرينة الّسابق اى كان ماتوعدون.

او بقرينة الّلاحق اى اهلكناهم، او الجواب قوله لاىّ يومٍ اجّلت بتقدير القول.

[وَ اِذَا السَّماٰءُ فُرِجَتْ] صدعت [وَ اِذَا الْجِباٰلُ نُسِفَتْ] نسف البناء قلعها و نسف الجبال دكّها.

[وَ اِذَا الرُّسُلُ اُقِّتَتْ] و قرئ وقتت على الاصل اى عيّنت يعنى وقت حضورها للّشهادة او للبشارة و التّخويف او بلغ وقت ظهورها حين ظهور القائم او القيامة.

[لِاَىِّ يَوْمٍ اُجِّلَتْ] استفهامٌ للتّعجيب و التّفخيم و جوابٌ لاذا بتقدير القول، او حال عن الرّسل عليهم السلام بتقدير القول، او استينافٌ بتقدير استفهام كأنّه تعالى: قال اتدرى لاىّ يومٍ اجّلت؟

[لِيَوْمِ الْفَصْلِ] اجّلت جواب من الله تعالى [وَ ماٰ اَدْرٰيكَ ماٰيَوْمُ الْفَصْلِ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] جوابٌ للاستفهام بتقدير القول او جوابٌ لسؤالٍ مقدّر بتقدير القول اى يقال فيه: ويلٌ يومئذٍ للمكّذبين، او جوابٌ

لسؤالٍ مقدّرٍ.

كأنّه قيل: ما حال النّاس فيه؟ـ فقال: ويلٌ يومئذٍ للمكذّبين [اَلَمْ نُهْلِكِ الْاَوَّلِينَ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ماتفعل بهم فى الدّنيا؟ـ فقال: نفعل بهم ما فعلنا بالاوّلين الم نهلك الاوّلين كقوم نوحٍ و عادٍ و ثمود و غيرهم.

[ثُمَّ نَتْبِعُهُمُ الْاٰخِرِينَ] من المجرمين قرئ برفع نتبعهم عطفاً على الم نهلك، و قرئ بالجزم عطفاً على نهلك و المعنى الم نهلك الاوّلين من قوم نوحٍ و عادٍ و ثمود، ثمّ لم‌نتبعهم الاخرين من قوم لوطٍ و شعيبٍ و فرعون.

[كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمينَ] من قومك يا محمّد ﷺ [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] لمّا كان التّكرير و التّأكيد و التّهديد و التّغليظ مطلوباً فى مقام السّخط كرّر هذه الكلمة.

[اَلَمْ نَخْلُقْكُمْ] تعدادٌ للنّعم الّتى تدلّ على كمال الاهتمام بهم و عدم اهمالهم من غير ثوابٍ و عقابٍ.

[مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ] قذرٍ [فَجَعَلْنٰاهُ فى قَرٰارٍ مَكِينٍ اِلٰى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَّرْنٰا] فسوّيناكم [فَنِعْمَ الْقٰادِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ كِفٰاتًا] كفته يكفته صرفه عن وجهه، و كفت الشّىء ضمّه و قبضه، و الكفات الموضع الّذى يكفت فيه الشّىء اى يضمّ او هو مصدر، او جمع لكافت، او جمع كفت بمعنى الوعاء و هو مفعولٌ ثانٍ لنجعل، او حال، او المفعول الثّانى قوله تعالى.

[اَحْيٰاءً وَ اَمْوٰاتًا] و على الاوّل فاحياءً و امواتاً حالان من ذى حالٍ محذوفٍ اى للنّاس، او حالان من الارض و كون الارض احياءً و امواتاً

باعتبار صلاحها للنّبات و الزّراعات و عدم صلاحها لها، او باعتبار وقت انباتها للنّبات و وقت عدم انباتها كالخريف و الشتاء، او مفعولان لكفاتاً، و تنكير هما حينئذٍ للتّفخيم.

اولانّ احياء الانس و امواتهم بعض الاحياء و الاموات [وَ جَعَلْنا فيها رَواسِيَ شامِخاتٍ] جبالاً ثوابت طوالاً [وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءٍ فُراتًا] هذان الفعلان معطوفان على مجموع الم نجعل الارض فانّه فى معنى جعلنا الارض البتّة كفاتاً.

[وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبينَ اِنْطَلِقُوا] حالٌ او جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول اى يقال لهم: انطلقوا [اِلى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ] من العذاب [اَنْطَلِقُوا] قرئ هذا امراً، و قرئ على الاخبار جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ.

[اِلى ظِلٍّ] اى ظلّ دخان جهنّم بقرينة مايأتى [ذِي ثَلٰثِ شُعَبٍ].

اعلم، انّ النّفس الانسانيّة الامّارة مظهر لجهنّم، و كلّما لها من الاوصاف الرّذيلة شعبة و شعلة من لهبها، و هى سبب لدخولها، و انّ اصل جميع الرّذائل هى القوى الثّلاث البهيميّة و السبعيّة و الشيطانيّة.

و انّها لهبات من الجحيم و ادخنة منها تحترق الانسانيّة بها، و مادام الانسان فى الدّنيا و كان اسيراً للنّفس الامّارة لايستشعر بحرقته فاذا مات تمثّل له ماكان مخفيّاً عنه فى الدّنيا فيظهر عليه اللّهبات الثّلاث و ادختنها و ظلال ادختنها فيقال له: انطلق الى هذا الظّلّ، استهزاءً.

فينطلق الى ظلّها لانّه كان فى الدّنيا مسخّراً لها و يكون ذلك الظّلّ غيرذى برودة و لذلك قال [لا ظَليلٍ] لانّه ظلّ الدّخان فيكون حارّاً لاباردأ و هذا ردّ لما اوهم لفظ الظّنّ.

[وَ لٰا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ] اى من حرّ اللّهب كسائر الظّلال المغنية من حرّ الّشمس [اِنَّهٰا تَرْمِي بَشَرَرٍ كَالْقَصْرِ] قرئ بسكون الصّاد بمعنى المنزل الرّفيع، و قرئ بالتّحريك بمعنى اصول النّخل و الّشجرو بقاياه و اعناق النّاس و الابل، و الكلّ مناسبٌ.

فانّ القوى الثّلاث فى الدّنيا ترمى بخطرات و آمان و انانيّات، و فى الاخرة تتمثّل تلك بشررٍ عظامٍ.

[كَأَنَّهُ] اى كأنّ القصر او الّشرر فانّه جنس للّشررة [جِمٰالَةٌ صُفْرٌ] جمع الجمل.

و قرئ جمالات بكسر الجيم و ضمّها جمع الجمالة بكسر الجيم و ضمّها جمع الجمل فانّ الجمالة و الجمالات مثلّثى الجيم جمع للجمل.

[وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هٰذٰا يَوْمُ لٰا يَنْطِقُونَ] اعلم انّ ايّام الاخرة كثيرة ففى بعضها ينطق النّاس و يسألون و يتضرّعون، و فى بعضها لاينطقون فلا ينافى ذلك سائر الايات و الاخبار الدّالّة على تنطّقهم و استنطاقهم.

[وَ لٰا يُؤْذَنُ لَهُمْ] فى النّطق او فى الاعتذار [فَيَعْتَذِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هٰذٰا يَوْمُ الْفَصْلِ] بين المحقّ و المبطل، او المؤمن و الكافر، او اهل الجنّة و اهل النّار، او يوم القضاء و الحكم.

[جَمَعْنٰاكُمْ] فيه [وَالْاَوَّلِينَ] حال او استيناف [فَاِنْ كٰانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ] كما كنتم تكيدوننى فى الدّنيا بالكيد مع خلفائى و هذا على التّعجيز و التّهكّم.

[وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلاٰلٍ وَعُيُونٍ] جوابُ

سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هذا حال المكذّبين فما حال المتّقين عن تكذيب الرّسل او الحشر؟

[وَ فَوٰاكِهَ مِمّاٰ يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا] استينافٌ بتقدير القول [هَنيئًا بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اِنّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنينَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبينَ] لمّا كان السورة لتهديد المكذّبين بين كرّرهها هذه الكلمة و ثنّى ذكر المكذّبين و اضرب عن المتّقين مع انّه كان المناسب ان يقول: طوبى يومئذٍ للمتّقين.

[كُلُوا] استيناف او حال بتقدير القول [وَ تَمَتَّعُوا قَليلاً] يعنى فى الدّنيا.

[اِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ] تعليلٌ للتّهديد المستفاد من قوله تعالى: كلوا و تمتّعوا [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبينَ وَ اِذٰا قيلَ لَهُمْ] عطف على مجرمون، او حال و التفات من الخطاب.

[ارْكَعُوا] اى صلّوا كما قيل: انّها نزلت فى ثقيفٍ حين امرهم رسول‌الله ﷺ بالصّلوة فقالوا: لاننحنى فانّ ذلك سُبّة[1] علينا، او تواضعوا و انقادوا [لاٰ يَرْكَعُونَ] او المعنى اذا قيل لهم اسجدوا فى القيامة لايقدرون على السجود كما قال تعالى: و يدعون الى السّجود فلايستطيعون.

[وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبينَ فَبِأَيِّ حَديثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ] اى بأىّ حديثٍ بعد القرآن او بعد ما حدّثتك به من امر الاخرة و الحشر والحساب و الثّواب و العقاب، او بعد حديث الولاية، او بعد هذا اليوم يؤمنون؟!

(١) اى عارٌ

سُورَةالنّباءِ

و يسمّى سورة عمّ و سورة المعصرات و سو التّساؤل مكّيّة كلّها، احدى و اربعون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ] استفهام لتفخيم المسؤل عنه كانوا يتساءلون بينهم عن المبدء و صفاته و عن القيامة و علاماته، و عن البعث و ثوابه و عقابه، او كانوا يتساءلون عن الولاية بعد ما اشار الرّسول ﷺ اليها فانّها النّبأ العظيم الّذى يقع الاختلاف فيه، و انّها النّبأ الّذى ينبغى ان يهدّد النّاس فى تركها لانّها الفارقة بين اهل الجنّة و النّار.

فانّ القابل لها اذا وصل بها الى الاخرة يدخل الجنّة من غير ريبٍ، و الخارج منها اذا خرج بالخروج منها الى الاخرة يدخل النّار، فانّه لو عبدالله عبدٌ سبعين خريفاً تحت الميزاب قائماً ليله صائماً نهاره و لم يكن له ولاية علىّ بن ابى طالب عليه السلام لأكبّه الله على منخريه فى النّار و انّ الله لايستحيى ان يعذّب امّةً دانت بامامة امامٍ جائرٍ، و ان كانت الامّة فى اعمالها بررة، و انّ الله ليستحيى ان يعذّب امّةً دانت بامامة امامٍ عادلٍ و ان كانت الامّة فى اعمالها فجرة.

و سئل الباقر عليه السلام عن تفسير عمّ يتساءلون فقال: هى فى امير المؤمنين عليه السلام.

و بهذا المضمون اخبار كثيرة منهم عليهم السلام [عَنِ النَّبَإِالْعَظِيمِ] بدل عن

عمّ بتقدير حرف الاستفهام، او متعلّق بمحذوفٍ و جواب من الله او متعلّق يبستاءلون و عمّ متعلّق بمحذوفٍ يفسّره المذكور.

[الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلّٰا] عن الاختلاف، فانّه امر لاينبغى ان يختلف فيه، او عن الانكار المستفاد من الاختلاف، فانّ الاختلاف لايكون ألّا بالاقرار و الانكار [سَيَعْلَمُونَ] حين رفع الحجب عن الابصار عند الموت او القيامة الكبرى [ثُمَّ كَلّٰا سَيَعْلَمُونَ] تأكيدٌ للاوّل، و تخلّل ثمّ للمبالغة فى التّأكيد.

[اَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ مِهٰادًا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: الم يجعلى الله دليلاً لعباده على الولاية؟

او على الحشر و الحساب و الثّواب و العقاب؟

ـ او قال: الم يجعل لهم وليّاً؟

ـ او الم يكن لهم حشر و حساب؟

ـ فقال: كيف لم نجعل لهم دليلاً على ذلك، او كيف اهملناهم و لم نجعل لهم رئيساً و اماماً بعد الرّسول ﷺ؟!

او كيف نهملهم و لانبعثهم و الحال انّا ما اهملناهم حين لم تكونوا شيئاً مذكور او جعلنا لهم جميع اسباب وجودهم و اسباب بقائهم؟

[وَ الْجِبٰالَ اَوْتٰادًا وَ خَلَقْنٰاكُمْ اَزْوٰاجًا] ذكراً و انثى حتّى يستأنس بعضكم ببعضٍ و ليسكن و يمكن التّناسل، او جعلناكم اصنافاً لتعارفوا، و ليرفع بعضكم حاجة بعضٍ[وَ جَعَلْنٰا نَوْمَكُمْ سُبٰتًا] اى راحةً او قطعاً عن الاعمال و المتاعب.

[وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبٰاسًا] اى ساتراً يستر كلّ عورة [وَ جَعَلْنَا النَّهٰارَ

مَعٰاشًا] وقت تمتّعكم او سبب ابتغاء معاشكم.

[وَ بَنَيْنٰا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدٰادًا] لايقبل الانثلام و ببنائها و جعل الكواكب فيها يكون بقاؤكم و تعيّشكم [وَ جَعَلْنٰا] اى خلقنا [سِرٰاجًا وَ هّاٰجًا] لايمكن وجودكم و لابقاؤكم بدونه.

[وَ أَنْزَلْنٰا مِنَ الْمُعْصِرٰاتِ] اى الّسحائب الّتى صارت معصورة اى متراكمةً بالبرد و الرّيح او الرّيح الّتى تكون معصرة للّسحاب، او الرّياح الّتى تكون ذوات الاعاصير الى الاغبرة فانّ الرّياح تكون اسباب نزول المطر.

و قد قرئ انزلنا بالمعصرات و هو يؤيّة المعنى الاخير [مٰاءً ثَجّٰاجًا] سيّالاً الى مواضع زراعاتكم و روضاتكم و به يكون حياتكم [لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا] لارزاقكم و ارزاق دوابّكم.

[وَ نَبٰتًا] كذلك [وَ جَنّٰاتٍ اَلْفٰافاً] الالفاف الاشجار الملتفّة واحد هالفّ بالكسر و الفتح او بالضّمّ و هو جمع لفّاء فيكون الالفاف حينئذٍ جمع جمعٍ.

[اِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كٰانَ ميقٰاتًا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: اذا لم تهملهم بلاحسابٍ و ثوابٍ و عقابٍ فهل لهم موعد لذلك؟

ـ او اذا لم تهملهم بلاولىٍّ و رئيسٍ فهل لظهور ذلك الولىّ موعد؟

ـ فقال: انّ يوم الفصل كان موعداً لهم، و المراد بيوم الفصل يوم خروج الرّوح عن البدن، او يوم فصل المحقّ عن المبطل و النّاجى من الهالك.

[يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ] النّفخة الاولى او النّفخة الثّانية [فَتَأْتُونَ اَفْوٰاجًا وَ فُتِحَتِ السَّمٰاءُ فَكٰانَتْ اَبْوٰابًا] أتى بالماضى امّا لتحقّق وقوعه او للاشعار بانّ السّماء كانت من اوّل خلقته منفتحةً منشقّة يتراءى بحسب

الانظار الظّاهرة انّها غیر منفرجةٍ فانّ کلّ ممکنٍ زوج ترکیبیٌ منشقّ الی مهیّةٍ و وجودٍ و وجوبٍ و امکانٍ، و معنی کونها ابواباً انّها ابواب للملکوت کما انّ سماوات عالم الارواح ابواب للغیب و فعله الّذی هو عالم المشیّة.

[وَ سُيِّرَتِ الْجِبٰالُ فَكٰانَتْ سَرٰابًا] یعنی انّ الجبال تحسبها ثابتة و هی تمرّمرّ السّحاب باقتضاء التّجدّد الجوهریّ، و کونها سراباً من جهة انّها تتراءی جبالاً عظیمةً ثابتة جامدة و لیست کذلك، و هکذا حال جبال الانّیّات للاشیاء فانّهاتری اشیاء مستقلّة فی الوجود لها نفسیّات و لیست کذلك، و قد فسّر الافواج عن النّبیّ ﷺ باصنافٍ من المعاقبین من اصناف المسیئین.

[اِنَّ جَهَنَّمَ كٰانَتْ مِرْصٰادًا] رصده رقبه و المرصاد الطّریق او المکان یرصد فیه العدوّ کأنّ الخزنة یرصدون فی جهنّم اعداء اولیاء الله و الجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ کأنّه قیل: ما یفعل بهم بعد اتیانهم افواجاً؟ـ

[لِلطّٰاغِينَ مَآبًا] طغی کرضی طغیاً و طغیاناً بالضّمّ و الکسر فیهما جاوز القدر و ارتفع و غلافی الکفر و اسرف فی المعاصی و الظّلم، و طغایطغو طغواً و طغواناً بضمّهما.

[لٰابِثِينَ فِيهٰا اَحْقٰابًا] جمع الحقب بالضّمّ و الضّمّتین و هی ثمانون سنةً او اکثر، و الدّهر و السّنة او السّنون.

و قیل: المراد باللّبث احقاباً انّه کلّما مضی حقب جاء بعده حقب آخر و قد فسّر الحقب بثمانین سنةً من سنی الاخرة.

و قیل: انّ الاحقاب ثلاثة و اربعون حقباً کلّ حقب سبعون خریفاً، کلّ خریف سبعمائة سنةٍ، کلّ سنةٍ ثلثمائة و ستّون یوماً، کلّ یوم الف سنةٍ، و قیل المعنی لابثین فیها احقاباً موصوفة بانّهم لایذوقون فیها برداً و لاشراباً،

ثمّ يلبثون فيها يذوقون غير الحميم و الغسّاق من انواع العذاب فهذا توقيت لانواع العذاب لالمكثهم فى النّار.

[لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَ لَا شَرَابًا] يعنى برداً ينفعهم من حرّ النّار و لاشراباً ينفعهم من عطشهم، او المراد بالبرد النّوم كما قيل [إِلَّا حَمِيمًا] اى الماء الحارّ الشّديد الحرارة [وَ غَسَّاقًا] الغسّاق صديد اهل النّار، او ماء يخرج من صديد اهل النّار.

[جَزَاءً وِفَاقًا] مفعول له او وصف لحميماً و غسّاقاً، او مفعول مطلق لمحذوفٍ اى يجازون جزاءً، او يجزيهم الله جزاءً موافقاً لاعمالهم.

[إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا] اى لايعتقدون حشراً و حساباً، او لايخافون حساباً كما قيل [وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] من حيث انّها آيات و اعظمها علىّ عليه السلام.

[كِذَّابًا وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ] و من الاشياء الّتى احصيناه اعمالهم الّتى عملوها [كِتَابًا] اى فى كتاب او حالكونه مكتوباً عندنا [فَذُوقُوا] بتقدير القول.

[فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هذا حال المكذّبين بالنّبأ العظيم فما حال المصدّقين بالولاية؟ـ و المفاز الفوز و النّجاة، او محلّ الفوز، و يستعمل فى الهلاك و المهلك.

[حَدَائِقَ وَ أَعْنَابًا] بساتين و اثمارها لكن خصّص الاعناب بالذّكر لامتيازها من بين الاثمار [وَ كَوَاعِبَ] اى جوارى ثديّهنّ كاعبات [أَتْرَابًا] مستويات ٍفى الّسنّ يعنى كلّهن فى اوّل البلوغ.

[وَ كَأْسًا دِهَاقًا] ممتلئة او متتابعة [لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ

لاٰ كِذّاٰباً] قرئ بتشديد الذّال بمعنى التّكذيب و بتخفيف الدّال بمعنى المكاذبة [جَزاٰءً مِنْ رَبِّكَ] لتشريفهم اصناف الجزاء ههنا الى الرّبّ [عَطاٰءً حِساٰباً] كافياً او على قدر اعمالهم.

[رَبِّ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ وَ ماٰ بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ] قرئ ربّ السّماوات و الرّحمن بالجرّ و الرّفع.

[لاٰ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاٰباً] منه حال من خطاباً او ظرف لغو متعلّق بلا يملوكون اى لايملكون مخاطبته او لايملكون من اذنه مخاطبةً و لايقدرون و لايؤذنون فيها [يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ] ظرف لواحد من الافعال السّابقة او لقوله: لايتكلّمون، و الرّوح ههنا عبارة عن ربّ النّوع الانسانىّ الّذى هو اعظم من جميع الملائكة و مقامه فوق مقام جميع الملائكة بل فوق عالم الامكان لم يكن مع احدٍ من الانبياءعليهم السلام، و كان مع محمّدٍ صلى الله عليه وآله و بعده مع اوصيائهعليهم السلام و يعبّر عنه بروح القدس.

[وَ الْمَلاٰئِكَةُ صَفًّا] فى صفٍّ او حالكونهم مصطفّين [لاٰ يَتَكَلَّمُونَ اِلاّٰ مَنْ اَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَ قاٰلَ] فى الدّنيا [صَوٰاباً] او قال عندالله صواباً.

[ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شاٰءَ اتَّخَذَ اِلٰى رَبِّهِ مَاٰباً] اى من شاء اتّخذ الى ربّه المضاف الى علىٍّ عليه السلام ماباً، او من شاء اتّخذ الى ربّه المطلق ماباً، و الماب حينئذٍ هو الولاية و اتّباع علىٍّ عليه السلام [اِنّاٰ اَنْذَرْناٰكُمْ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ان كان ذلك اليوم الحقّ فما فعلت بهم لاجل ذلك اليوم؟ـ فقال: انّا انذرنا كم.

[عَذاٰباً قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ] بدل من عذاباً نحو بدل الاشتمال او حال من عذاباً [ماٰ قَدَّمَتْ يَداٰهُ] من خيرٍ او شرٍّ و هو يوم الموت اويوم

القيامة الكبرى.

[وَ يَقُولُ الْكٰافِرُ] بالولاية [يٰا لَيْتَنِی] ای یا قوم لیتنی [كُنْتُ تُرٰابًا] فی الدّنیا فلم یکن لی حشر و نشر و حساب و عقاب، او لیتنی کنت تراباً فی هذا الیوم فلم یکن لی حسابٌ.

او لیتنی کنت تراباً قابلاً لخلق الاشیاء الأُخر منّی فانّ الکافر بسبب الفعلیّات اَلسیّئة الحاصلة فیه لایکون قابلاً لفعلیّاتٍ اُخر منه فیتمنّی ان یکون تراباً مستعدّاً لان یخلق فیه صور اخری، و قیل بعد ما یحشر الخلائق فی صعیدٍ واحد و یقتصّ من الظّالم للمظلوم حتّی للجمّاء من القرناء یقول الرّبّ لغیر الثّقلین: انّا خلقنا کم و سخّرنا کم لبنی آدم و کنتم مطیعین لهم ایّام حیاتکم فارجعوا الی الّذی کنتم کونوا تراباً.

فاذاً التفّت الکافر الی ما صار تراباً یقول: یا لیتنی کنت علی صورة شیءٍ منها و کنت الیوم تراباً.

و قیل: المراد بالکافر ابلیس اذا رأی کرامة آدم و ولده وقد عابه علی کونه من طینٍ یتمنّی ان یکون اصله تراباً، او المراد بالکافر الکافر بالولایة فانّه یتمنّی ان یکون من شیعة علیٍّ علیه السلام .

فانّه روی عن ابن عبّاس انّه سئل: لم کنّی رسول الله صلی الله علیه و آله علیّاً علیه السلام ابا تراب؟ـ قال: لانّه صاحب الارض و حجّة الله علی اهلها بعده و له بقاؤها و الیه سکونها قال: و لقد سمعت رسول الله صلی الله علیه و آله یقول: انّه اذا کان یوم القیامة و رأی الکافر ما اعدّ الله تبارك و تعالی لشیعة علیٍّ علیه السلام من الثّواب و الزّلفی و الکرامة قال: یالیتنی کنت تراباً ای من شیعة علیٍّ علیه السلام و ذلك قول الله عزّ و جلّ: و یقول الکافر یالیتنی کنت تراباً.

سُورَة النّازعات

ستّ و اربعون آيةً، مكّيّ كلّها.

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَ النّٰازِعٰاتِ غَرْقًا] اقسم تعالى شأنه بالنّفوس المشتاقة الى اوطانها الحقيقيّة من نزع نزوعاً اشتاق، او بالنّفوس المرتدعة عن النّفس و علائقها من قولهم: نزع من الامر انتهى، الّتى تغرق فى الاهتمام بالّسير الى الله، او فى بحار حبّه، او فى بحار صفاته، او فى بحر الاحديّة.

[وَ النّٰاشِطٰاتِ نَشْطًا] اى النّفوس النّاشطات الطّيّبات فى الّسير الى الله، او النّاشطات فى الخروج من دار النّفس، او الخارجات من دار النّفس الى دار القلب.

او المراد بالنّازعات ملائكة العذاب تنزع ارواح الكفّار، و بالنّاشطات ملائكة الرّحمة تخرج ارواح المؤمنين برفقٍ، او المراد بالنّازعات النّجوم تنزع من مطالعها و تغرق فى مغاربها، و بالنّاشطات النّجوم الّتى تخرج من برجٍ الى برجٍ.

او المراد بالنّازعات القسيّ تنزع بالّسهم، والمراد بالنّاشطات الخيل السمينة فى الجهاد، او المراد بالنّازعات النّفوس المشتاقة الى‌الله، و بالنّاشطات النّفوس المسرعة فى الخروج عند الموت.

[وَ السّٰابِحٰاتِ سَبْحًا] النّفوس السّابحة فى بحار اوصافه تعالى، او الجارية المسرعة الى الله، او الملائكة الّذين يسرعون فى امر الله من غير تأمّلٍ و توانٍ كالّسابح فى الماء.

او الملائكة الّذين يسبجون ارواح المؤمنين يسلّونها سّلاً رقيقاً ثمّ يدعونها حتّى تستريح كالّسابح بالّشىء فى الماء، او الملائكة الّذين ينزلون من الّسماء الى الارض باسراعٍ كما يقال للفرس الجواد سابحٌ، او النّجوم الّتى تسبح فى فلكها، او خيل الغزاة تسبح فى عَدْوها.

[فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا] الملائكة الّذين سبقوا ابن آدم بالخير، او سبقوا الشّيطان فى حفظ ابن آدم منه، او سبقوا الشّيطان بالوحى الى الانبياء عليهم السلام، او الّذين سبقوا بأرواح المؤمنين الى الجنّة، او النّفوس البشريّة الّتى تسبق سائر النّفوس فى الذّهاب الى الله او القرب منه، او الّتى تسبق الملائكة فى المرتبة، او الّتى تسبق ملك الموت فى الخروج الى الله شوقاً اليه، او النّجوم الّتى يسبق بعضها بعضاً فى الّسير، او خيل الغزاة يسبق بعضها بعضاً.

[فَالْمُدَبِّرَاتِ اَمْرًا] اى الملائكة المدبّرة امر اهل الارض، او الرّؤساء من الغزاة يدبّرون امر الجنود و الجهاد، او النّفوس الكاملة الرّاجعة من الّسير الى الله فى الّسير الى العباد لتكميلهم، او النّفوس الّسالكة المدبّرة امر الّسير الى الله دون المجذوبة اليه من غير سلوكٍ، او النّجوم المدبّرة امر العالم، و عطف الاخيرين بالفاء للاشعار بشرافة الصّفتين او الصّنفين، و جواب القسم محذوف بقرينة الاتى كأنّه قال: لتبعثنّ.

[يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ] ظرف للمدّبرات امراً، او لمحذوفٍ هو جواب القسم اى لتبعثنّ يوم ترجف الرّاجفة، او لقوله تعالى: تتبعها لرّادفة، او لقوله تعالى: واجفة، و يكون يومئذٍ تأكيداً له او لاذكر او ذكّر مقدّراً و رجف بمعنى حرّك و تحرّك و اضطراب شديداً، و رجفت الارض زلزلت، و المراد بالرّاجفة النّفخة الاولى.

[تَتْبَعُهَا الرّٰادِفَةُ]الى النّفخة الثّانية و الجملة استيناف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ سواء جعل يوم ترجف الرّاجفة متعلّقًا به، او لم يجعل او حال.

[قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وٰاجِفَةٌ] مضطربة [اَبْصٰارُهٰا] اى ابصار القلوب [خٰاشِعَةٌ] و فى اضافة الابصار الى القلوب اشعار بانّ ابصار الابدان تصير فى ذلك اليوم متعطّلة.

[يَقُولُونَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما يقولون فى حقّ هذا اليوم؟ـ فقال: ينكرونها و يقولون.

[اَئِنّٰا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحٰافِرَةِ] اى فى اوّل حالنا يعنى فى الحياة الثّانية المشابهة للحياة الاولى، و الحافرة الخلقة الاولى، و العود فى الّشىء حتّى يردّ آخره على اوّله.

[ءَاِذٰا كُنّٰا عِظٰامًا نَخِرَةً] باليةً متفتّتة [قٰالُوا تِلْكَ] الكّرة [اِذًا كَرَّةٌ خٰاسِرَةٌ] يعنى خاسر اهلها يعنى قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء، او على سبيل الفرض و الّشكّ.

[فَاِنَّمٰا هِيَ] اى الكرّة او الرّجعة [زَجْرَةٌ وٰاحِدَةٌ] اى صيحة واحدة لانّ الزّاجر للّشىء فى الاغلب يكون زجرة بصياحة و للاشارة الى سهولتا عليه تعالى و سرعة خروجهم من القبور بالّصيحة اطلق الصّيحة الى الرّجعة و وصفها.

[فَاِذٰاهُمْ] من القبور [بِالسّٰاهِرَةِ] اى على وجه الارض، و قيل: الّساهرة موضع بالّشام [هَلْ اَتٰيكَ حَدِيثُ مُوسىٰ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنه قال: ما افعل بهؤلاء المنكرين المكذّبين؟ـ و ما تفعل انت بهم؟ـ

فقال: افعل بهم ما موسى عليه السلام بفوعون و قومه، و نفعل بهم ما فعلنا

بفرعون وقومه، فلاتكن فی ضيقٍ ممّا يمكرون فانّ لك عليهم سلطاناً كما لموسی عليه‌السلام علی قوم فرعون.

[اِذْنَادٰيهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً اِذْهَبْ] حال بتقدير القول او مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القـول [اِلٰی فِرْعَوْنَ اِنَّهُ طَغٰی فَقُلْ هَلْ لَكَ] ميل [اِلٰی اَنْ تَزَكّٰی] ای تتطّهر ممّا انت فيه من الّشرك و الذّنوب او تتنعّم، او تنمو فيما انت فيه من العزّ و السّلطنة، و هذا تعليم لموسی عليه‌السلام كيف يتكلّم له بالقول اللّيّن.

[وَ أَهْدِيَكَ اِلٰی رَبِّكَ فَتَخْشٰی] فحصل لك مقام الخشية الّتی هی للعالم بالله [فَأَرٰيهُ] ای فأتاه و دعاه بالملاينة معه فأريه.

[الْاٰيَةُ الْكُبْرٰیٰ] الّتی هـی الثّعبان او اليـد البـيضاء [فَكَذَّبَ وَ عَصٰی] فی حضوره [ثُمَّ أَدْبَرَ] عنه طلباً لما يكسر به آيتة ظنّاً منه انّ آيته سحر [يَسْعٰی] يجهد فی طلب ما يكسر به حجّته، او يسعی فی الافساد فی الارض.

[فَحَشَرَ] قومه و جنوده و اهل مـملكته [فَنَادٰی فَقَالَ اَنَا رَبُّكُمُ الْاَعْلٰی] عطف علی نادی عطف التّفصيل علی الاجمال و كان مقصوده من هذا التّمويه علی العوامّ و انكان ان يكون فـوقه ربّ سـواه، و قـيل: كـان مقصوده انّ الاصنام اربابٌ لكم و انا ربّكم و ربّ الاصنام.

[فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْاٰخِرَةِ وَ الْاُولٰی] نكال مفعول مطلق من غير لفظ الفعل، او منصوب بنزع الخافض ای اخذه الله بنقمةٍ لائقة لكلمته الاخرة الّتی هی قوله: انّا ربّكم الاعلی، و الاولی الّتی هی قوله: ما علمت لكم من آلهٍ غيری فانّ الكبرياء و الانانيّة كانت رداءه تعالی فمن نازعه فی ردائه

اخذه اخذاً شديداً.

و كان بين الكلمتين كما عن ابى جعفرعليه السلام اربعون سنةً.

[اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً] و اتّعاظاً [لِمَنْ يَخْشٰى] الله تعالى بالغيب و كان فى مقام العلم و قد خرج من مقام الظّنّ الّذى كان لاصحاب النّفوس و لم يصل الى مقام الّشهود.

[ءَاَنْتُمْ اَشَدُّ خَلْقًا] عظماً و اتقاناً و ادامةً [اَمِ السَّمٰاءُ] يعنى انّ خلقكم ابتداءً اضعف من خلق الّسماء و قد خلقكم و خلق الّسماء فكيف يكون عاجزاً عن خلقكم ثانياً.

[بَنٰاهٰا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ او حال [رَفَعَ سَمْكَهٰا] اى جهتها المرتفعة [فَسَوّٰيهٰا] اى اتّمها بجميع ما فيها و جميع ما فيه مصالح العباد [وَ اَغْطَشَ لَيْلَهٰا] اى جعل ليلها مظلماً.

[وَ اَخْرَجَ] من اللّيل او اظهر [ضُحٰيهٰا] و نسبة اللّيل و الضّحى الى الّسماء لكونها مبدأهما و هذه الجمل تفصيل لسوّيها فانّ تتميمها يكون بماذكر بعدها.

[وَ الْاَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰيهٰا] اى بعد بناء الّسماء و رفع سمكها و اظلامِ ليلها و اخراج ضحيها، ودحو الارض عبارة عن بسطها.

اعلم، انّه لاتقدّم لسماء العالم الكبير على ارضها، و ما ورد فى الايات و الاخبار مشعراً بتقدّم خلق الارض على الّسماء او تقدّم الّسماء على الارض فمؤّل لانّه ليس بين الارض و الّسماء علّيّة لعدم جواز العلّيّة بين الاجسام كما قرّر فى محلّه.

و لذلك قيل: المراد بقوله تعالى بعد ذلك مع ذلك اى الارض مع بناء

السّماء دحاها فليكن المراد بدحو الارض بسطها بتوليد مواليدها، فانّ مرتبة المواليد فى الخلقة بعد مرتبة العناصر و السّماوات، او ليكن بعد بمعنى مع كما قيل، او ليكن المقصود من الارض و السّماء ما فى العالم الصّغير فانّ سماءه بوجهٍ مقدّمة على ارضه و بوجهٍ مؤخّرة.

[اَخْرَجَ مِنْهٰا مٰاءَهٰا وَ مَرْعيٰهٰا وَ الْجِبٰالَ اَرْسيٰهٰا] اى اثبتها فى اوساط الارض لتوليد المعادن فيها و انبات النّبات و الاشجار الّتى لاتنبت الّا فيها و سهولة اجراء المياه من تحتها و العيون على سفحها [مَتٰاعًا لَكُمْ وَ لِاَنْعٰامِكُمْ] اى حالكونها اشياء تتمتّعون بها فى معاشكم او لتمتّعكم و تمتّع انعامكم فقوله متاعاً حال او منصوب بنزع الخافض و ليس مفعولاً له لعدم اتّحاد مرفوعه مع مرفوع عامله، او هو مفعول مطلق لفعلٍ محذوفٍ.

[فَاِذٰا جٰاءَتِ الطّٰامَّةُ الْكُبْرٰى] يعنى اذا كان خلق السّماء اشدّ من خلقكم ابتداء، و خلقكم ثانياً اسهل من خلقكم ابتداءً فلا مانع من خلقكم ثانياً و قد اخبركم به فهو محقّق لامحاله فاذا جاءت القيامة، سمّيت بالطّامّة لانّ الطّامة الدّاهية الّتى تغلب ماسواها و القيامة داهية تغلب جميع الدّواهى.

[يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْاِنْسٰانُ مٰا سَعٰى] اى ما عمله فانّ يوم القيامة يوم الذّكر و دار الاخرة دار الذّكر فيتذكّر الانسان فيها جميع ما عمله بمعنى انّه يرى آثاره على نفسه و يشاهدها و يشاهد جزاءها.

[وَ بُرِّزَتِ الْجَحيمُ لِمَنْ يَرٰى] اى لمن يراها اى لمن كان من شأنه رؤيتها فانّ منهم من لايراها اصلاً و ليس من شأنه رؤيتها.

[فَأَمّٰا مِنْ طَغٰى] طغى يطغو من باب نصر و طغى يطغى من باب

منع خرج من الطّاعة [وَ اٰثَرَ الْحَیٰوةَ الدُّنْیا] علی الحیاة الاخرة [فَاِنَّ الْجَحِیمَ هِیَ الْمَأْوٰی] ای مأواه.

[وَ اَمّاٰ مَنْ خاٰفَ مَقٰامَ رَبِّهِ] عن مقامه عند ربّه او قیام ربّه للحساب، او محلّ قیام ربّه للحساب، او تمكّن ربّه و قدرته عند الحساب [وَ نَهَی النَّفْسَ] ای نفسه.

[عَنَ الْهَوٰی] ای هواها [فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِیَ الْمَأْوٰی یَسْئَلُونَكَ عَنِ السّاٰعَةِ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قیل بعد ما سجّل علیهم قیام الّساعة: ما یقولون فیها؟

ـ فقال: یسألونك عن وقتها، او استفهام بتقدیر حرف الاستفهام [أَیّاٰنَ مُرْسیٰها] ای متی یكون ثباتها [فیمَ اَنْتَ مِنْ ذِكْریٰها] تفخیم لامرها و نفی لعلمه ﷺ بها تأكیداً فی اخفائها.

[اِلٰی رَبِّكَ مُنْتَهیٰها] یعنی انّ الّساعة منتهاها الرّبّ فان كنت تقدر علی معرفة الرّبّ تقدر علی معرفتها.

او المعنی الی ربّك المضاف و ظهوره منتهی وقت الّساعة یعنی انّ الّساعة ای وقت القیام عندالله من اوّل الموت الی ظهور ربّك علیك، و حین ظهور الرّبّ یكون تمام القیام عندالله سواء كان الموت اختیاریّاً او اضطراریّاً و لذلك فسّرت الّساعة تارةً بظهور القائم علیه السلام و تارةً بالقیامة و تارةً بالرّجعة و تارةً بالموت.

فانّ الكلّ بعد طیّ البرازخ اختیاراً او اضطراراً ینتهی الی علیٍّ علیه السلام فانّ آیات الخلق الیه و حسابهم علیهی و رجوعهم الیه علیه السلام و هو قیامتهم و هو رجعتهم سواء جعل المراد بالرّجعة الرّجعة الی الصّحو بعد المحو، او الی

القوى و الجنود بعد الفناء عنها، او الرّجعة الى الاخرة و هو ظاهر، او الرّجعة الى الدّنيا.

فانّه بعد رجوعهم الى امامهم كان اوّل رجعتهم الى الدّنيا و الى المراتب الدّانية الّتى كانوا مدبرين معرضين عنها، و بعد ما نفى علمه بالّساعة حصر شأنه فى الانذار تأكيداً لنفى علمه بالّساعة فقال [اِنَّمٰا اَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشيٰهٰا] يعنى محصور شأنك فى انذار من كان عالماً بها و باهوالها لاينفع انذارك لغيرهم و لاشأن لك سوى ذلك الانذار.

[كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهٰا لَمْ يَلْبَثُوا اِلاّٰ عَشِيَّةً اَوْضُحيٰهٰا] و هذا جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فما كان حالهم فى الّساعة؟ـ فقال: كانوا حين يرونها كأنّهم لم يلبثوا فى الّساعة الاّ آخر النّهار او اوّله حتّى اخرجوا الى النّار، او كأنّهم لم يلبثوا فى الدّنيا لصغر الدّنيا فى اعينهم او لشدّة اهوالهم الاّ ساعة من النّهار.

سُورَة عَبَس

مكّيّة كلّها، ثنتان و اربعون او واحدى و اربعون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[عَبَسَ وَ تَوَلّىٰ] قيل: نزلت الاية فى عبدالله امّ مكتوم كان اعمى و ذلك انّه جاء الى رسول الله ﷺ و عنده جمع من صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام.

و فى روايةٍ كان عنده عتبة بن ربيعة و ابوجهل و العبّاس و أبيّ و امّية ابنا خلف يدعوهم الى الله و يرجوا سلامهم فقال: يا رسول الله ﷺ اقرأني و علّمني ممّا علّمك الله فجعل يناديه و يكرّر النّداء و لايدرى انّه مشتغل بغيره، فظهرت الكراهة فى وجه رسول‌الله ﷺ و يقول فى نفسه: يقول هؤلاء الصّناديد انّما اتباعه العميان و العبيد فأعرض عنه و أقبل على القوم و كان رسول‌الله ﷺ بعد ذلك يكرمه و يقول: مرحباً بمن عاتبني فيه ربّى.

و روى عن الصّادق عليه السلام: انّ المراد كان رجلاً من بنى اميّة كان عند النّبيّ ﷺ فجاء ابن امّ مكتوم فلمّا رآه تقذّر[1] منه و جمع نفسه و اعرض منه فحكى الله سبحانه ذلك و أنكره عليه.

و عن القمّيّ انّها فى عثمان و ابن امّ مكتومٍ و كان مؤذّناً لرسول الله ﷺ و جاء الى رسول الله ﷺ فقدّمه رسول الله ﷺ على عثمان فعبس عثمان وجهه و تولّى عنه.

---

(١) اى تنفر.

[اَنْ جاءَهُ الْاَعْمٰى وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّىٰ] يتطّهر او يصلح فى اعماله كمال الصّلاح او ينمو فى دينه و ايمانه [اَوْ يَذَّكَّرُ] اى يتذكّر ان لم يكن يّزكّى.

[فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرٰى] حتّى يسلم بعد او ينتفع بها حين موته [اَمّا مَنِ اسْتَغْنٰى] فى ماله او استغنى عن الاسلام.

[فَاَنْتَ لَهُ تَصَدّىٰ] تـتعرّض [وَ ما عَلَيْكَ اَلّا يَزَّكّىٰ] و لابأس عليك فى ان لايتطّهر ذلك الغنىّ او اىّ شىءٍ يرد عليك فى ان لايّزكّى، او ليس عدم تزكيته و بالاً عليك، و قال القمّىّ، المعنى لاتبالى ازكيّاً كـان او غير زكىٍّ اذا كان غنيّاً.

[وَ اَمّا مَنْ جاءَكَ يَسْعٰى] فى طلب الدّين و ازدياد ايمانه [وَ هُوَ يَخْشٰى] ربّه بالغيب.

[فَاَنْتَ عَنْهُ تَلَهّىٰ] و قد استبعد بعض العلماء كـون الايـات فـى رسول الله ﷺ لبعد مقامه عن العبوس و التّولّى عن الاعمى، و علوّ رتبته عن ان يصير معاتباً بمثل هذا العتاب، اقول: لو كـانت الايـات فـيهﷺ و العتاب له لم يكن فيه نقص لشأنه و لم يكن منافياً لما قاله تعالى فى حقّه من قوله: انّك لعلى خلقٍ عظيمٍ.

فانّ اقباله ﷺ و ادباره و عبوسه و استبشاره كان لله فانّ عبوسه ان كان لمنع الاعمى عن نشر دين الله و استماع كلماته لاعداء الله و اعداء دينه و تقريبهم الى دينه لم يكن فيه نقصٌ فيه و فى خلقه، و امّا امثال العتاب له ﷺ فانّها تدلّ على تفخيمه و الاعتداد به فانّ كلّها كـانت بـايّاك اعـنى و

اسمعى يا جارة فالخطاب و العتاب يكون لغيره لاله، و كذاز ريه[1] تعالى له ﷺ بالعبوس و التّولّى يكون متوجّهاً الى غيره فى الحقيقة.

[كَلّا] ردع له عن مثله [اِنَّها تَذْكِرَةٌ] اى القرآن، و تأنيث الضّمير لمطابقة المسند او الرّسالة تذكرةٌ فليس لك ان تكون حريصاً على قبولهم او ولاية علىّ عليه السلام تذكرة.

[فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ] اى القرآن او شأن الرّسالة او الولاية.

[في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ] حال او خبر بعد خبره، و يجوز ان يكون ظرفاً لغواً متعلّقاً بقوله تعالى ذكره، والمراد بالصّحف المكرّمة الالواح العالية، او الاقلام العالية، الّتى هى العقول الطّوليّة او العرضيّة او صحف قلوب الانبياء عليهم السلام و نفوسهم.

[مَرْفُوعَةٍ] عن نيل الايدى النّاقصة [مَطَهَّرَةٍ] عن نقائص المادّة و سؤاتها [باَيْدي سَفَرَةٍ] جمع الّسافر بمعنى الكاتب، او المراد الملائكة الّذين كانوا سفراء بينه و بين انبيائه عليهم السلام.

[كِرامٍ بَرَرَةٍ] بارّين الى الانبياء عليهم السلام، او الى الخلائق، او محسنين فى انفسهم مطيعين لامر ربّهم.

[قُتِلَ الْاِنْسانُ] دعاء على الانسان المطلق بسبب شأنه الّذى اودعه الله فيه من كفران النّعمة، او الكفر بالله، او الرّسول ﷺ او الولاية، و جوابٌ لسؤال مقدّرٍ كأنّه قيل: ما حال الانسان مع ما جعلته تذكبرة من القرآن او شأن الرّسالة او الولاية؟ـ فقال: قتل الانسان.

[ما اَكْفَرَهُ] يعنى حاله شدّة الكفران او الكفر، و الصّيغة للتّعجّب او

(١) نسبة الله تعالى عيب العبوس و التّولى اليه ﷺ.

مركّبة من لفظة ما الاستفهاميّة و الفعل الماضى من باب الافعال، و يجوز ان يكون المقصود من قوله ما اكفره ما اكفره بعليٍّ عليه السلام.

[مِنْ اَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل له ما يدلّه على الالهة او الرّسالة او الولاية او البعث؟

ـ فقال: من اىّ شىءٍ خلقه حتّى يعلم انّ ذلك حقّ فالاستفهام للتّقرير [مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ] يعنى خلقه من نطفةٍ ضعيفة الوجود لاتحفظ صورته بنفسه آنين قذرة منتنة ادلّ دليل على المبدء و الرّسالة و الولاية و البعث.

[فَقَدَّرَهُ] بحسب اعضائه و اجزائه و مقدار طوله و عرضه قدراً يليق بشأنه و يتمشّى منه الافعال المترقّبة منه بسهولةٍ.

[ثُمَّ السَّبِيلَ] اى سبيل الخروج من بطن امّه، او سبيل السّلوك لطلب معيشة، او سبيل السّلوك الى الله و طلب معاده، او سبيل السّلوك من الدّنيا الى الاخرة بالموت الاضطرارىّ.

[يَسَّرَهُ ثُمَّ اَمٰاتَهُ] عن صورةٍ و فعليّة ينبغى ان تطرح [فَأَقْبَرَهُ] فى صورةٍ اخرى الى ان اماته عن جميع الصّور بالموت الاختيارىّ او الاضطرارىّ فأقبره فى القبر التّرابىّ و فى الصّور البرزخيّة و المثاليّة.

[ثُمَّ اِذٰا شٰاءَ اَنْشَرَهُ] من قبره [كَلّٰا] ردع للانسان عن ترقّب رؤية ما ذكره من النّشر [لَمّٰا يَقْضِ مٰا اَمَرَهُ] اى لمّا يقض ذلك الانسان ما امره الله من اخلاص العبادة و اتمام العبوديّة حتّى يشاهد مايتمنّى شهوده من النّشر و الحساب و العقاب، او لمّا يقض الانسان ما امره الله تعالى به من الاوامر الشرعيّة القالبيّة حتّى يشاهد آثار الالهة او الرّسالة او الولاية، او يشاهد نشر العباد و حسابهم من طريق باطنه، او لمّا يقض الله ما امره و قدّره من

حشر الخلائق ونشرهم و حسابهم و ثوابهم و عقابهم حتّى يشاهدوا ما نقول من نشر الخلائق.

[فَلْيَنْظُرِ الْاِنْسٰانُ] الى الاسباب و المسبّبات و يشاهد كيفيّة ترقّيهاو ترتّبها و وصولها الى غاياتها ومسبّباتها حتّى يعلم بعلم اليقين انّ لها الهاً و انّ له رسولاً و اماماً، و انّ الانسان ينتهى فى تقلّباته الى ان خرج من قشره و قالبه، و وصل الى لبّه و قلبه، و الى حسابه و ربّه فلينظر من جملة الاسباب و المسبّبات.

[اِلٰى طَعٰامِهِ] الصّوريّ و المعنويّ.

[اَنّٰا صَبَبْنَا الْمٰاءَ] من السّحب [صَبًّا] عجيباً يكون بقدر الحاجة و ليس كثيراً بحيث يستضرّون به ولا فى غير وقت الحاجة [ثُمَّ شَقَقْنَا الْاَرْضَ شَقًّا] بانبات النّبات و الاشجار.

[فَأَنْبَتْنٰا فيهٰا حَبًّا] نباتاً ذاحبّ [وَ عِنَبًا] خصّه من بين الفواكه لكثرة منافعه [وَ قَضْبًا] القضب جمع القضبة و هى ما اكل من النّبات المقتضب غضّاً [وَ زَيْتُونًا] شجر الزّيتون [وَ نَخْلاً] تخصيصهما من بين الاشجار بالّذكر لكثرة منافعهما كالعنب.

[وَ حَدٰائِقَ غُلْبًا] جمع الغلباء الحديقة المتكاثفة [وَ فٰاكِهَةً] و سائر انواع الفواكه [وَ أَبًّا] الكلأ و المرعى و ما انبتت الارض.

[مَتٰاعًا] هو بمعنى التّمتيع او بمعنى التّمتّع مفعول له او منصوب بنزع الخافض او مفعول مطلق لمحذوفٍ هو حال، او بمعنى ما يتمتّع به فيكون حينئذٍ حالاً.

[لَكُمْ وَ لِاَنْعٰامِكُمْ] فكيف نهملكم بعد ما بلّغناكم من ادنى مراتب وجودكم و هو مقام كونكم نطفةً قذرةً الى اعلى مقاماتكم و هو مقام

روحانيّتكم و مشاركتكم للملائكة بل نبعثكم الى عالم اعلى من عالمكم.

[فَإِذا جاءَتِ الصّاخَّةُ] الصّخّ الضّرب بشيءٍ صلب على مصمت، و الصّاخّة صيحة تصمّ الاسماع لشدّتها و القيامة و الدّاهية، و الكلّ مناسب ههنا.

[يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ] يوم الموت او يوم القيامة الكبرى [وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ لِكُلِّ امْرِءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ] تأكيد ليوم يفرّ المرء من اخيه و هو متعلّق بيغنيه او يوم يفرّ المرء من اخيه ظرف لجاءت او لمحذوفٍ اى اذكر و يومئذٍ متعلّق بيغنيه.

[شَأْنٌ يُغْنِيهِ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ] مشرقة [ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ] لما رأته ممّا اعدّ الله لها [وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ] الغبرة محرّكة الغبار.

[تَرْهَقُها قَتَرَةٌ] تغشيها كدرة و سواد من هول القيامة و القتر و القترة محرّكتين و القترة بالفتح و السّكون الغبار او التّلطخ بالغبار، و قيل: الغبرة ما انحطّ من السّماء الى الارض، و القتره ما ارتفعت من الارض الى السّماء، و هذا مناسب لتأديةاللّفظين بقوله: عليها غبرة ترهقها قتره.

[أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ] فى علومهم [الْفَجَرَةُ] فى اعمالهم فهم النّاقصون فى قوّتيهم العلّامة و العمّالة.

سُورَة التّكوير

مكّيّة كلّها، تسع و عشرون آيَةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ] التّكوير التّلفيف على التّدوير و الصّرع، كوّره صرعه، و كوّر المتاع جمعه و شدّه، و التّكوّر التّقطّر و التّشمّر و الّسقوط، و الكلّ مناسب ههنا، والمراد بوقت تكوير الّمس وقت الموت و ظهوره آثار الاخرة، او وقت القيامة الكبرى.

[وَ اِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ] بذهاب ضوئها [وَ اِذَا الْجَبَالُ سُيِّرَتْ] باندكاكها و انتشارها او بسيرها فى الاصقاع فانّك ترى الجبال تحسبها جامدةً و هى تمرّمرّ الّسحاب بتجدّدها فى جوهرها، و هكذا حال جبال الانّيّات.

[وَ اِذَا الْعِشَارُ] جمع العشراء و هى النّاقة الّتى اتت عليها من حملها عشرة اشهرٍ، و تسمّى بهذا الاسم بعد وضعها و هى انفس مالٍ عند العرب [عُطِّلَتْ] و اهملت بلا راعٍ.

[وَ اِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ] اى وحوش العالم الصّغير عند الموت و وحوش العالم الكبير فى القيامة.

[وَ اِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ] سجّر التّنورّ احماه، و النّهر ملأه و الماء فى حلقه صبّه، و المسجور البحر، و تسجير الماء تفجيره، فقيل: المعنى اذا البحار ارسل مالحها على عذبها، و عذبها على مالحها حتّى امتلأت.

و قيل: فجّر بعضٌ فى بعضٍ فصارت البحور بحراً واحداً، و قيل: او قدت فصارت المياه نيراناً.

و قيل: يبست و ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة، و قيل: ملأت من القيح و الصّديد الّذى يسيل من ابدان اهل النّار فى النّار.

[وَ اِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ] كلّ مع سنخه من الاناسىّ و الشّياطين، او مع الملك والحور العين و الجنّة و الشّياطين، او كلّ مع بدنه المناسب له، او كلّ مع جزاء عمله فى الاخرة.

[وَ اِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ] الموؤدة الجارية المدفونة حيّاً، كانوا يدفنون البنات حيّاً خوفاً من لحوق العار، كانوا يقولون: انّها يُسبين فيتزوّجن فى غير اهلهنّ، او خوفاً من العيلة، و قيل: كانت المرأة اذا حان وقت ولادتها حفرت حفرةً وقعدت على رأسها، فان ولدت بنتاً رمت بها فى الحفرة.

[بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ] و المقصود انّه يسئل عن الموؤدة نفسها او يسئل القاتلون عن حالها.

[وَ اِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ] اى صحف الاعمال نشرت للحساب و الجزاء [وَ اِذَا السَّمٰاءُ كُشِطَتْ] ازيلت عن موضعها [وَ اِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ] او قدت حتّى ازدادت شدّة على شدّةٍ [وَ اِذَا الْجَنَّةُ اُزْلِفَتْ] قربت من اهلها للدّخول فيها او قربت ليشاهدها المؤمنون فيزداد سرورهم.

[عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا اَحْضَرَتْ] النّفس فى معنى الجنس الحاصل فى عموم الافراد مثل قولهم تمرةٌ خير من جرادةٍ، و ما استفهاميّة معلّق عنها الفعل او موصولة، او المراد بنفسٍ فرد عظيم فى النّكارة لايمكن ان يعرّف و هو نفس الثّانى.

[فَلٰا اُقْسِمُ] لازائدة او جوابيّة او نافية، و المعنى لااقسم لعدم

الحاجة الى القسم لوضوح المقسم عليه.

[بِالْخُنَّسِ] الخنّس الكواكب كلّها او الّسيّارة، او النّجوم الخمسة الّسيّارة غير النّيّرين، و خنوسها عبارة ن غيبوبتها تحت الافق او تحت ضوء الّشمسن [الْجَوارِ] الّسيّارات كجريان الّسفن فى البحار.

[الْكُنَّسِ] اى المتواريات فى البروج، و قيل: خنوسها اختفاءها بالنّهار تحت ضوء الّشمس، و كنوسها انّها تغيب فى الافق وقت غروبها.

[وَ اللَّيْلِ اِذا عَسْعَسَ] اى اذا ادبر او اقبل، فانّ العسعسة من الاضداد تستعمل فى الادبار و الاقبال [وَ الصُّبْحِ اِذا تَنَفَّسَ] شبّه امتداد الّشفق بتنفّس الانسان.

[اِنَّهُ لَقُولُ رَسُولٍ كَريمٍ] اى القران ليس من عند نفس محمّدٍ ﷺ بل هو قول جبرئيل او قرآن ولاية علىّ عليه السلام، او نصبه بالخلافة و الولاية قول جبرئيل الّذى هو رسول من الله الى الانبياء عليهم السلام و له الكرامة عندالله.

[ذي قُوَّةٍ ذِى الْعَرْشِ مَكينٍ مُطاعٍ] فى الملائكة او فى جملة المخلوقات لانّه فى العالم الكبير بمنزلة النّفس الانسانيّة فى العالم الصّغير [ثَمَّ اَمينٍ] على وحى الله و مدائن علمه.

و روى عن الصّادق عليه السلام فى قوله ذى قوّةٍ عند العرش مكينٍ انّه قال يعنى جبرئيل.

قيل: قوله مطاعٍ ثمّ امينٍ قال يعنى رسول الله ﷺ هو المطاع عند ربّه الامين يوم القيامة.

[وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ] عن الصّادق عليه السلام يعنى النّبىّ ﷺ فى نصبه امير المؤمنين عليه السلام علماً للنّاس.

[وَ لَقَدْ رَءٰاهُ] ای رأی القران او قرآن ولاية علیٍّ علیه السلام او جبرئيل او علیّاً علیه السلام [بِالْاُفُقِ الْمُبِينِ] و هو افق عالم الغيب.

[وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ] ای بخيلٍ حتّی يكتمه و لايظهره عليكم، و قرئ بالظّاء المؤلّف بمعنى المتّهم من الظّنّة بالكسر بمعنى التّهمة.

و روی عن الصّادق علیه السلام انّه قال: و ما هو تبارك و تعالى على نبيّه صلی الله علیه و آله بغيبه بضنينٍ عليه [وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطٰانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ] عن علیٍّ علیه السلام [اِنْ هُوَ] ای القران او علیّ علیه السلام [اِلّٰا ذِكْرٌ لِلْعٰالَمِينَ] و عن الصّادق علیه السلام انّه قال: أين تذهبون فی علیٍّ ان هو الّا ذكرٌ للعالمين لمن اخذ الله ميثاقه على ولايته.

[لِمَنْ شٰاءَ مِنْكُمْ] بدل من قوله للعالمين بدل البعض من الكلّ [اَنْ يَسْتَقِيمَ] فی طاعة علیٍّ علیه السلام و الائمّة من بعده.

كما عن الصّادق علیه السلام، او يستقيم فی افعاله و اقواله و احواله و اخلاقهای يتمكّن على الصّدق فيها.

[وَ ما تَشٰاؤُنَ اِلّٰا اَنْ يَشٰاءَ اللهُ رَبُّ الْعٰالَمِينَ] روی عن الكاظم علیه السلام انّ الله جعل قلوب الائمّة مورداً لارادته فاذا اراد الله شيئاً شاؤه و هو قوله تعالى: و ما تشاؤن الّا ان يشاء الله ربّ العالمين و قد مضى بيان هذه العبارة فی سورة الدّهر بطريق الاجمال.

سُورَة الاِنفِطار

مكّيّة كلّها، تسع عشر آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اِذَا السَّمٰاءُ انْفَطَرَتْ] انشقّت مثل قوله تعالى: يوم تشقّق الّسماء بالغمام [وَ اِذَا الْكَوٰاكِبُ انْتَثَرَتْ] تفرّقت بالتّساقط عن محلّها.

[وَ اِذَا الْبِحٰارُ فُجِّرَتْ] انفجر الماء و تفجّر سال، و فجره من الثّلاثّى المجرّد و فجّره من التّفعيل اساله، و المراد سيلان البحار بعضها فى بعضها، او سيلان مائها بحيث لم يبق فيها ماءٌ.

[وَ اِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ] بعثر نظر وفتّش، و بعثر الّشىء فرّقه و قلّب بعضه على يعضٍ و استخرجه و كشفه و أثار مافيه، و بعثر الحوض هدمه و جعل اسفله اعلاه، و المراد وقت الموت او وقت البعث.

[عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ وَ اَخَّرَتْ] قد سبق هذه العبارة فى اوّل سورة التّكوير و قد سبق معنى التّقديم و التّأخير فى سورة القيامة عند قوله تعالى: ينّبؤا الانسان يومئذٍ بماقدّم و أخّر.

[يٰا اَيُّهَا الْاِنْسٰانُ مٰاغَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ] التّوصيف بالكرم تهكّم به حيث يقول المغتّرون به تعالى: انّ الله كريم فيقول تبارك و تعالى: انّ الله كريم لكنّك ما عملت ما استحققت به كرمه، او المنظور تلقينه حجّة غروره كأنّه قال: ما غرّك بربّك غير كرمه و المقصود انّك ما فعلت فعلاً لائقا لكرمه حتّى يعمّك كرمه.

[اَلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوّٰيكَ] بخلق جميع ما تحتاج اليه فى معاشك و

معادك [فَعَدَلَكَ] جعلك معتدلاً فی بدنك و نفسك لم يجعل قامتك طويلةً بحيث لايمكنك تحصيل مأكولها و مشروبها و ملبوسها و مسكونها، و لاقصيرة بحيث لايتمشّی منها بعض الافعال المترقّبة منها، و جعل اعضاءك متوافقةً كّلاً مع الاخر و الكلّ مع البدن و النّفس.

[فِي أَيِّ صُورَةٍ مٰاشٰاءَ رَكَّبَكَ] ایّ شرطيّةٌ و ما زائدة لتأكيد الابهام، و شاء فعل الّشرط و ركّبك جزاء الّشرط، او ایّ شرطيّة و ما شرطيّة بدل منها او فی ایّ صورة استفهام تفخيميّ و ماشاء ركّبك جملة شرطيّة، او ایّ استفهاميّة للّتفخيم و ما زائدة لتأكيد الابهام و الّتفخيم، و شاء صفة صورة بتقدير العائد و ركّبك مستأنفة متعلّقة للظّرف.

و المراد بالصّورة المركوبة الصّورة البدنيّة من الحسن و القبيح، و الطّويل و القصير، و الّذكر و الانثی، و الابيض و الاسود، او الصّورة الّنفسيّة و الاخلاق الباطنيّة، او الصّورة الّتی هی الفعليّة الاخيرة من الفعليّات العلويّة الملكوتيّة او السّفليّة الملكوتيّة.

[كَلّاٰ] ردع عن الاغترار بالكرم [بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ] اضراب عن الاغترار بكرمه و بيان لاغترارهم بأمانيّهم و تكذيبهم بالدّين ای الجزاء او ولاية علیٍّ عليه السلام او شريعة محمّد صلی الله عليه و آله.

[وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحٰافِظِينَ] حال عن الدّين و قيد للّدين المكذّب به فيكون هو ايضاً مكذّباً به او حال عن الفاعل و قيد للّتكذيب.

[كِرٰامًا كٰاتِبِينَ[ ]يَعْلَمُونَ مٰا تَفْعَلُونَ] توصيفٌ للحافظين تفخيماً لامر الجزاء و الحساب و العقاب فاذا كانوا يعلمون ما تفعلون فلا تجترؤا علی معصيةالله.

[اِنَّ الْاَبْرارَ لَفي نَعيمٍ] جوابٌ لسؤالٍ كأنّه قيل: اذا كان علينا حافظون فما حالنا فى الاخرة؟- فقال: انّ الابرار لفى نعيمٍ.

[وَ اِنَّ الْفُجّارَ لَفي جَحيمٍ يَصْلَوْنَها] يتفاسون حرّها [يَوْمَ الدّينِ] اى يوم الجزاء.

[وَ ما هُمْ عَنْها بِغائِبينَ] يعنى انّهم حاضرون فيها فى هذه الدّنيا و ان كانت هى غائبة عنهم فيها، او المعنى ماهم فى الاخرة عن الجحيم بغائبين حتّى يفوتونها، او المعنى ماهم عنها فى الاخرة غائبون زماناً ما بل يكونون ابداً فيها.

[وَ ما اَدْريكَ ما يَوْمُ الدّينِ] تفخيم لشأن ذلك اليوم و انّه لايمكنك معرفته.

[ثُمَّ ما اَدْريكَ ما يَوْمُ الدّينِ] تأكيد لذلك التّفخيم [يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا] قرئ برفع يوم لاتملك على انّه بدل من يوم الدّين او خبرٌ لمحذوفٍ او مبتدءٌ لمحذوفٍ.

[وَ الْاَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ] لاامر لاحدٍ لافى نفس الامر و لابحسب الظّنّ و التّخمين كما فى الدّنيا، او المعنى يظهر انّ الامر يومئذٍ لله.

سُورَة التّطفيف

مكّيّة كلّها، و قيل: مدنيّة كلّها، و قيل: مدنيّة الاّ ثمانى آياتٍ و هى: انّ الّذين اجرموا (الى آخر السّورة) و هى ستّ و ثلاثون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ] الطّفيف القليل و النّاقص من الّشىء، و المطفّف كما فسّرته الاية هو الّذى يعطى اقّل من الوزن او الكيل الّذى وقع البيع عليه و يأخذ بأكثر ممّا وقع البيع عليه.

فانّه ايضاً تقليل فى الثّمن فاّتطفيف لايكون الاّ فى المعاملات، و المعاملات تكوين بين الّشخص و بين الله، او بينه و بين من فوقه فى الدّين مثل امامه و اخوانه الّذين سبقوه بالايمان، او تكون بين الّشخص و من تحت يده من اهله و اولاده و خادمه و خادمته.

او بينه و بين من كان مساوياً فى الدّين او فى الدّنيا كسائر المؤمنين من عشائره و غيرهم، او بينه و بين من كان ادون منه كسائر فرق المسلمين، و جميع انواع الكفّار.

و ايضاً تكون المعاملات امّا فى الاموال و الاعراض الدّنيويّة او فى الافعال و الاداب البدنيّة: او فى الاحوال و الاغراض و الاخلاق الّنفسيّسة، او فى العلوم و العقائد القلبيّة.

و لكلٍّ من العباد و سائر افراد الحيوان حقٌّ عليك لابدّ ان تؤدّيه وافياً و لك على كلٍّ حقّ لابدّان يؤدّوه وافياً.

فان كنت لاتوفّى الحقّ الّذى عليك كنت مطفّفاً، و ان كنت تطلب

منهم اكثر من حقّك الّذى عليهم كنت مطفّفاً فانظر الى حالك مع ربّك و مع خلقه حتّى لاتكون مطفّفاً، هيهات هيهات!.

كيف نخرج من التّطفيف و نطلب من الله مالانقدر على اداء شكر عشرٍ من اعشار ما اعطاناه! و نطلب عن الخلق الثّناء على مالانفعل و نغضب ان ذمّونا على مالنا من المعايب و النّقائص! فمالم نخرج من الانانيّات و لم نصر عبداً لله فانياً فيه لم نخرج من التّطفيف فلنطلب العفو من الله و المغفرة منه لتطفيفاتنا.

[اَلَّذِينَ اِذَا اكْتَالُوا عَلَى النّاسِ] بان اكتالوا اجناس النّاس لانفسهم [يَسْتَوْفُونَ] لم يقل او وزنوا لانّ المطفّف فى الكيل مطفّف فى الميزان، و لانّ اكثر المعاملات كانت بالمكيال مثل هذا الزّمان فى بعض البلدان.

[وَ اِذَا كَالُوهُمْ] اى كالوالهم من اجناسهم، و امّا جعل الضّمير تأكيداً للمرفوع فبعيد لفظاً و معنىً لعدم اثبات الالف فى الخطّ و عدم كون المقصود كالوا بانفسهم و لكون المقصود كالوا اجناسهم للنّاس بقرينة المقابلة.

[اَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ] فى الاتيان بالاكتيال و الكيل فى القرينتين اشعار بتعمّلهم فى الكيل حين الاكتيال على النّاس و المسامحة فى الكيل حين الكيل للنّاس.

قيل: لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من اخبث النّاس فى الكيل و الوزن فانزل الله عزّ و جلّ: ويل للمطفّفين، فأحسنوا الكيل بعد ذلك، و قيل: الصّلوة مكيال فمن و فى لله و فى الله له، و من طفّف فقد سمعتم ما قال الله فى الطّففين.

[اَلا يَظُنُّ اُولٰئِكَ اَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظيمٍ] استفهام للتّعجيب [يَوْمَ يَقُومُ النّاسِ لِرَبِّ الْعالَمينَ كَلّا] ردع عن عدم ظنّ البعث.

[اِنَّ كِتابَ الْفُجّارِ لَفى سِجّينٍ] قدّم بيان احوال الفجّار لفى سجّين لانّ الكلام فيهم و لان يختم الاية بالابرار و احوالهم، و السّجين الدّائم و الشّديد و هو مبالغة فى السّجن فانّه عبارة عن الملكوت السّفلى الّتى هى دار الجنّة و الشّياطين و فيها الجحيم و نيرآنهاو عقاربها و حيّاتها.

وهى و الملكوت العليا مكتنفتان بالانسان، فان كان اعماله من حيث انقياده تحت حكم العالم و تقليده له كان كلّما عمل منها حصل له منها صورة فى نفسه من حيث جهتها العليا و كان يكتب الكتبة اعماله فى الكتب الّتى هى من العالم العلوىّ و يعبّر عنه بالعلّيّين مبالغة فى العلوّ، و ان لم يكن بتقليد العالم كان كلّما عمل من الاعمال حصل له منها صورة فى نفسه من حيث جهتها السّفلى و كان يكتب الكتبة اعماله فى الكتب الّتى هى من العالم السّفلى و يعبّر عنه بالسّجّين مبالغة فى السّجن فانّه اضيق سجن للنّفوس الانسانيّة.

و لمّا كان كلّ عالم كتاباً من الحقّ تعالى مرقوماً بصوره و نفوسه على صفحات موادّ ذلك العالم فسّر السّجّين بقوله كتاب [وَ ما اَدْريكَ ماسِجّينٌ] تفخيمٌ و تهويلٌ لشأن ذلك العالم.

[كِتابٌ مَرْقُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبينَ] من ذلك السّجن السّجّين [اَلَّذينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدّينِ وَ ما يُكَذِّبُ بِهِ اِلّا كُلُّ مُعْتَدٍ] متجاوز عن الحقّ الّذى هو طريق القلب و هو طريق الولاية.

[اَثيمٍ] بالغ فى الاثم فانّ يوم الدّين ان كان الانسان ناظراً الى وجوده و

اطوار وجوده كان مشهوداً له لم يكن له جاجة الى الاخرة و امّا المتجاوز عن طريق القلب التّابع لاهوية نفسه فهو اعمى من مشهوداته الّتى لاحاجة له الى تعمّل فى النّظر اليها، فكيف بما كان محتاجاً الى التّعمّل فى النّظر اليه!

[اِذٰا تُتْلٰى عَلَيْهِ اٰياتُنٰا] التّدوينيّة فى بيان الاحكام الّشرعيّة، او فى المواعظ و النّصائح، او فى بيان آياتنا التّكوينيّة الحاصلة فى الافاق او الانفس و خصوصاً الايات العظمى الّذين هم الانبياء و الاوصياء عليهم السلام، او فى بيان آيتنا العظمى الّذى هو علىّ عليه السلام و ولايته [قٰالَ اَسٰاطِيرُ الْاَوَّلِينَ كَلّٰا] ردع له عن هذا القول.

[بَلْ رٰانَ عَلٰى قُلُوبِهِمْ] اى ليس آياتنا من الاساطير بل ران، و الرّين الطّبع و الدّنس، و ران ذنبه على قلبه غلب [مٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ] فانّ ما كانوا يكسبون لم يكن الّا فعليّة جهة النّفس الّسفلى و هى ختم لجهتها العليا و كدرد لها و سدّ لروزنتها الى الملكوت العليا.

و روى عن الباقر عليه السلام: مامن عبدٍ مؤمنٍ الّا و فى قلبه نكتة بيضاء فاذا اذنب ذنباً خرج فى تلك النّكنة نكتة سوداء، فان تاب ذهب ذلك الّسواد و ان تمارى فى الّذنوب زاد ذلك الّسواد حتّى يغطّى البياض، فاذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه الى خيرٍ ابداً و هو قول الله عزّ و جلّ: بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.

[كَلّٰا] ردع لهم عن توقّع الخير و شهود جماله تعالى فى الاخرة [اِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ اِنَّهُمْ لَصٰالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقٰالُ هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ] عن الكاظم عليه السلام قال يعنى امير المؤمنين عليه السلام قيل: تنزيل؟ـ قال: نعم.

و على هذا فالمعنى انّهم عن عليٍّ عليه السلام لمحجوبون ثمّ يقال: هذا عليّ عليه السلام الّذى كنتم به تكذّبون.

[كَلّا اِنَّ كِتابَ الْاَبْرارِ لَفي عِلّيّينَ] قد مضى بيانه عند قوله كتاب الفّجار لفى سجّين [وَ ما اَدْريٰكَ ما عِلّيُّونَ كِتابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ] من الملائكة فانّ عالم المثال العلوىّ مشهود لجميع الملائكة المقرّبين، او من الانبياء و المرسلين عليهم السلام و الاولياء المقرّبين.

فانّهم بانظارهم الملكوتيّة يشهدون اعمال الخلائق و صحائف اعمالهم.

[اِنَّ الْاَبْرارَ لَفي نَعيمٍ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [عَلَى الْاَرائِكِ] جمع الاريكة الّسرير فى حجلة و كلّ ما يتّكأ عليه من سريرٍ و منصّة و فراشٍ او سرير منجدّ مزيّنٍ فى قبّه او بيت [يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ في وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحيقٍ] الرّحيق الخمر او اطيبها او افضلها او الخالص او الصّافى، و ضرب من الطّيب [مَخْتُومٍ] مطبوع بحيث لايمسّه يد غير يد ساقيه [خِتامُهُ] اى الطّين الّذى يختم به [مِسْكٌ وَ في ذٰلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ] اى فليرغب الرّاغبون او فليتنازع المتنازعون لافى مثل مهويّات الانفس الفانيات الزّائلات المستعقبات للحسرة و النّدامة.

[وَ مِزاجُهُ مِنْ تَسْنيمٍ] علّم لعينٍ فى الجنّة من ارفع عيون الجنّة، او شرابها من اعلى اقسام شراب الجنّة، او تأتى اهل الجنّة من فوقهم و لذك سمّيت بتسنيمٍ [عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا] اى منها [الْمُقَرَّبُونَ] خالصة يعنى انّ المقرّبين يشربون منها خالصة غير ممزوجة و امّا غير المقرّبين فيشربون منها ممزوجةً، او هو كناية عن كون الابرار كلّهم مقرّبين.

[اِنَّ الَّذِينَ اَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ اٰمَنُوا يَضْحَكُونَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [وَ اِذٰا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغٰامَزُونَ] اى يشير بعضهم الى بعضٍ بالاعين و الحواجب استهزاءً، ورد من طريق العامّة و الخاصّة: انّ الاية نزلت فى علىٍّ عليه السلام و منافقى قريشٍ [وَ اِذَا انْقَلَبُوا اِلٰى اِهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ] الفكه المتلذّذ باغتياب النّاس و اعراضهم و بالّسخريّة منهم.

[وَ اِذٰا رَأَوْهُمْ قٰالُوا اِنَّ هٰؤُلاٰءِ لَضٰالُّونَ] حيث رأوهم غير متنعّمين فى الدّنيا ثابتين على ماهم عليه من ولاية علىٍّ عليه السلام مع كمال الضّيق و رثاثة الحال [وَ مٰا اُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حٰافِظِينَ] لاعمالهم او حافظين لهم عن الضّلال حتّى ينكروا عليهم ما رأوه منهم مخالفاً لما هم عليه [فَالْيَوْمَ] اى يوم القيامة سواء جعل الّلام للعهد الحضورىّ فانّ يوم القيامة مشهودٌ لله و للرّسول المخاطب صلى الله عليه وآله، او للعهد الذّهنىّ او للعهد الّذكرىّ.

فانّه مذكور بالالتزام عند قوله: انّ الابرار لفى نعيمٍ [اَلَّذِينَ اٰمَنُوا] يعنى عليّاً عليه السلام و اتباعه على ما سبق من تفسير الايات.

[مِنَ الْكُفّٰارِ يَضْحَكُونَ] قيل انّه يفتح للكفّار بابٌ الى الجنّة و يقال لهم: اخرجوا اليها فاذا و صلوا اليها اغلق دونهم، يفعل ذلك بهم مراراً فيضحك منهم المؤمنون.

و قيل: يضحكون لمّا رأوا الكفّار فى العذاب و انفسهم فى النّعيم، و يجوز ان يقال: انّ المؤمنين فى الجنّة مسرورون من قبل الكافرين، لانّهم كانوا فى الدّنيا يصبرون على اذاهم و استهزائهم فصار ذلك سبباً لتنعّمهم فى الجنّة و سرورهم فيها لاانّهم ينظرون اليهم و يتعجّبون من عذابهم و يضحكون منه لانّ ذلك يستلزم الحقد و تشفّى النّفس، و المؤمنون مطهّرون

منهما فى الجنّة.

[عَلَى الْاَرٰائِكِ يَنْظُرُونَ] تكرار لسابقه و هو ممدوحٌ فى مقام المدح [هَلْ ثُوِّبَ الْكُفّٰارُ مٰا كٰانُوا يَفْعَلُونَ] يعنى هل جوزِىَ الكفّار عين ما كانوا يفعلون، على تجسّم الاعمال، او جزاء ما كانوا يفعلون و الجملة حاليّة او مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول اى على الارائك ينظرون حالكونهم يقال لهم: هل ثّوب الكفّار ما كانوا يفعلون.

او مستأنفة منقطعة عن سابقها من دون كونها جواباً لسؤال مقدّرٍ بل تكون ابتداء خطابٍ مع محمّدٍ ﷺ كأنّه قال بعد ما ذكر جزاءهم: هل يثوّب الكفّار ما كانوا يفعلون؟ و الاتيان بالماضى لتحقّق وقوعه، او لانّ محمّداً ﷺ كان مجازاة اهل النّار فى النّار و اهل الجنّة فى الجنّة مشهودةً له واقعة بالنّسبة اليه.

و يجوز ان تكون متعلّقة بينظرون معلّقاً عنها العامل، يعنى على الارائك ينظرون الى الكفّار هل جوّزوا ما كانوا يفعلون ام لا؟

سُورة الانشقاق

مكّيّة كلّها، ثلاث و عشرون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اِذَا السَّمٰاءُ انْشَقَّتْ] اعلم انّ الانسان حين الموت ينشقّ سماء روحه الحيوانيّة بخروج الرّوح الانسانيّة منها و تنتثر كواكب قواه و تنكدر و تتناثر و تندكّ جبال اعضائه و جبال انّيّاته، و تنبسط ارض بدنه و اعضائه، و تخرج جميع القوى الانسانيّة و الحيوانيّة الّتى هى اثقالها و تتخلّى منها.

و لمّا كان العالم الصّغير انموذجاً من الكبير كان كلّما وقع فيه وقع فى الكبير ايضاً فيظهر انشقاق سماء العالم الكبير و انكدر كواكبها و انتثارها و اندكاك الجبال و غير ذلك.

[وَ اَذِنَتْ لِرَبِّهٰا] اى سمعت و انقادت [وَ حُقَّتْ] بالاستماع و الانقياد لانّها مفطورة على ذلك حقّ لك ان تفعل كذا و حَقَقْتَ ان تفعل كذا، مبنيّاً للفاعل و مبنيّاً للمفعول بمعنىً فانّه لازم و متعدٍّ اى حقّت بان تنقاد.

[وَ اِذَا الْاَرْضُ مُدَّتْ] اى بسطت بخروج ما به جمعها و قبضها من الرّوح الانسانيّة و باندكاك جبال العالم الكبير و تسطيح آكامها و تلالها و وهادها.

[وَ اَلْقَتْ مٰا فيهٰا] من القوى الموجودة المشهودة و المكمونة فى الكبير و الصّغير [وَ تَخَلَّتْ] من جميعها فانّ المتّصل بالملكوت يرى الملك خالياً من جميع مايراه المحجوب فى الارض الصّغيرة و الكبيرة.

[وَ اَذِنَتْ لِرَبِّهٰا] فى ذلك [وَ حُقَّتْ] و جواب اذا محذوف اى يلقى الانسان ربّه او عمله.

[يٰا اَيُّهَا الْاِنْسٰانُ] أتى بالنّداء ههنا تنبيهاً للانسان عن غفلته فانّ الكدح محسوس له و مشهود ان لم يكن غافلاً و الجملة مع النّداء جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل ينتهى بالانسان الى ماذكر؟ـ فقال: انت غافل عن نفسك و حركاتها فتنبّه حتّى تعلم.

[اِنَّكَ كٰادِحٌ] اى ساعٍ بالجهد و الجدّ [اِلٰى رَبِّكَ] او انّك كادحٌ بالجدّ الى انشقاق السّماء و تخلّى الارض ذاهبٌ الى ربّك مجاوزاً عن ذلك [كَدْحًا فَمُلٰاقيهِ فَأَمّٰا مَنْ اُوتِىَ] تفصيل لكيفيّة ملاقاته [كِتٰابَهُ بِيَمينِهِ] بـان يكون فعليّته فعليّته الهيّةً و يكون نفسه و قواها و بدنه و ما فيه بـتصرّف فعليّته الالهيّة فانّه يعبّر عن فعليّته الالهيّة الاخيرة باليمنى.

[فَسَوْفَ يُحٰاسَبُ حِسٰابًا يَسيراً] لفظة سوف للتّأكيد او للتّسويف فانّ مقام المحاسبة بعد مقام ايتاء الكتاب فانّ اوّل ايتاء الكتاب يكون فى الدّنيا ثمّ عند الموت ثمّ فى البرازخ ثمّ فى الاعراف و القيامة.

[وَ يَنْقَلِبُ اِلٰى اَهْلِهِ]اى الى من ينبغى ان يكون اهلاً له [مَسْرُوراً وَ اَمّٰا مَنْ اُوتِىَ كِتٰابَهُ وَرٰاءَ ظَهْرِهِ] بيده الّتى هى فعليّته الّشيطانيّه او الحيوانيّة الّسبعيّة او البهيميّة فانّه قد يعبّر عن تلك الفعليّة بخلف الانسان و ورائه لانّها خلف الانسانيّة فانّ الانسانيّة هـى الّلـطيفة المـقبلة عـلى الله المدبرة عن الّشيطنة و الحيوانيّة و قد يعبّر عنها بالّشمال كـما يـعبّر عـن فعليّته الالهيّة باليمين.

[فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا] بقوله: ياثبوراه، ياهلاكاه ائت فانّه قد حضر

وقتك [وَ يَصْلٰى] اى يدخل [سَعِيرًا] يتقاسى حرّها [اِنَّهُ كٰانَ فِي اَهْلِهِ مَسْرُورًا] فى الدّنيا من غيرغمٍّ لاخرته و من غير حزنٍ على العمل لاجلها.

[اِنَّهُ ظَنَّ اَنْ لَنْ يَحُورَ] هذه و سابقتها جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل يعنى كان مسروراً لانّه كان يظنّ ان لايرجع الى الله او الى الاخرة [بَلٰى] ردّ له عن اعتقاد عدم الرّجوع اى بلى يرجع [اِنَّ رَبَّهُ كٰانَ بِهِ بَصِيرًا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل او فى مقام بيان حالهم، او بيانٌ و تفصيلٌ للاجمال المستفاد من بلى.

[فَلاٰاُقْسِمُ بِالشَّفَقِ] قد مضى بيانٌ للاقسم، و الّشفق الحمرة فى الافق من الغروب الى العشاء الاخرة، او المراد به النّوريّة الباقية من النّفس الانسانيّة بعد غروبها فى البدن، او فى المرتبة الحيوانيّة.

[وَ اللَّيْلِ وَ مٰاوَسَقَ] اى ما جمع فانّ النّهار كان سبباً للنّشور و اللّيل للجمع و الّسكون، و كذلك ليل بدن الانسان يجمع المتضادّات و يؤلّف المتخالفات.

[وَ الْقَمَرِ اِذَا اتَّسَقَ] انتظم و تكامل فى نوره، و هكذا قمر القلب اذا تكامل [لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ] اى مرتبةً مجاوزةً عن مرتبةٍ اى بعد مرتبةٍ من مراتب الاخرة يعنى انتم فى ركوب المراتب الاخرويّة فى الدّنيا ولكنّكم غافلون منه، او حالاً بعد حالٍ لورود الاحوال المختلفة عليكم، او لتركبنّ سنن من كان قبلكم مطابقين لهم بعد جمعٍ آخر مطابقين لهم، او بعد حالٍ اخرى مطابقةٍ لحالهم كمافى كثيرٍ من الاخبار، و فى بعضها: لتسلكنّ سبيل من كان قبلكم من الامم فى الغدر فى الاوصياء بعد الانبياءعليهم‌السلام و فى بعضها، او لم تركب هذه الامّة بعد نبيّهاصلى‌الله‌عليه‌وآله طبقاً عن طبق فى امر المنافقين.

و الطّبق محرّكة غطاء كلّ شيءٍ و من كلّ شيءٍ ما ساواه، و من النّاس و الجراد الكثير او الجماعة منهم، و بمعنى الحال.

[فَمٰالَهُمْ] اى ایّ نفعٍ لهم؟ او ایّ مانعٍ لهم؟ او ایّ حالٍ لهم؟ ألهم الجنون؟ او العقل؟

[لاٰ يُؤْمِنُونَ] جملة حاليّة او مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ فی مقام التّعليل، او فی مقام بيان حالهم، او لفظة ما نافية و المعنى فليس لهم شیءٌ من المنافع، او ليس لهم منافع، و جملة لايؤمنون مثل الّسابق و المراد بعدم الايمان عدم الايمان بالله او بالرّسالة او بالولاية.

[وَ اِذٰا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْاٰنُ لاٰ يَسْجُدُونَ] لايخضعون لله، روى انّ النّبیّ ﷺ قرأ ذات يوم و اسجد و اقترب، فسجد هو و من معه من المؤمنين، و قريش تصفق فوق رؤسهم و تصفر.

فنزلت: [بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ وَ اللهُ اَعْلَمُ بِمٰا يُوعُونَ] اى بما يضمرون فی قلوبهم او بما يجمعون فی نفوسهم من نتائج اعمالهم [فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ اَلِيمٍ اِلاَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا] استثناءٌ منقطع او متّصل و المعنى الاّ الّذين آمنوا بعد منهم فيكون الماضی بعد الموصول بمعنى المضارع.

[وَ عَمِلُوا الصّاٰلِحٰاتِ لَهُمْ اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ] اى غير مقطوعٍ او غير ممنونٍ به عليهم.

سُورَة البُروج

مكّيّة، اثنتان و عشرون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَ السَّمٰاءِ ذٰاتِ الْبُرُوجِ] الاثنى عشر، او المراد سماء روح الانسان الّتى هى ذات مراتب و درجاتٍ.

[وَ الْيَوْمِ الْمَوْعَوْدِ] الّذى هو القيامة الكبرى للرّوح الانسانيّة الّتى لاتكون الّا بالفناء التّامّ.

[وَ شٰاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ] نكّرهما للاشعار بانّ الّشاهد لمقام الاحديّة لايمكن معرفته، و المشهود الّذى هو مقام الاحديّة ايضاً لايعرف و قد فسّر الشّاهد بيوم الجمعة و المشهود بيوم عرفة، او بيوم القيامة.

و فسّر الشّاهد بمحمّدٍ ﷺ و المشهود بيوم القيامة و فسّرا بالنّبىّ ﷺ و امير المؤمنين عليه السلام، و بالملك و يوم القيامة، و بنبىّ كلّ زمانٍ و امّته، و بمحمّدٍ ﷺ و جميع الخلق، و بهذه الامّة و سائر الامم، و باعضاء بنى آدم و انفسهم، و بالحجر الاسود و الحجّاج، و بالايّام و بنى آدم، و بالانبياء و محمّدٍ ﷺ، و بالله و لا اله الّا الله، و بالخلق و الحقّ.

[قُتِلَ اَصْحٰابُ الْاُ خْدُودِ]جواب للقسم او جملة دعائيّة معترضة بين القسم و جوابه او خبريّة معترضة و اخبار عن حال الكفّار الّذين احرقوا المؤمنين او اخبار عن حال المؤمنين الّذين احرقوا فى الاخدود.

ذكر حكاية اصحاب الاخدود

و ذكر حكاية اصحاب الاخـدود فـى روايـات الخـاصّة و العـامّة باختلاف.

فانّه روى عن رسول الله ﷺ انّه

كان ملك و كان له ساحر فلمّا مرض الّساحر قال: ادفع الّـى غـلاماً اعلّمه الّسحر، فدفع اليه غلاماً و كان بينه و بين الّساحر راهب فمرّ الغـلام بالرّاهب فافتتن به فبنيما هو كذلك قد حبس النّاس حيّة.

فقال: اليوم اعلم امر الّساحر و الرّاهب فأخذ حجراً فقال: اللّهمّ ان كان امر الرّاهب احبّ اليك فاقتل هذه الحيّة فقتلها.

و مضى النّاس فأخبر بذلك الرّاهب، فقال: يا بنيّ انّك ستبتلى فلاتدلّ عليّ، و جعل يداوى النّاس و يبرء الا كمه و الابرص فعمى جليس الملك فاتاه و حمل اليه مالاً كثيراً فقال: اشفنى و لك ماهها.

فقال: انّ الله يشفى فان امنت بالله دعوت الله فامن فدعا الله فشفاه، فجلس الى الملك فقال: من شفاك؟ـ قال: ربّى، قال: انا؟

قال: لا، ربّى و ربّك الله، فأخذه و لم يزل به حتّى دلّه على الغلام.

فأخذه فلم يزل به حتّى دلّه على الرّاهب، فوضع المنشار عليه فنشره شقّين و قال للغلام: ارجع عن دينك، فأبى.

فأمر ان يصعدوا به الى جبل كذا فان رجع و الّا يدهدهوه، ففعل بـه، فلمّا صعدوا به الجبل قال: اللّهمّ اكفنيهم، فكفاه الله و اهلكهم.

فرجع الى الملك و قال: كفانيهم الله، فقال: اذهبوا به فأغـرقوه فـى

البحر، فكفاه الله تعالى و اغرقهم، فجاء الى الملك و قال: كفانيهم الله.

و قال: انّك لست بقاتلى حتّى تفعل بى ما آمرك، اجمع النّاس ثمّ اصلبنى على جذعٍ ثمّ خذ سهماً من كنانتى ثمّ ضعه على كبد القوس.

ثمّ قل: باسم ربّ الغلام فانّك ستقتلنى، ففعل به ما قال فوقع الّسهم فى صدغه و مات.

فقال النّاس: آمنّا بربّ الغلام، فقيل له: أرأيت ما كنت تخاف قد نزل بك: آمن النّاس بربّ الغلام فأمر بالاخدود فخدّت على افواه الّسكك ثمّ اضرمها ناراً فقال: من رجع عن دينه فدعوه، و من ابى فأقمحموه فيها، و جاءت امرأة بابنٍ لها فقال لها يا امّه اصبرى فانّك على الحقّ، فلمّا رأى النّاس ذلك اشتدّ ثبات المؤمنين و شوق سائر النّاس الى دين الغلام.

و نسب الى امير المؤمنين عليه السلام انّ ملكاً سكر فوقع على ابنته او قال على اخته، فلمّا افاق قال لها: كيف المخرج ممّا وقعت فيه؟

ـ قالت: تجمع اهل مملكتك و تخيرهم أنّك ترى نكاح البنات و تأمرهم ان يحلّوه، فجمعهم فأخبرهم، فأبوا يتابعوه فخدّلهم اخدوداً فى الارض و او قد فيه النّيران و عرضهم عليها، فمن أبى قذفه فى النّار و من اجاب خلّى سبيله.

و نسب الى امير المؤمنين عليه السلام انّ الله بعث رجلاً حبشيّاً نبيّاً فكذّبوه قومه فقاتلهم فقتلوا اصحابه و اسروه ثمّ بنواله حيّزاً ثمّ ملاؤه ناراً ثمّ جمعوا النّاس و قالوا: من كان على ديننا و امرنا فليعتزل، و من كان على دين هؤلاء فليرم نفسه فى النّار معه، فجعل اصحابه يتهافتون فى النّار فجاءت امرأة و معها صبىّ ابن شهرٍ فتكلّم الصّبىّ كماسبق.

و روى عن علىٍّ عليه السلام ايضاً: انّ اصحاب الاخدود كانوا عشرة و على مثالهم عشرة يقتلون فى هذا الّسوق يعنى سوق الكوفة، و قيل انّ يوسف بن ذى نواس الحميرىّ سمع انّ بنجران اليمن جمعاً على دين عيسى عليه السلام فسار اليهم و حملهم على التّهوّد فأبوا فخدّ لهم فى الارض و او قد و عرضهم عليها، فمن رجع على دين عيسى سلم و من لم يرجع كان يلقى فى النّار.

و اذاً امرأة جاءت مع ابنٍ لها فتكلّم الصّبىّ كما سبق، و اصحاب الاخدود على التّأويل من دخل فى اخاديد الطّبع و ابتلى بنار شهوات النّفس و غضباتها و اهلك عن الفطرة الانسانيّة.

[اَلنّارِ] بدل من الاخدود بدل الاشتمال [ذاتِ الْوَقُودِ] التّوصيف بذات الوقود اشارة الى كثرة الحطب و ادامة يقادها [اِذْهُمْ] اى الملك و اصحابه [عَلَيْها قُعُودٌ] قيل: كانوا على كراسىّ حول النّار و يعذّبون المؤمنين.

[وَ هُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنينَ شُهُودٌ] حاضرون على تعذيبهم [وَ ما نَقَمُوا مِنْهُمْ] اى ما كافؤا منهم او ما انكروا او ما كرهوا [اِلاّ اَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزيزِ الْحَميدِ] و قد مضى نظير الاية فى سورة المائدة و التّوبة.

[الَّذى لَهُ مُلْكُ السَّمواتِ وَ الْاَرْضِ] اى مملكة الّسماوات و الارض او ملكها الّذى يكون فى الانظار مستقّلاً بالوجود و متأبيّاً عن المملوكيّة فكيف بملكوتهما.

[وَ اللهُ عَلى كُلِّ شَیْءٍ شَهيدٌ] فضلاً عن مالكيّته و شهوده على كلّ شىءٍ نحو شهود النّفس على صورها الادراكيّة فيكون مالكيّته ايضاً نحو مالكيّة النّفس لصورها الّذهنيّة.

[اِنَّ الَّذينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنينَ وَ الْمُؤْمِناتِ] بالايذاء من غير استحقاقٍ او بالايذاء مطلقاً [ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ] اعاذنا الله منه [وَ لَهُمْ عَذابُ الْحَريقِ] الحريق اسم للاحتراق بمعنى انّ لهم عذاباً مسبّباً عن الاحتراق، او عذاباً هو الاحتراق و المقصود انّ لهم فى جهنّم عذاب الحيّات و العقارب و الحميم و الزّقّوم، و لهم عذاب الاحتراق، او المراد بالّذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات اصحاب الاخدود و المراد بعذاب الحريق احتراقهم بنار الاخدود.

فانّه كما نقل بعد ما القوا المؤمنين فى النّار كان المؤمنون يدخلون الجنّة من غير احساس الم النّار و انقلب النّار على الكفّار فأحرقتهم.

[اِنَّ الَّذينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن حال المؤمنين [لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهارُ] قد مضى بيان جريان الانهار من تحت الجنّات فى آخر سورة آل‌عمران عند قوله فالّذين هاجروا و اخروجوا.

[ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبيرُ اِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ] يا محمّد ﷺ او من يتأتّى منه الخطاب [لَشَديدٌ] الجملة فى مقام التّعليل لعذاب الكافرين و نعيم المؤمنين، و الاتيان بالبطش و الحكم عليه بالشّدّة اشعار بشدّة العذاب فانّ البطش هو الاخذ بالعنف و السطوة.

[اِنَّهُ هُوَ يُبْدِءُ وَ يُعيدُ] تعليل لشدّة بطشه فانّ البطش ممّن بيده اعادة الشّىء و ابداؤه يكون شديداً بالنّسبة اليه.

[وَ هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ] لاغفور الّاهو، و لاودود لاآهو، فيكون مغفرته و وداده بالنّسبة الى مستحقّهما فوق ما يتصوّر، جمع بين القهر و

اللّطف و الوعيد و الوعد كما هو ديدنه و ديدن خلفائه.

[ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ] قرئ بالرّفع و بالجرّ، و العرش جميع ما سواه فله العظمة و المالكيّة لجميع ما سواه فله اعطاء ما يريد.

[فَعّالٌ لِما يُرِيدُ] من غير مانعٍ و عجزٍ و قد مضى فى سورة البقرة عند قوله: و لكّن الله يفعل ما يريد بيانٌ تامٌّ لقوله: فعّال لما يريد [هَلْ اَتيٰكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ] استفهام للتّقرير و جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ.

كأنّه قيل: هل على وعده و وعيده دليل ممّا مضى؟

ـ فقال: الدّليل على ذلك حكايات الجنود الّذين تجنّدوا على انبيائهم فيما سلف و قد سمعت حكاياتهم و ما فعل بالكفّار منهم و ما اكرم به المؤمنين منهم.

[فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ] اطلق اسم الرّئيس على الجماعة مجازاً او قدّر جنود فرعون و ثمود يعنى قد سمعت ذلك فانظر ماذا فعل بالكفّار منهم و ماذا فعل بالمؤمنين حتّى تكون على يقينٍ بوعيده و وعده.

[بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ] يعنى ليسوا لم يسمعوا حكايات الجنود بل لاشأن لهم سوى شأن التّكذيب، و من كان كذلك لورأوا جميع ما فعل بالكفّار الماضين و المؤمنين ما اقرّوا و لاصدّقوا لعدم شأنٍ لهم سوى التّكذيب، لانّهم محجوبون عن دار العلم و التّصديق و لذلك يكذّبونك و يكذّبون كتابك.

[وَ اللّهُ مِنْ وَرٰائِهِمْ مُحِيطٌ] اى من خلفهم فانّهم نا كسون رؤسهم و مدبرون عن الله و لمّا كان احاطة الله من ورائهم لم يكونوا يشاهدونه و يشاهدون احاطته، و لمّا استفيد من قول بل الّذين كفروا فى تكذيبٍ

تكذيبهم لمحمّدٍ ﷺ و رسالته و كتابه قال: ليس تكذيبهم لك و لكتابك عن برهانٍ و فى محلّه لانّ كتابك ليس بكاذبٍ.

[بَلْ هُوَ قُرْآنٌ] مجموعٌ فى بساطته و وحدته [مَجِيدٌ] ذو مجدٍ و شأنٍ [فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ] عن ايدى المحجوبين، او عن التّغيّر و التّبدّل، او عن مسيس الشّياطين، او عن اختلاق المختلقين، و قرئ محفوظٌ بالرّفع و الجرّ و المعنى واحدٌ و المراد باللّوح المحفوظ النّفوس الكلّيّة او العقول الكلّيّة.

فانّها بوجهٍ كتب و الواحٌ او صدور الرّاسخين فى العلم من صدر محمّد ﷺ و اوصيائه ﷺ، و هذا اللّوح هو امّ الكتاب و منه نسخ جميع الكتب.

سُورَة الطّارق

سبع عشرة آيةً، مكّيّةٌ.

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَ السَّمٰاءِ وَ الطّٰارِقِ] اقسم بالّسماء و بالكواكب او بكوكب الصّبح و عظّم شأن الكوكب.

فقال: [وَ مٰا اَدْريٰكَ مَا الطّٰارِقُ] و اجاب بعد تفخيمه بالاستفهام التّعجيبىّ.

فقال [النَّجْمُ الثّٰاقِبُ] اى المضىء او الثّاقب للأفلاك بضوئه.

روى عن الصّادق عليه السلام انّه قال لرجلٍ من اهل اليمن: ما زحل عندكم فى النّجوم؟ـ فقال: اليمانىّ نجم نحس، فقال عليه السلام: لاتقولنّ هذا فانّه نجم امير المؤمنين عليه السلام و هو نجم الاوصياء عليهم السلام و هو النّجم الثّاقب الّذى فى كتابه فقال له اليمانىّ: فما يعنى بالثّاقب؟ـ قال: لانّ مطلعه فى الّسماء الّسابعة و انّه ثقب بضوئه حتّى اضاء فى الّسماء الدّنيا، فمن ثمّ سمّاه الله النّجم الثّاقب

[اِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّٰا عَلَيْهٰا حٰافِظٌ]قرئ لما بالتّخفيف فان مخفّفة من الثّقيلة و اللّام فارقة و ما مزيدة، و قرئ لمّا بالتّشديد فان نافية و لمّا استثنائيّة و يحتمل وجوه اخر ضعيفة ممّا مضى فى سورة هودٍ فى بيان قوله تعالى: و ان كّلا لمّا ليوفّينّهم ربّك اعمالهم فلينظر اى اذا كان على على كلّ نفسٍ حافظ من الله يحفظ عليه اعماله.

[فَلْيَنْظُرِ الاِنسٰانُ مِمَّ خُلِقَ] اى فلينظر الى مادّته و انّها كانت اضعف موجود و اخسّه حتّى يعلم انّ له خالقاً قادراً عليماً حكيماً، و يعلم انّ خالقه يقدر على اعادته فيعمل لحال اعادته [خُلِقَ مِنْ مٰاءٍ دٰافِقٍ] دفق

الماء صبّه بقوّة فادّافق بمعنى المدفوق، او المعنى ماء دافع بقوّة الرّطوبات البلّيّة البدنيّة بالتّبخير و التّعريق، و قيل: استعمل دفق الماء لازماً فيكون الدّافق بمعنى المنصبّ بقوّةٍ.

[يَخرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرٰائِبِ] الصّلب بالضّمّ و الصّلب بالتّحريك العظم الّذى من لدن الكاهل الى العُجب، و التّرائب عظام الصّدر او ما ولى التّرقوتين منه، او ما بين الثّديين و التّرقوتين، او اربع اضلاعٍ من يمنة الصّدر و اربع من يسرته، او اليدان و الرّجلان و العينان، او موضع القلادة.

اعلم، انّ التّحقيق كما عليه معظم الحكماء انّ النّطفة فضلة الهضم الرّابع و هى تفضل فى جميع البدن و تنزل الى البيضتين فهى تخرج من جميع اجزاء البدن لااختصاص لها بالصّلب و التّرائب، لكن لمّا كان الكليتان ادخل فى اصلاح النّطفة فى الرّجل و الثّديان فى المرأة قال يخرج من بين صلب الرّجل و بين ترائب المرأة.

او المقصود انّ النّطفة تخرج من اجواف الرّجل و المرأة و هى محلّ كثافات البدن، او المنظور انّ الصّلب و التّرائب فى الرّجل و المرأة ادخل فى اصلاح النّطفة فكأنّه تخرج النّطفة من بين صلب الرّجل و من بين ترائبه، و من بين صلب المرأة و من بين ترائبها.

[اِنَّهُ عَلٰى رَجْعِهِ لَقٰادِرٌ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: اذا كان خلقه من ماءٍ ضعيفٍ قذرٍ فهل يقدر على رجوعه؟

ـ فقال: انّه على رجعه لقادر [يَوْمَ تُبْلَى السَّرٰائِرُ] اى تختبر كلّ سريرةٍ هل هى خالصة او مغشوشة؟

و المراد بالّسرائر امّا الاعمال القالبيّة فانّها سرائر من حيث الخلوص و

الّشوب، و من حيث المبادى و الغايات، او الفعليّات الحاصلة للنّفس منها، او النّيّات، او مكمونات النّفس الّتى لايعلمها صاحبوا النّفوس، و الظّرف متعلّق بقادر دون رجعه للفصل بينه و بينه بالاجنبّى، او متعلّق بمحذوفٍ بقرينة.

قوله [فَمٰالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لاٰناٰصِرٍ] يعنى لم يكن له فى ذلك اليوم قوّة يدفع بها عن نفسه العذاب، و لاناصر ينصره مـن بأس الله [وَ السَّمٰاءِ ذٰاتِ الرَّجْعِ]اى ذات الرّجوع الى وصفه الاوّل فانّها ليست فى وضع الاّ و ترجع اليه فى ثانى الحال، او ذات المطر، او ذات الّشمس و القمر و النّجوم فانّها فى الرّجع دائماً او ذات الخير الدّائم فانّها ترجع به على الاتّصال على اهل العالم.

[وَ الْاَرْضِ ذٰاتِ الصَّدْعِ] بالنّبات و الاشجار [اِنَّهُ لَقُولٌ فَصْلٌ] اى القرآن اوامر الرّسالة اوامر الولاية او الرّسول ﷺ او علىّ عليه السلام قولٌ فاصلٌ بين الحقّ و الباطل، او المحقّ و المبطل، او القول بـالبعث و الجـزاء قـولٌ مقطوع به [وَ مٰا هُوَ بِالْهَزْلِ] اى هو جدّ و ليس مزاحاً.

[اِنَّهُمْ يَكيدُونَ كَيْداً]عظيماً و الجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنه قيل: فما يفعل هؤلاء بالنّسبة الى هذا القول؟ـ [وَ اَكيدُ كَيْدًا] عظيماً فاذا كنت اكيد كيداً عظيماً بهم. [فَمَهِّلِ الْكٰافِرينَ]وضع الظّاهر موضع المضمر لتفضيحهم[اَمْهِلْهُمْ] تأكيد لمهّل، و الاتيان بمهّل و تأكيده بأمهل للاشعار بتعمّله ﷺ فى امهالهم[رُوَيْدًا] مفعولٌ مطلقٌ نوعىّ من غير لفظ الفعل و المعنى امهلهم امهالاً يسيراً.

سُورَة الاعلى

مكّيّة، و قيل: مدنيّة، تسع عشرة آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْاَعْلٰى] الا على صفة للاسم او لربّك، و الرّبّ تطلق على النّفس الانسانيّة الّتى تربّى البدن، و على العقل الّذى يربّى النّفس و البدن، و على ولىّ الامر الّذى يربّى النّاس بحسب الظّاهر او الباطن، و هو الرّبّ فى الولاية، و على ربّ الارباب و ليس المراد باسم الرّبّ اسمه اللّفظىّ بل اسمه العينىّ و اسماؤه العينيّة ذات مراتب من مراتب اللّطيفة الانسانيّة و مراتب الانبياء و الاوصياء عليهم السلام.

و من مراتب العقول و النّفوس و سائر الموجودات و اعلى اسمائه الاسم الجامع الّذى يعبّر عنه بالمشيّة، و اعلى اربابه المطلق هو ربّ الارباب، و اعلى اربابه المضاف سائر مراتب اربابه، و قد سبق مكرّراً انّ المراد بالتّسبيح سواء كان متعلّقاً بالله او بالرّبّ او باسم الرّبّ تنزيه اللّطيفة الانسانيّة عن التّدنّس بالادناس الحيوانيّة و الشّيطانيّة فانّها ربّ بوجهٍ و مظهرلله فكانت هى الله بوجهٍ و اسماً لله و للرّبّ بوجهٍ.

[الَّذى خَلَقَ] صفة للرّبّ او لاسم الرّبّ فانّ اسماءه العينيّة وسائط خلقه و خالقون باذنه [فَسَوّىٰ] فجعل جميع اعضائه و اجزائه على ما ينبغى [وَ الَّذي قَدَّرَ] لكلّ شيءٍ كمالاً خاصّاً و غايةً مخصوصةً.

[فَهَدٰى] اى هداه الى ذلك الكمال و تلك الغاية هدايةً تكوينيّةً فى جميع الاشياء و هدايةً اختياريّةً تكليفيّةً فى الانسان و بنى الجانّ [وَ الَّذى

اَخْرَجَ الْمَرْعٰى] فى العالم الكبير و الصّغير يعنى بعد ما هدى الاشياء الى كمالاتها و غاياتها هيّأ لها اسباب بلوغها الى ذلك باخراج المرعى اى الاشجار و النّباتات الّتى بها يتعيّش الانسان و سائر الحيوان و اخراج جميع القوى و الاهوية المكمونة فى الانسان.

[فَجَعَلَهُ غُثٰاءً] اى هشيماً كالغثاء الّذى تراه فوق الّسيل، و الغثاء كغرابٍ القمش و الزّبد و البالى من ورق الّشجر المخالط زبد الّسيل [اَحْوٰى] اسود لانّ الكلأ يسودّا اذا يبس فى الاغلب، و هذا تمثيل للحيوة الدّنيا و اخراج القوى و المدارك و الاهوية و يبسها بالموت الاختياريّ او الاضطراريّ و لذلك قال تعالى خطاباً لمحمّدٍ ﷺ و لمن يتأتّى منه الخطاب بعد ذكر جفاف المرعى.

[سَنُقْرِئُكَ] يعنى بعد جفاف مرعى القوى و المدارك بالموت الاختيارى البتّة نقرئك او عن قريبٍ نقرئك آيات الاحكام القالبيّة و الحكم القلبيّة.

[فَلاٰ تَنْسٰى] بعده لانّ الباعث للنّسيان الخروج من دار الّذكر، و سبب الخروج من دار الّذكر ليس الّا القوى و المدارك و مشتهياتها، و اذا جعلناها يابسةً حواء لميكن باعث للخروج من دار الّذكر فلم يكن نسيان.

[اِلاّٰ مٰاشٰاءَ اللّٰهُ] استثناء مفرّغ من قوله سنقرئك، او من قوله فلاتنسى اى سنقرئك جميع ما يمكن ان نقرئك الّا ماشاءالله او فلاتنسى شيئاً منها الّا ماشاءالله فانّك بحسب بشريّتك و مرتبةٍ منك واقع فى دار النّسيان فيقع منك نسيانٌ ما بمشيّة الله.

[اِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ مٰا يَخْفٰى] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ و تعليل قوله: سبّح يعنى سبّح اسم ربّك بقولك المجهور و المخفىّ او بأعمالك الظّاهرة و

الباطنة لانّ الله يعلم الجهر و المخفىّ، او جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ ناشٍ عن قوله فلاتنسى الّا ماشاءالله.

كأنّه قيل: هل يعلم الله تذكّر العباد و نسيانهم؟ـ فقال: انّه يعلم المذكور الّذى كان ظاهراً على الخيال و المنسىّ الّذى كان مخفيّاً عنه، او يعلم مطلق الظّاهر و المخفىّ و منهما المذكور و المنسىّ، او جواب سؤالٍ ناشٍ من قوله: و الّذى اخرج المرعى بناءً على تعميم المرعى للقوى و المدارك و الاهوية الانسانيّة كأنّه قيل: هل يعلم الله مخفيّات الانسان و مكموناته حتّى يخرجها؟

ـ فقال: انّه يعلم الظّاهر من اقواله و افعاله و احواله و اخلاقه و المخفىّ منها، و لكون هذا جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ عدل عن التّكلّم الى الغيبة.

[وَ نُيَسِّرُكَ] اى نليّنك و نسّهل حالتك [لِ] لجهةا [لْيُسْرٰى] و هى جهة الكثرات فانّك كنت منزجراً عن الكثرات فارّاً منها منقبضاً عنها، و بعد اخراج مرعى وجودك و جعله غثاءً تأنس بالكثرات نحو انسك بالله فانّك تراها مظاهر لله تعالى فيسهل عليك التّوجّه اليها و المحادثة معها، و قيل فيه غير ذلك فاذا صرت ليّن الجانب بالنّسبة الى الكثرات.

[فَذَكِّرْ] الخلق بالله و باحكامه و بالمعاد و جنّته و ناره لتكميلهم.

[اِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرٰى] قيل: شرط للتّذكير يعنى ان لم ينفع فلا تذكّر، و هذا منافٍ لتعميم دعوته، و قيل: المعنى ان نفعت الّذكرى و ان لم تنفع، و قيل: ان بمعنى قد، و قيل: قال تعالى ذلك بعد ما عمّهم بالتّذكير و لزمت الحجّة، و قيل: استبعاد لنفعهم بالّذكرى.

[سَيَذَّكَّرُ] بالله و جنّته و ناره [مَنْ يَخْشٰى] من كان فيه حالة العلم

و حالة الخشية [وَ يَتَجَنَّبُهَا الْاَشْقَى] ای اشقی الکفّار او اشقی العصاة فانّ للکفر و العصیان درجاتٍ، و الاشقی منهم یبالغ فی اجتناب الذّکری بخلاف غیره فانّه یسمع قلیلاً و یجتنب.

و لذلک قال [اَلَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرٰى] فانّ غیره یصلی النّار الوسطی و الصّغری [ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا] فیستریح [وَ لَا يَحْيٰى] حیاة ینتفع بها فیتعیّش فیها.

[قَدْ اَفْلَحَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [مَنْ تَزَكّٰى] ای تطهّر او نما، اوادیّ زکوة ماله [وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ] ای اجری علی لسانه اسم ربّه المضاف و هو ربّه فی الولایة و هو الرّسول او خلیفته.

[فَصَلّٰى] علیهای قال اللّهم صلّ علیه، او قال صلوات الله علیه، او تذکّر اسم ربّه المطلق اسمه النّقشیّ القلبیّ، او اسمه المثالیّ الخیالیّ، او اسمه العینیّ، فصلّی علیه او الصّلوة الفریضة، او صلّی الصّلوة المطلقة، او توجّه الی جهة الغیب و استکمل بذلک، او ذکر اسم ربّه بالتّکبیرات الواردة قبل صلوة العیدین فصلّی صلوة العیدین، او ذکر اسم ربّه فی التّکبیرة الافتتاحیّة فعقد صلوته بها، او ذکر اسم ربّه بان جعل امامه نصب عینه فصلّی.

کماورد وقت تکبیرة الاحرام: تذکّر رسول الله ﷺ و اجعل واحداً من الائمّة نصب عینک [بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا] یعنی لکنّکم لاتفعلون ذلک بل تؤثرون الحیوة الدّنیا و تدعون الفلاح و الصّلوة.

[وَ الْاٰخِرَةُ خَيْرٌ] من الدّنیا یعنی علی زعمکم انّ الدّنیا لها حسن او بحسب الواقع فانّ الدّنیا باعتبار انّها مزرعة الاخرة کان لها محاسن عدیدة.

[وَ أَبْقٰى اِنَّ هٰذٰا] ای فلاح من تزكّی و ذكر اسم ربّه فصلّی، او كون الاخرة خيراً و أبقى [لَفِی الصُّحُفِ الْاُولٰى صُحُفِ اِبْرٰهِيمَ وَ مُوسٰى] عن ابی ذرٍّ رحمة الله انّه سأل رسول الله ﷺ كم انزل الله من كتابٍ؟ـ قال: مائة كتاب و اربعة كتب، فأنزل الله على شيث خمسين صحيفةً، و على ادريس ثلاثين صحيفةً، و على ابراهيم عشرين صحيفةً، فانزل التّوراة و الانجيل و الزّبور و الفرقان.

قال: قلت: يا رسول الله ﷺ و ما كان صحف ابراهيم عليه السلام ؟ـ قال: كانت امثالاً كلّها، و كان فيها: ايّها الملك المبتلى المغرور انّی لم ابعثك لتجمع الدّنيا بعضها الى بعضٍ و لكنّی بعثتك لتردّ عنّی دعوة المظلوم فانّی لااردّها و ان كانت من كافرٍ.

و على العاقل ما لم يكن مغلوباً ان يكون له ثلاث ساعاتٍ، ساعة يناجی ربّه، و ساعة يحاسب فيها نفسه، و ساعة يتفكّر فيما صنع الله عزّ و جلّ اليه، و ساعة يخلو فيها بحظّ نفسه من الحلال فانّ هذه الّساعة عون لتلك الّساعات، و استجمامٌ للقلوب و توديع لها، و على العاقل ان يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شانه، حافظاً للسانه.

فانّ من حسب كلامه من عمله قلّ كلامه الّا فيما يعنيه، و على العاقل ان يكون طالباً لثلاثٍ، مرمّةٍ لمعاش، و تزوّة لمعادٍ، و تلذّذٍ فی غير محرّم (الى ان قال) قلت: فهل فی ايدينا ممّا انزل الله عليك شیءٌ ممّا كان فی صحف ابراهيم عليه السلام و موسى عليه السلام ؟

ـ قال: يا اباذرّ اقرء: قد افح من تزكّی الى آخر الّسورة.

سُورَة الغاشية

ستّ و عشرون آيةً مكّيّة كلّها.

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[هَلْ اَتيٰكَ حَديثُ الْغٰاشِيَةِ] الاستفهام للتّقرير و الخطاب له ﷺ و المقصود تذكير غيره و الغاشية الدّاهيّة الّتى تعمّ افراد النّاس، او تعمّ جميع اعضاء الانسان و اجزائه، و المراد بها شدائد القيامة او نفس يوم القيامة او شدائد جهنّم.

[وَجُوهٌ يَوْ مَئِذٍ خٰاشِعَةٌ] ذليلة من العذاب [عٰامِلَةٌ نٰاصِبَةٌ] صفتان لوجوهٍ، او هما خبران بعد خبرٍ و المراد بالوجوه وجود الابدان او اشراف النّاس، و المعنى وجوه كانت فى الدّنيا عاملة اعمالاً يحسبون انّها حسنات لها و كانت ناصبةً فى اعمالها يومئذٍ خاشعة ذليلة لاينفعها عملها و نصبها فى عملها، لانّهم كانوا اصحاب آراءٍ و اهواءٍ، او المعنى وجوه يومئذ خاشعة عاملة فى جهنّم فانّهم يكلّفون ارتقاء جبلٍ من حديدٍ، او المعنى عاملة فى الدّنيا ناصبة فى الاخرة.

[تَصْلٰى نٰارًا حٰامِيَةً] فى غاية الحرارة بالنّسبة الى نار الدّنيا [تُسْقٰى مِنْ عَيْنٍ اٰنِيَةٍ] بالغة فى الحرارة غايتها.

[لَيْسَ لَهُمْ طَعٰامٌ اِلّاٰ مِنْ ضَريعٍ لاٰ يُسْمِنُ وَ لاٰ يُغْنى مِنْ جُوعٍ] و الضّريع شىءٌ فى جهنّم امرّ من الصّبر و انتن من الجيفة و احرّ من النّار، و الضّريع فى اللّغة نوع من الشّوك يقال له الشّبرق و هو اخبث طعامٍ و ابشعه لاترعاه دابّة، و نقل انّ الضّريع عرق اهل النّار و ما يخرج من فروج الزّوانى.

و عن النّبىّ ﷺ عن جبرئيل: لو انّ قطرة من الضّريع قطرت فى شراب اهل الدّنيا لمات اهلها من نتنها، و قال القمّىّ: هم الّذين خالفوا دين الله و صلّوا و صاموا و نصبوا لامير المؤمنين عليه السلام عملوا و نصبوا فلايقبل شىءٌ منهم من افعالهم و تصلى وجوههم ناراً حاميةً، و فى روايةٍ: كلّ من خالفكم و ان تعبّد و اجتهد فمنسوب الى هذه الاية: عاملة ناصبة (الاية).

و فى حديثٍ فى بيان قوله تعالى: هل أتاك حديث الغاشية يغشاهم القائم عليه السلام بالّسيف خاصّةً قال: لاتطيق الامتناع، عاملة قال: عملت بغير ما انزل الله، ناصبة قال: نصبت غير ولاة امر الله، تصلى ناراً حاميةً قال: تصلى نار الحرب فى الدّنيا على عهد القائم عليه السلام، و فى الاخرة نار جهنّم، و فى روايةٍ اخرى: الغاشية الّذين يغشون الامام لايسمن و لايغنى من جوعٍ قال: لاينفعهم الدّخول و لايغنيهم القعود.

[وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاعِمَةٌ] و هم اتباع امير المؤمنين عليه السلام [لِسَعْيِهٰا رٰاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عٰالِيَةٍ لاٰ تَسْمَعُ فِيهٰا لاٰغِيَةً] اللّغو و الّلاغية الّسقط و مالا يعتدّ به من كلامٍ و غيره، و كلمة لاغية فاحشة [فِيهٰا عَيْنٌ جٰارِيَةٌ] العين الجارية احسن و ابهى، و ماؤها اشهى من العين الواقفة، و ليس جريان عيون الجنّة فى الاخاديد بل هى بارادة مالكها كلّما اراد انجراها على ايّ مكانٍ شاء.

[فِيهٰا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ] قيل: انّها مرتفعة مالم يجئ اهلها، فاذا جاؤا تواضعت لهم حتّى يجلسوا عليها، فاذا جلسوا ارتفعت كما كانت [وَ أَكْوٰابٌ مَوْضُوعَةٌ] على حافّات العيون الجارية، و الكوب قدمرّ انّه كوز لاعروة له و لاخرطوم [وَ نَمٰارِقُ] جمع النّمرق و النّمرقة مثلّثة النّون الوسادة الصّغيرة.

[مَصْفُوفَةٌ] متّصلة بعضها ببعضٍ على هيئة مجالس الملوك [وَزَرٰابِيُّ] جمع الزّربيّ بالكسر و قد يضمّ النّمارق و البسط او كلّ ما بسط و اتّكئ عليه [مَبْثُوثَةٌ] مبسوطة.

[اَفَلا يَنْظُرُونَ اِلَى الْاِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ] لمّا وصف الله تعالى الجّنة و ما فيها كان ينبغى ان يشتاق النّفوس اليها و يسأل عمّا دلّ عليها و على بقاء النّفوس فيها، فقال تعالى جواباً عن هذا الّسؤال: ينبغى ان ينظروا الى الابل و عجائب خلقتها.

فانّ الله تعالى خلقها عظيمة الجثّة بحيث تحمل احمالاً ثقيلة، تبرك للحمل، و تنهض بالحمل، تتحمّل الجوع و العطش حتّى تقوى على قطع المفاوز البعيدة، منقادة للاطفال مع عظم جثّتها، طويلة العنق حتّى يتأتّى لها ان ترعى النّبات قائمة من غير حاجةٍ الى البروك ترعى كلّما تنبت من الارض حتّى يتأنّى لها البقاء فى كلّ صقعٍ من الارض.

[وَ اِلَى السَّمٰاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ] و فى رفعتها توليد المواليد و تعيّشها و بقاؤها فانّ الكلّ منوط بتأثير الكواكب و تأثير اشعّتها، و لو لاتلك الرّفعة لما اثّرت تلك التّأثيرات [وَ اِلَى الْجِبٰالِ كَيْفَ نُصِبَتْ] و فى نصبها تهيّة اسباب معاشكم من توليد المعادن فيها، و تسفيح سفحها، و تكوّن المياه تحتها و سهولة جريان العيون و القنوات منها.

[وِ اِلَى الْاَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ] و فى تسطيحها سهولة توليد المواليد و سهولة تعيّشكم [فَذَكِّرْ] يعنى اذا كان حال الكفّار كذا و حال المؤمنين كذا و الادلّة على ذلك كثيرة فذكّر المؤمنين ترغيباً فيما اعدّ الله لهم و الكافرين تحذيراً ممّا يبتلون به بسوء اعمالهم.

[اِنَّما اَنْتَ مُذَكِّرٌ] يعنى شأنك بحسب رسالتك التّذكير سمعوا ام لم يسمعوا [لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ] المسيطر بالّسن و الصّاد الرّقيب والحافظ المتسلّط، و قرئ بهما.

[اِلّا مَنْ تَوَلّىٰ وَ كَفَرَ] استثناء مفرّغ من قوله ذكّر او من قوله انّما انت مذكّر، او استثناء متّصل فى كلامٍ تامٍّ من قوله: لست عليهم بمصيطيرٍ اى لست متسلّطاً عليهم الّا على من تولّى و كفر يعنى لست مسلّطاً عليهم لابحسب ابدانهم فتقتلهم و تجبرهم على القبول و لابحسب ارواحهم فتتصرّف فيهم بحسب مرتبة رسالتك و تغيّرهم عمّاهم عليه الّا من تولّى فانّك بحسب رسالتك مسلّط علهى بحسب بدنه، فتقتله و تجبره على قبول التّذكير، او استثناءٌ منقطع كأنّه قال: لكن من تولّى و كفر.

[فَيُعَذِّبُهُ اللّٰهُ الْعَذٰابَ الْاَكْبَرَ] اى عذاب القتل و الاسر و النّهب على يدك فى الدّنيا و لاعذاب اكبر منه، او يعذّبه الله فى الاخرة العذاب الاكبر و هو العذاب فى النّار [اِنَّ اِلَيْنٰا اِيٰابَهُمْ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن حالهم فى الاخرة على المعنى الاوّل و فى مقام التّعليل على المعنى الثّانى.

[ثُمَّ اِنَّ عَلَيْنٰا حِسٰابَهُمْ] عن الباقر عليه السلام: اذا كان يوم القيامة و جمع الله الاوّلين و الاخرين لفصل الخطاب دُعىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله و دُعى امير المؤمنين عليه السلام فيُكسى رسول الله صلى الله عليه وآله حلّة خضراء تضيء ما بين المشرق و المغرب، و يكسى علىّ عليه السلام مثلها، و يكسى رسول الله صلى الله عليه وآله حلّة و رديّة و يكسى علىّ عليه السلام مثلها، ثمّ يصعد ان عندها ثمّ يدعىٰ بنا فيدفع الينا حساب النّاس، فنحن والله ندخل اهل الجنّة الجنّة و اهل النّار النّار.

و عن الكاظم عليه السلام: الينا اياب هذا الخلق و علينا حسابهم، فما كان لهم

من ذنبٍ بينهم و بين الله عزّ و جلّ حتمنا على الله فى تركه لنا فأجابنا الى ذلك، و ما كان بينهم و بين النّاس استوهبناه منهم و اجابوا الى ذلك و عوّضهم الله عزّ و جلّ.

و عن الصّادق عليه السلام: اذا كان يوم القيامة و كّلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سألناالله ان يهبه لنا فهو لهم، و ما كان لنا فهو لهم، و رزقناالله ذلك.

سُورَة والفجر

مكّيّة كلّها، اثنتان و ثلاثون او ثلاثون او تسع و عشرون آيةً.

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَ الْفَجْرِ] اقسم الله بالفجر و هو بياض الصّبح، او صلوة الصّبح مطلقاً، او فجرذى الحجّة او صلوته، او فجر يوم النّحر او صلوته، او اراد بالفجر النّهار كلّه مطلقا، او نهار الايّام المذكورة.

[وَ لَيالٍ عَشْرٍ] اى عشر ذى الحجّة، و قيل: هى العشر من آخر رمضان، و قيل: هى العشر الّتى اتمّ موسى عليه السلام بها ثلاثين.

[وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ] يعنى الزّوج و الفرد من العدد و المعدود كلّها، و قيل: الزّوج الخلق لانّ كّلاً من الخلق زوج تركيبيٌّ، و الوتر الله، و قيل: الشّفع و الوتر الرّكعتان من صلوة اللّيل، و الرّكعة الواحدة منها.

و قيل: الّشفع يوم النّحر لانّه يشفع بيوم النّفر الاوّل، و الوتر يوم عرفة لانّه ينفرد بالموقف، و قيل: الّشفع يوم التّروية، و الوتر يوم عرفة، و قيل: الّشفع يوم النّفر الاوّل، و الوتر يوم النّفر الثّانى.

و قيل: الّشفع علىّ عليه السلام و فاطمة عليها السلام، و الوتر محمّد صلى الله عليه و آله، و قيل: الّشفع الرّوح الانسانيّة المنضّمة الى البدن، و الوتر الرّوح المجرّدة عن البدن.

[وَ اللَّيْلِ اِذٰا يَسْرِ] قرئ بحذف الياء وصلاً و وقفاً اجراءً للوصل مجرى الوقف و توفيقاً للّفظ و المعنى، فانّ الّسير فى الاغلب لايتمّ فى اللّيل بل يمتدّ الى النّهار.

و قرئ باثبات الياء على الاصل، و قرئ بالتّنوين المبدل من حرف المدّ، و نسبة السّير الى اللّيل مجاز عقليّ و المعنى اذا يسرى فيه، او المراد القسم باللّيل اذا ادبر مثل و اللّيل اذا ادبر، او المراد القسم باللّيل اذا اقبل علينا، و لذلك عدل عن اذ الى اذا، و عن الماضى الى المستقبل، و المراد باللّيل مطلق اللّيل او ليل المزدلفة فانّه يسير الحاجّ فى اوّله من عرفات الى المزدلفة و فى آخره و اوّل نهاره من المزدلفة الى منى.

[هَلْ فِي ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ] استفهام تقريرىّ يعنى فى تلك الاقسام قسمٌ كافٍ لذى عقلٍ حقيرٍ او لذى عقل عظيم يعنى انّ صاحب العقل يعلم انّ هذه الاشياء الّتى اقسم بها الله اشياء عظيمة شريفة فيها دلالاتٌ بوجوه عديدة على علمه و حكمته و قدرته و عنايته تعالى بخلقه و ان كان غير ذى الحجر لايرى هذه الاقسام شيئاً.

[اَلَمْ تَرَ] هذا الخطاب لمحمّدٍ ﷺ او عامٌّ و هذا قرينة جواب القسم و التّقدير لنهلكنّ الّذين افسدوا فى الارض المتر [كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعٰادٍ] عاد اسم لقوم هود سُمّوا باسم ابيهم فانّ عاداً كان عادين، عداً الاولى، و عاداً الاخرى و قوله تعالى.

[اِرَمَ] كعنب اسم آخر لعاد، او هو اسم جدّ عادٍ، او هو اسم جّد عادٍ، او هو اسم سام بن نوح، فانّ عاداً كان ابن عوص بن آدم بن سام بن نوح عليه السلام، و قوم هود كانوا اولاد عاد سُمّوا باسم جدّهم و ابيهم، او هو اسم لقبيلة هود، و قيل: هو اسم لقبيلةٍ من قوم هودٍ كان الملك فيهم.

و قيل: هو اسم بلدٍ، و قيل: هودمشق، و قيل: هو مدينة الاسكندريّة، و قيل: هو اسم لجنّة شدّادٍ، و على ایّ تقديرٍ فهو بدل من عادٍ امّا بدل الكلّ

من الكلّ، او بدل الاشتمال، فانّه اذا كان اسماً للبلد فان اريد به اهله كان بدل الكلّ من الكلّ، و ان اريد به نفس البلد كان بدل الاشتمال.

[ذٰاتِ الْعِمٰادِ] العماد بالكسر الّشجعان من العسكر و الابنية الرّفيعة و العمود و الاخبية، و اهل العماد اهل الاخبية.

و قيل: سمّاهم الله ذات العماد لانّهم كانوا اهل الاخبية و كانوا سيّارين لرعى مواشيهم، و قيل: معناه ذات الطّول و الّشدّة، او كانوا اهل القصور الرّفيعة، او كان فيه شجعان قويّة.

وصف ارم ذات العماد

قيل: خرج رجلٌ يقال له عبدالله بن قلابة فى طلب ابلٍ له شردت، فبينا هو فى صحارى عدنٍ اذهو قد وقع على مدينةٍ عليها حصنٌ فلمّا دنى منها اظنّ انّ فيها احداً يسأله عن ابله فنزل عن دابّته و عقلها و سلّ سيفه و دخل الحصن.

فاذا هو بمدينةٍ لم يراحد مثلها، فيها قصور فوقها غرف و فوق الغرف غرف مبنيّة بالّذهب و الفضّة و اللّؤلؤ و الياقوت، و مصاريع تلك الغرف مثل مصراع المدينة مفروشة كلّها باللّئالى و بنادق من مسك و زعفران، فلمّا لم يرفيها احداً هاله ذلك و نظر فرأى اشجاراً فى ازقّتها مثمرةً و تحت الاشجار آنهاجارية من قنوات من فضّة.

فظنّ الرّجل انّها هى الجنّة الموصوفة فى القران فحمل معه من لؤلؤها و من بنادق المسك و الزّعفران، و لم يستطع ان يقلع من زبرجدها و ياقوتها و خرجع و رجع الى اليمن و اخبر النّاس فانتشر الخبر حتّى بلغ

معاوية خبره.

فأرسل اليه فقصّ عليه القصّة فأرسل معاوية الى كعب الاحبار فلمّا أتاه سأله عن ذلك فقال: اخبرك بتلك المدينة و بمن بناها، بناها شدّادبن عادٍ و المدينة ارم ذات العماد الّتى وصفها الله تعالى انّ عاداً الاولى اباقوم هودٍ كان له ابنان شدّاد و شديد.

فهلك عادٌ و بقيا و قهرا البلاد، فهلك شديد و بقى شدّاد مالكاً لجميع ملوك الارض، فدعته نفسه الى ان بنى مثل الجنّة الّتى وصفها الله لانبيائه عليهم السلام فأمر ببناء تلك المدينة و امّر على صنعتها مائة قهرمانٍ مع كلّ قهرمانٍ الف من الاعوان، و كتب الى ملوك الدّنيا ان يجمعوا له ما فى بلادهم من الجواهر و اقاموا فى بنائها مدّة طويلة ثمّ سار الملك اليها فى جنده و وزرائه فلمّا كان منها على مسيرة يومٍ بعث الله عليه و على من معه صيحةً من السّماء فأهلكتهم جميعاً.

و سيدخلها فى زمانك رجلٌ من المسلمين احمر اشقر قصيرٌ على حاجبه خالٌ و على عنقه خالٌ يخرج فى طلب ابلٍ له و كان الرّجل عند معاوية فالتفت اليه.

و قال: هذا و الله ذلك الرّجل [الَّتِى لَمْ يَخْلَقْ مَثْلُهٰا فِى الْبِلٰادِ وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جٰابُوا الصَّخْرَ] اى حفروا الصّخر و قطعوها لبناء البيوت [بِالْوٰادِ] اى وادى القرى.

[وَ فِرْعَوْنَ ذِى الْاَوْتٰادِ] قد مضى فى سورة ص بيان كونه ذاالاوتاد [الَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلٰادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسٰادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذٰابٍ] السّوط الخلط و هو ان تخلط شيئين فى انائك ثمّ

تضربهما بيدك حتّى يختلطا، و المرعة و النّصيب و الّشدّة و الضّرب بالّسوط، و استعمال الصّبّ للاشعار بكثرة العذاب وشدّته.

[اِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصٰادِ] المرصاد الطّريق و المكان الّذى يرصد و يترقّب فيه العدوّ و المعنى انّه تعالى فى محلٍّ يرصد فيه جميع افعالهم و اقوالهم و احوالهم فلا يفوته شيءٌ منها فيجازيهم عليها.

و عن الصّادق عليه السلام: المرصاد قنطرة على الصّراط لايجوزها عبدٌ بمظلمة عبدٍ.

[فَاَمَّا الْاِنْسٰانُ اِذٰا مَا ابْتَلٰيهُ رَبُّهُ] كأنّه قال: هذا حال الرّحمن فامّا الانسان اذا ما ابتلاه ربّه [فأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ] بيانٌ لاكرامه.

[فَيَقُولُ رَبّي اَكْرَمَنِ] هذا خبر الانسان و لذلك ادخل الفاء الّتى تكون عقيب امّا عليه، و قوله: اذا ما ابتليه على تقدير التأخير يعنى يفرح بالنّعمة و يحسب انّ النّعمة كرامة من الله له و الحال انّها قد تكون استدراجاً و نقمةً.

[وَ اَمّٰا اِذٰا مَا ابْتَلٰيهُ فَقَدَرَ عَلَيْهُ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبّي اَهٰانَنِ] لانّه لايحسب النّعمة فى غير النّعم الصّوريّة و يحسب انّ الكرامة و النّعمة و العزّة انّما هى فى النّعم الصّوريّة [كَلّٰا] ردع له عن هذا الحسبان و تعليق للتّوسعة و التّقتير على فعل الانسان يعنى ليس التّوسعة و التّقتير على ما تزعمون.

[بَلْ لٰا تَكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَ لٰا تَحٰاضُّونَ] اى لاتحاثّون، و الحضّ و الحثّ لازمان و متعدّيان [عَلٰى طَعٰامِ الْمِسْكينِ وَ تَأْكُلُونَ التُّرٰاثَ اَكْلاً لَمًّا] التّراث من الارث بمعنى ما يورث، و لمّا كان جميع الدّنيا ممّا اورث

من اّلسابقين او يورث ّللاحقين يصدق علها التّراث.

فقيل: كانوا لايورّثون الايتام و النّساء و كانوا يأكلون انصبائهم، و قيل: المعنى يأكلون الميراث و لايخرجون حقوقه الواجبة و المندوبة لكنّ الحقّ عدم التّخصيص بل المراد انّهم يأكلون ما يؤكل، و يجمعون ما يجمع، و يدّخرون ما يدّخر، و ينكحون ما ينكح، و يركبون ما يركب، و يلبسون ما يلبس، و يدركون ما يدرك، و يتخيّلون ما يتخيّل، اكلاً جامعاً بين صحيحها و فاسدها، حلالها و حرامها، مأمورها و منهيّها، و جامعاً بين جهتى الهيّتها و نفسانيّتها، و لّمّا امّا اصله لمّاً بالّتنوين، اجرى الوصل على الوقف، او اصله لمّا بالالف المقصورة امّا و هو مصدر للّم بمعنى جمع، و حينئذٍ تكون مفعولاً مطلقاً لفعلٍ محذوفٍ، او صفة لاكلاً، او هو بمعنى جميعاً و تأكيدٌ للتّراث.

[وَ تُحِبُّونَ الْمٰالَ حُبًّا جَمًّا] الجمّ الكثير من كلّ شىءٍ او هو مصدر جمّ بمعنى كثير و هو امّا صفة لجمّاً او مفعولٌ مطلقٌ لفعل محذوف هو حال [كَلّاٰ] ردع لهم عن ذلك.

[اِذٰادُكَّتِ الْاَرْضُ دَكًّا دَكًّا] الدّك الدّقّ و الهدم و تسوية صعود الارض و هبوطها، و اندكّ المكان استوى، و كنس التّراب و تسويته [وَ جٰاءَ رَبُّكَ] المضاف الّذى هو القائم فى وجودك و قد سمّاه الصّوفيّة بالفكر و الحضور و اّلسكينة و هو ملكوت ولىّ الامر، و لايظهر على اّلسالك الّا بعد موته الاختيارىّ.

و اذاظهر ظهر جميع آثار القيامة فى عالمه الصّغير و جميع ماورد من علائم الظهور القائمعليه السلام و آثاره فى الاخبار و كان مؤيّداً بالملائكة و يظهر الملك على اّلسالك حين ظهوره و بعده.

و لذلك قال تعالى [وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا] المراد بالملك الجنس و لذلك قال صفّاً صفّاً فانّ الواحد لايكون صفّاً صفّاً و المراد انّ الملائكة يجيؤن فى صفوفٍ عديدةٍ بحسب مراتبهم فى القرب و البعد.

[وَ جِيئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ] فانّ الظّاهر عليه ولىّ امره ينفتح بصيرته الاخرويّة فيرى ما لايراه غيره فيرى جهنّم و انواع عقابتها و عقوباتها، و يرى الجنان ايضاً و انواع نعيمها.

عن الرّسول ﷺ انّه قال: انّ روح الامين اخبرنى انّ الله لا اله الّا هو اذا برز الخلائق و جمع الاوّلين و الاخرين اتى بجهنّم تقاد بالف زمامٍ اخذ بكلّ زمامٍ مائة الفٍ يقودها من الغلاظ الّشداد، لها حدّةٌ و غضبٌ و زفيرٌ و شهيقٌ و انّها لتزفر الزّفرة، فلولا انّ الله اخّرهم للحساب لاهلكت الجميع ثمّ يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق البرّ منهم و الفاجر ما خلق الله عبداً من عباد الله ملكاً و لانبيّاً الّا ينادى: ربّ نفسى!. نفسى!.

و انت يا نبىّ الله تنادى امّتى امّتى!. ثمّ يوضع عليها الصّراط ادقّ من الّشعر واحدّ من حدّ الّسيف عليه ثلاث قناطر، فامّا واحدة فعليها الامانة و الرّحم، و الثّانية فعليها الصّلوة، و الثّالثة فعليها ربّ العالمين لا اله غيره فيكلّفون الممرّ عليها فيحبسهم الرّحم و الامانة.

فان نجوا منها حبستهم الصّلوة، فان نجوا منها كان المنتهى الى ربّ العالمين و هو قوله: انّ ربّك لبالمرصاد، و النّاس على الصّراط، متعلّق بيدٍ، و تزلّ قدمٌ، و يستمسك بقدمٍ و الملائكة حولها ينادون: يا حليم اعف و اصفح وعد بفضلك و سلّم سلّم، و النّاس يتهافتون فى النّار كالفراش فاذا نجاناجٍ برحمة الله مرّبها.

فقال: الحمدلله و بنعمته تتمّ الصّالحات و تزكو الحسنات و الحمدلله الّذى نجّانى منك بعد أياس عنه و فضله، انّ ربّنا لغفور شكور.

[يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْاِنْسانُ] هذه جواب اذا او هذه مستأنفة و جواب اذا محذوف او جوابها قوله تعالى: يقول يا ليتنى قدّمت، او قوله: فيومئذٍ لايعذّب عذابه احدٌ و المقصود انّ الانسان فى ذلك اليوم يتذكّر خيره و شرّه، و انّ ایّ الاعمال كان نافعاً و ايّها كان ضارّاً لكن لاينفعه ذلك التّذكّر.

و لذلك قال [وَ اَنّىٰ لَهُ الذِّكْرىٰ] اى الّذكرى النّافعة [يَقُولُ يا لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيٰوتِى] اى ليتنى قدّمت لانتفاعى فى حيوتى فى الاخرة، او ليتنى قدّمت فى حيوتى الدّنيا.

[فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ] قرئ يعذّب بالبناء للفاعل و بالبناء للمفعول و على القرائتين فضمير عذابه الله او للانسان و عذابه مفعول مطلق نوعىّ و هذه اوصاف الانسان الغافل الكافر.

[اَحَدٌ وَ لا يُوثِقُ وَ ثاقَهُ اَحَدٌ يا اَيَّتُهَا النَّفَسُ الْمُطْمَئِنَّةُ] حال او جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن حال الانسان المؤمن ناشٍ عن ذكر الانسان الكافر و احكامه وكلا الوجهين بتقدير القول، و نفس الانسان ذات مراتب و درجاتٍ عديدةٍ و امّهات مراتبها بحسب تمكّن الشيطان منه و تمكّنه فى دار الرّحمن و توسّطه منهما ثلاث.

و تسمّى الاولى بالامّارة و هى الّتى تأمر بالّسوءاى بما تهواه سواء كان فى صورة الخير او الّشرّ، و لاترتدع و لاتندم عليه، و الثّانية باللّوّامة و هى الّتى تلوم نفسها فى كلّ ماتأتى خيراً كان او شرّاً و تحرن على مافعل من حيث شرّيّته، او من حيث نقصانه عن درجة الكمال، او من حيث نسبته الى

نفسها، و الثّالثة بالمطئنّة لاطمينانها الى ربّها و خروجها عن انانيّتها الّتى هى سبب اضطرابها.

[اِرْجِعِى اِلٰى رَبِّكِ] المضاف الّذى هو ولىّ امرك و هو على الاطلاق علىّ عليه السلام او الى ربّ الارباب بالرّجوع الى مظاهره و دار كرامته و ضيافته [راٰضِيَةً] بما فعل ربّك بك [مَرْضِيَّةً] عند ربّك و خلفائه.

[فَادْخُلِى فِي عِبٰادِي] لخروجك عن انانيّتك و دخولك فى العبوديّة بالخروج من الانانيّة [وَ ادْخُلِي جَنَّتِى] المضاف الى نفسى المعدّة لاوليائى.

اعلم، انّه لايحصل الاطمينان للسّلاك الى الله الّا بنزول السّكينة الّتى تسمّى فى اصطلاح الصّوفيّة بالفكر و الحضور، و هو ان يتمثّل ملكوت ولىّ الامر فى صدر السّالك، و حصول صورة ولىّ الامر امّا يكون بنحو المباينة او بنحو الاتّصال او بنحو الاتّحاد او بنحو الوحدة، و لايحصل الاطمينان التّامّ الّا فى المرتبة الاخيرة و ان كان يحصل اطمينان ما فى المراتب الأُخر ايضاً.

و فيما روى عن الصّادق عليه السلام دلالة على ما ذكر و هو انّه سئل هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ـ قال: لا والله انّه اذا اتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت: يا ولىّ الله لاتجزع فو الّذى بعث محمّداً صلى الله عليه وآله لانا أبّربك و أشفق من والدٍ رحيمٍ لو حضرك، افتح عينيك فانظر.

قال: و يتمثّل له رسول الله صلى الله عليه وآله و امير المؤمنين عليه السلام و فاطمة عليها السلام و الحسن عليه السلام و الحسين عليه السلام و الائمّة عليهم السلام من ذرّيّتهم فيقال له: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله و امير المؤمنين عليه السلام و فاطمة عليها السلام و الحسن عليه السلام و الحسين عليه السلام و الائمّة

عليهم السلام رفقاؤك فيفتح فينظر فينادی روحه منادٍ من قبل ربّ العزّة فيقول: يا ايّتها النّفس المطمئنّة ای الی آل محمّد صلى الله عليه وآله و اهل بيته ارجع الی ربّك راضيةً بالولاية مرضيّةً بالثّواب فادخلی فی عبادی يعنی محمّداً صلى الله عليه وآله و اهل بيته و ادخلنی جنّتی فما من شیءٍ احبّ اليه من استلال[1] روحه و اللّحوق بالمنادی و فسّر الاية بالحسين بن علیّ عليه السلام و لذلك سمّيت الّسورة بسورة الحسين بن علیٍّ عليه السلام.

(۱)خروج الّسيف من الغلاف.

سُورَة البَلد

مكّيّة، عشرون آيةً.

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[لٰا اُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ] اى بلد مكّة و هو البلد الحرام و قد مضى بيان لاقسم و انّ لازائدةٌ لتأكيد القسم او نافية، و نفى لمعتقدهم، او نافية و نفى للقسم.

[وَ اَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ] اى انت حلال هتكك و مالك و دمك، او انت حلال لك ما تفعله بهذا البلد و ان كان فى وقتٍ و هو عام الفتح، او حالّ و مقيم بهذا البلد، و التّقييد تعظيم له ﷺ و اشارة الى انّ فخامة المكان تكون بالمكين.

[وَ وٰالِدٍ وَ مٰاوَلَدَ] اى آدم عليه السلام و ماولد، او ابراهيم عليه السلام و ما ولد، او علىّ عليه السلام و ما ولد من الائمّة عليهم السلام كما روى، و التّنكير للتّفخيم و الاتيان بما فى مقام من للتّعجيب، او المراد كلّ والدٍ و ما ولد بحسب الولادة الجسمانيّة فانّ التّوالد بالكيفيّة المخصوصة فى النّزو، و قرار النّطفة فى مقرٍّ مخصوص و خروج الجنين منه و نموّه و بلوغه مبلغ والده امر عجيب يقسم به، او المراد كلّ والد و ما ولد بحسب الولادة الرّوحانيّة فانّ الولادة الرّوحانيّة اعجب من الولادة الجسمانيّة.

او المراد والد الكلّ بالولادة الرّوحانيّة و هو محمّد ﷺ و بعده علىّ عليه السلام.

[لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسٰانَ فِي كَبَدٍ] اى فى شدّة و مشقّة فى الدّنيا او فى الرّحم او من اوّل خلقته او مستقيماً منتصباً بخلاف سائر الدّوابّ، و عن

الصّادق عليه السلام انّه قيله له: انّا نرى الدّوابّ فى بطون ايديها الرّ قعتين مثل الكيّ فمن ايّ شيءٍ ذلك؟ـ قال: موضع منخريه فى بطن امّه و ابن آدم منتصب فى بطن امّه، و ذلك قول الله عزّ و جلّ: لقد خلقنا الانسان فى كبد، و ما سوى ابن آدم فرأسه فى دبره و يداه بين يديه.

[اَيَحْسَبُ اَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ اَحَدٌ]ضمير يحسب راجعُ الى الانسان و المراد به مطلق الانسان، او المراد به الانسان المخصوص يعنى يحسب ان لن يقدر عليه احدٌ فى قتله ابنته النّبىّ صلى الله عليه و آله، و قيل: هو ابو الاسد بن كلدة كان قويّاً شديد الخلق.

[يَقُولُ اَهْلَكْتُ مٰالاً لُبَدًا] اللّبد كصردٍ و سكرٍ و الّلابد المال الكثير يعنى يقول انفقت مالاً كثيراً فى عداوة محمّدٍ صلى الله عليه و آله مفتخراً به، او اهلكت مالاً كثيراً فى نصرته مغتمّاً به، او اهلكت مالاً كثيراً بامره فى الكفّارات و غيرها اظهاراً للغرامة والنّدامة.

و قيل: هو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد منافٍ و ذلك انّه اذنب ذنباً فاستفتى رسول الله صلى الله عليه و آله فأمره ان يكفّر فقال: لقد ذهب مالى فى الكفّارات و النّفقات منذً دخلت فى دين محمّدٍ صلى الله عليه و آله.

و فى خبرٍ يعنى الّذى جهّز به النّبىّ صلى الله عليه و آله فى جيش[1] العسرة، و فى خبرٍ هو عمرو بن عبدودّ حين عرض عليه علىّ بن ابى طالب عليه السلام الاسلام يوم الخندق قال: فاين ما انفقت فيكم مالاً لبداً و كان انفق مالاً فى الصّدّ عن سبيل الله.

[اَيَحْسَبُ اَنْ لَمْ يَرَهُ اَحَدٌ] اى انّه لم يره احد فى اعماله و افعاله و

(۱) و المراد بها غزوة تبوك.

اقواله فيطالبه بذلك و يسأله عنه و المقصود انّه يظنّ ان لم يره الله تعالى فى ذلك و بئس الظّنّ ذلك لاينبغى ان يظنّ ذلك كيف لم يره احدٌ و لم نره و قد خلقناه و جعلنا فيه دقائق القوى و المدارك و الاعضاء و من جعل له هذه الامور الدّقيقة كيف لايراه؟!

[اَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ] مشتملتين على عشرة اجزاء بحيث جعلنا فيها نوراً يبصر به الاشياء [وَلِسٰنًا] مركّباً من اللّحم و العصب و الّشرائين و الاوردة و الاوتار و العظم مفهّماً به ما فى ضميره مدركاً به طعم الطّعوم [وَ شَفَتَيْنِ] تكونان حافظتين للّسان و سائر ما فى الفمّ محسنتين للصّورة معينتين على التّكلّم.

[وَ هَدَيْنٰاهُ النَّجْدَيْنِ] عطف على مجموع الم نجعل فانّه بمعنى جعلنا له عينين او على مدخول النّفى.

و المراد بالنّجدين سبيل الخير و الّشرّ كما فى الاخبار، و قيل: المراد بها الثّديان، قيل لامير المؤمنين عليه السلام: انّ اناساً يقولون فى قوله: و هديناه النّجدين: انّهما الثّديان، فقال: لا، هما الخير و الّشرّ.

[فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ] قحّمته فى الامر تقحيماً رميته فيه فجأة بلارويّةٍ فانقحم و اقتحم، و قحم فى الامر قحوماً رمى بنفسه فيه فجأة بلا رويّةٍ، و اقتحم بالغ فيه و العقبة المرقى الصّعب من الجبال، و المراد بها عقبات النّفس الّتى هى الرّذائل الّتى لامرقى اصعب منها فانّ العبور عنها و تخلية النّفس منها و التّرقّى منها الى الخصائل اصعب كلّ شىءٍ و لذلك اتى بالاستفهام التّعجيبىّ لتفخيمها و فسّرها بالعبور عن الرّذائل و الدّخول فى الخصائل بالاشارة الى امّهاتها فقال: [وَ مٰا اَدْرٰيكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ].

شرح فی القوی الاربع للانسان

اعلم، انّ الانسان له قویً اربع و کلّ من الاربع لها اعتدال و توسّط بین الافراط و التّفریط فی الاثار، و التّوسّط والاعتدال منها ممدوح و مطلوب، و الافراط و التّفریط مذموم و قبیح، و القوی الاربع هی الّعلامة والعمّالة و الّشهویّة و الغضبیّة.

فالعّلامة کسلطان البلد یأمر و ینهی و یدبّر، و العمّالة کالوزیر الّذی یمضی فی امر الملك، و الّشهویّة کالنّاظر الوکیل لخرج الجنود، و الغضبیّة کامیر الجنود، و اعتدال العّلامة بتمییز هابین الحقّ و الباطل و المحقّ و المبطل و الخیر و الّشرّ کما هی.

و یسمّی ذلك التّمیز بالحکمة العلمیّة، و لمّا کان الحکمة العلمیّة هی التّمیز بین الّذوات و الاقوال و الافعال و الاحوال و الاخلاق و العلوم و الوجدانات و الخطات و الخیالات و المشاهدات و التفاتات القلب من حیث ارتباطها و رجوعها الی الاخرة، و کان فی ازدیادها ازدیاد کمال النّفس و فی نقصانها نقصانه لم یکن لها طرفا افراط و تفریط.

بل کانت الجربزة الّتی عدوّها افراط القوّة العّلامة النّفسانیّة تفریطاً و قصوراً للنّفس عن البلوغ الی درجة الحکمة، لانّ الجربزة هی التّصرّف بحسب العلم الوهمیّ فی الامور الدّنیویّة زائداً علی ما ینبغی و لیس ذلك الّا من نقصان ادراك الامور الاخرویّة.

فالجربزة و البلادة اللّتان عدّوهما طرفی افراط العّلامة و تفریطها معدود ان من قسم البلادة و لذلك فسّروا الاحمق و الّسفیه بمن لایعرف

الحقّ سواء كان بحسب الدّنيا سفيهاً او لم يكن، مثل معاوية فانّه كان بحيث سمّاه اهل زمانه باعقل زمانه، و لاجل عدم طرف الافراط المذموم للحكمة قالوا: الرّذائل بحسب الامّهات سبع.

و الخصائل بحسب الامّهات اربع، و اعتدال العمّالة بان تكون تحت حكم العاقلة العّلامة و ان تقدر على الاتيان بمايأمرها العاقلة و يسمّى بالعدل الّذى هو وضع كلّ شىءٍ فى محلّه و لايمكن ذلك الّا باستخدام الّشهويّة و الغضبيّة، و طرفا افراطه و تفريطه يسمّيان بالظّلم والانظلام، و اعتدال القوّة الّشهويّة ان تكون مطيعةً للعمّالة المنقادة للعاقلة العّلامة و يسمّى اعتدالها بالعفّة، و طرفا افراطها و تفريطها يسمّيان بالّشره و الخمود، و اعتدال الغضبيّة يسمّى بالّشجاعة و طرفا افراطها و تفريطها يسمّيان بالتّهوّر و الجبن.

و قد يقال: انّ القوى الاربع فى الانسان هى البهيميّة و الّسبعيّة و الّشيطنة الّتى هى العّلامة النّفسانيّة الوهميّة، و العاقلة الّتى هى العّلامة العقلانيّة و يجعل العمّالة خادمة للقوى الاربع و يجعل العدل المتوسّط بين الظّلم و الانظلام من شعب الّشجاعة.

و يجعل الحكمة الّتى هى التّوسّط بين البلادة و الجربزة من مقتضيات العّلامة النّفسانيّة، و يجعل مقتضى العّلامة العقلانيّة تعديل القوى الثّلاث و تعديل العمّالة بحيث لايخرج شىءٌ منها من حكم العاقلة و يسمّى بالعدالة و تلك العدالة ليس لها طرفا افراطٍ و تفريطٍ بل لها التّفريط فقط و تفريطها هو قصور العاقلة عن تسخير القوى الثّلاث و هو ظلم من القوى و انظلام للعاقلة و كأنّه اراد العّلامة النّفسانيّة من العمّالة من جعل

العمّالة منشأً لبعض الخصال للتّلازم الواقع بينهما.

فقوله تعالى: فكّ رقبةٍ ان كان المراد به فكّ رقبة نفسه عن التّقيّد بقيود النّفس كان المراد به اصل الخصال و روحها الّذى يعبّر عنه بالفناء عن نسبة الافعال و الصّفات الى نفسه بل عن نسبة الذّات الى نفسه و لذلك قدّمه على الجميع، و ان كان المراد به فكّ رقاب النّاس عن رقّيّة انفسهم و عن النّار كان اشارة الى اشرف اقسام العدل، و ان كان المراد به فكّ رقاب العبيد الصّوريّة عن الرّقبة كان اشارة الى اعلى اقسام الّسخاوة الّتى هى اشرف انواع العفّة.

[اَوْ اِطْعٰامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ] اى ذى مجاعةٍ اشارة الى الّسخاوة على المعانى الثّلاثة الاوّل لقوله فكّ رقبة و الى صنف آخر من الّسخاوة على الاخير [يَتِيمًا ذٰا مَقْرَبَةٍ اَوْ مَسْكِينًا ذٰا مَتْرَبَةٍ] ذافقرٍ من ترب ترباً و متربًا و متربةً بمعنى افتقر.

[ثُمَّ كٰانَ مِنَ الَّذِينَ اٰمَنُوا] عطف على اطعام من قبيل عطف الفعل على الاسم الخالص بتأويل المصدر بتقدير ان، و حينئذٍ يكون فكّ رقبةٍ اشارة الى الفناء الّذى هو اصل جملة الخصال، و يكون لفظة او للتّرديد بينه و بين الخصال الّتى تحصل بالبقاء بالله بعد الفناء فى الله، و يكون الاطعام اشارة الى العفّة، و الكون من الّذين آمنوا، اشارة الى افضل انواع الحكمة.

و يكون قوله تعالى [وَ تَوٰاصَوْا بِالصَّبْرِ] اشارة الى الّشجاعة فانّ حبس النّفس عن الجزع عند المصيبة، و عن المعصية عند اقتضاء القوى النّفسانيّة، و على الطّاعة من قوّة القلب الّتى هى الّشجاعة.

و قوله تعالى [وَ تَوٰاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ] اشارة الى العدالة فانّ العدل

الّذى هو وضع كلّ شىءٍ فى محلّه لايتأتّى الّا بالمرحمة، و التّواصى بها شعبة من العدالة، او قوله كان من الّذين آمنوا عطف على قوله تعالى اقتحم العقبة و العطف بثمّ للتّفاوت بين المرتبتين.

[اُولٰئِكَ] هم [اَصْحٰابُ الْمَيْمَنَةِ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ و قد مضى انّ اصحاب اليمين شيعة امير المؤمنين عليه السلام.

[وَ الَّذينَ كَفَرُوا باياٰتِناٰهُمْ اَصْحٰابُ الْمَشْئَمَةِ عَلَيْهِمْ نٰارٌ مُؤْصَدَةٌ] او صد اتّخذ حظيرةً لابله، و او صد الكلب اغراه، و الباب اطبقه و اغلقه.

سُورَة والشَمس

مكّيّة، كلّها ستّ عشرة آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَ الشَّمْسِ وَ ضُحيٰها] اقسم بالّشمس الصّوريّة، او بالّشمس الحقيقّة، او بالرّوح الانسانيّة.

[وَ الْقَمَرِ اِذٰا تَليٰها] اى خلّفها فى الاضاءة، او تبعها فى الطّلوع او تلاها عند غروبها بان طلع حين غروبها و هو فى اواسط الّشهر، او اقسم بقمر النّفس الانسانيّة اذا تلى و تبع الرّوح فى العروج الى الله.

[وَ النَّهٰارِ اِذٰا جَلّيٰها] اى جلّى الّشمس و ابرزها بكمال الظّهور و هو اوقات اواسط النّهار، او المراد بالّشمس الامام و بالنّهار الصّدر المنشرح بالاسلام اذا ابرز الامام و استشرق بنور الامام، و هو وقت نزول ٱلسكينة على الّسالك بظهور الامام بملكوته عليه.

[وَ اللَّيْلِ اِذٰا يَغْشيٰها] اقسم باللّيل و وقت احاطة ظلمته نور الّشمس فانّ بقاء المواليد و توليدها لايكون الّا بظهور الّشمس و غشيان اللّيل.

[وَ السَّمٰاءِ وَ مٰا بَنيٰها] اى والّذى بناها، أتى بما ليكون موافقاً لاعتقاد جميع الفرق، او لفظة ما مصدريّة.

[وَ الْاَرْضِ وَ مٰا طَحيٰها] طحى كسعى بسط و انبسط واضطجع، و طحى يطحو بُعد و هلك، و القى انساناً على وجهه [وَنَفْسٍ] كان الّلائق بسياق الكلام ان يقول و النّفس بلام الجنس لكنّه عدل عنه امّا لتفخيم

النّفس بالنّسبة الى الّسابق، اولارادة نفسٍ مخصوصةٍ مفخّمةٍ بحيث لايمكن تعريفه و هى النّفس الكلّيّة او نفس النّبىّ ﷺ او الولىّ ؑ او نفس محمّد ﷺ او علىّ ؑ اولارادة نوع مخصوص منها عظيم و هو نوع نفس الانسان.

[وَ مٰا سَوّٰيهٰا فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰيهٰا] يعنى القى فى خاطرها فعل فجورها او الهمها معرفة فجورها حتّى تجتنب و معرفد تقويها حتّى ترتكب [قَدْ اَفْلَحَ مَنْ زَكّٰيهٰا] انميها و اصلحها او طهّرها.

[وَ قَدْ خٰابَ] خسر، او كفر، او افتقر، او جاع [مَنْ دَسّٰيهٰا] دسايد سو نقيض زكى و بمعنى استخفى، و دسى مثل سعى من اليائىّ ضدّ زكا ايضاً، و دسّاه من التّفعيل اغواه و افسده، و قيل: قد خاب من دسّى نفسه فى اهل الخير اى اخفيها فيهم و ليس منهم.

[كَذَّبَتْ ثَمُودُ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ و استشهاد على خيبة من دسّى نفسه [بِطَغْوٰيهٰا] الباء للّسببيّة، و الّطغوى بمعنى الطّغيان و العصيان، و قيل: الباء صلة كّذبت و الطّغوى اسم للعذاب الّذى نزل بهم.

[اِذِ انْبَعَثَ] اى نهض لعقر النّاقة [اَشْقٰيهٰا] اى اشقى ثمود و اسمه قد اركهمام و كان اسم ابيه سالفاً قال رسول الله ﷺ لعلىّ بن ابى طالب ؑ: من اشقى الاوّ لين؟ـ قال: عاقر النّاقة، قال: صدقت، فمن اشقى الاخرين؟ـ قال: قلت: لااعلم يا رسول الله ﷺ، قال: الّذى يضربك على هذه، و اشار الى يافوخه[1] [فَقٰالَ لَهُمْ] الاولى ان يكون الفاء للّسببيّة الخالصة.

[رَسُولُ اللّٰهِ] اى صالح ؑ [نٰاقَةَ اللّٰهِ وَ سُقْيٰهٰا] منصوب من باب

(۱) اليافوخ = الموضع الّذى يتحرّك من رأس الطّفل.

التّحذير او الاغراء، او منصوب بفعلٍ محذوفٍ من غير باب التّحذير و الاغراء اى اتركوا، و المراد بسقيها نوبة شربها او الماء الّذى كانت تشربها بالنّوبة.

[فَكَذَّبُوهُ] فى رسالته، او فى التّحذير و الاغراء، او فى نزول العذاب [فَعَقَرُوهٰا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ] دمّه طلاه، و البيت جصّصه، و السفينة قيّرها، و الارض سوّاها، و فلاناً عذّبه عذاباً تامّاً و شدخ رأسه و شجّه و ضربه، و القوم طحنهم فأهلكهم كدمدمهم و دمدم عليهم.

[فَسَوّٰيهٰا] اى سوّى الدمدمة عليهم و عمّهم بها، او سوّى ثمود فى الدّمدمة بان عمّهم بها، او بان سوّى بعضهم ببعضهم بان جعل كبيرهم على مقدار صغيرهم.

[وَ لاٰ يَخٰافُ عُقْبٰيهٰا] اى لايخاف الله عقبى الدّمدمة، او عقبى التّسوية لانّه لايردّ عليه شىءٌ من فعله لانّه لايعارضه احدٌ و لاينتقم منه احدٌ او لايخاف العاقر عقبى فعلته، او لايخاف صالحٌ عقبى العقوبات الّتى خوّفهم بها لكونه على ثقةٍ من ربّه فى نجاته، او لايخاف عقبى دعوته على القوم و تبعتها، لانّ دعوته على القوم كانت باذنٍ من الله و استحقاقٍ منهم.

سُورَة والليّل

مكّيّة، احدى و عشرون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَ اللَّيْلِ اِذٰا يَغْشٰى] بظلمته نور الّشمس و الابصار، و ببرودته المدارك و الرّوح الحيوانيّة و النّفسانيّة حتّى تجتمعا فى الباطن، او يغشى النّاس بالنّوم، او اقسم بليل الطّبع او النّفس او البلايا، او ليل القدر اذا بغشى اهله.

[وَ النَّهٰار اِذٰا تَجَلّٰى] وقت الضّحى الى الاصال او نهار الرّوح او الّسرور او نهار عالم المثال اذا تجلّى لاهله.

[وَ مٰا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْاُنْثٰى] لفظة ما مصدريّة او موصولة بمعنى من، و التّأدية بما لتوافق اعتقاد الجميع و المراد بالّذكر و الانثى جنسهما، او آدم و حوّاء او علىّ عليه السلام و فاطمة عليها السلام.

و قرئ و خلق الّذكر و الانثى بدون ما [اِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّٰى] اى متفرّق، اعلم انّ الّسعى عبارة عن حركات الاعضاء، و لمّا كان الحركات الاراديّة لابدّ لها من مبدءٍ اراديٍّ و المبدأ الاراديّ لايكون الّا العلّة الغائيّة الّتى هى مبدأ فاعليّة الفاعل بحسب التّصوّر و غاية الفعل بحسب الوجود.

و كان الانسان ذاقوىً كثيرة بحسب شعب القوى الّشهويّة و الغضبيّة و الّشيطنة و العاقلة منفردةً او مركّبةٍ، و لكلّ قوّةٍ مبادٍ و غاياتٌ عديدةٌ مثل شهوة النّساء مثلاً فانّ المشتهى لهنّ قد يكون الدّاعى فى سعيه النّظر فقط، و قد يكون مع ذلك اللّمس، و قد يكون التّقبيل و التّعانق و التّحادث، و قد

يكون الالتحاف معهنّ، و قد يكون الّسفاد كان سعيه مع اختلافه بـحسب الصّورة مختلفاً فى المبدء و الغاية.

[فَاَمّا مَنْ أَعْطٰى] من ماله لله، و من جاهه و عرضه، و من قوّة قواه و حركات اعضائه، و من قوّته المتخيّلة و العاقلة [وَ اتَّقٰى] من البخل و من الاعطاء فى غير طلب رضا الله، و هذا اشارة الى الكمال العمليّ.

[وَ صَدَّقَ] تقليداً بان استمع من صادقٍ و صدّق، او تحقيقاً بـان وجد انموذج ما استمع فى نـفسه [بِالْحُسْنٰى] اى العـاقبة او المـثوبة او الخلصة او الفضيلة او الكلمة الحسنى.

و روى عن الصّادق عليه السلام انّ المراد بها الولاية فانّه لاحسـنى احسـن منها، و قيل: المراد بها الّسير فى الله و هو ايضاً آخر مقامات الولاية و هذا اشارة الى الكمال العلميّ.

[فَسَنُيَسِّرُهُ] بحسب العمل [لِلْيُسْرٰى] اى الخلصة اليسرى الّـتى هى ايسر شىءٍ على انسانيّة الانسان و هى الجدّ فى طلب مرضاة الله فانّه بعد ما كان الانسان مصدّقاً خصوصاً اذا كان تصديقه تحقيقيّاً كان الطّاعة ايسر شىءٍ والذّ شىءٍ عنده.

فقوله تعالى: من أعطى، اشارة الى العمل التّقليديّ، و صدّق اشارة الى انتهاء العمل الى التّحقيق، و قوله تعالى: فسنيّسره لليسرى اشارة الى العمل التّحقيقيّ.

او المراد باليسرى الّسير فى الله فانّه الخصلة اليسرى على الاطلاق فانّ الّسير فى الله لايكون الّا بعد الخروج عن انانيّات النّفس و الفناء الذّاتيّ، و كلّ عملٍ يكون مع بقاء انانيّةٍ للنّفس يكون له عسرة ما على النّفس.

او المراد باليسرى ضدّ اليمنى، و يسرى النّفس الانسانيّة هى الكثرات يعنى سنيسّره للاشتغال بالكثرات بحيث يكون فى نهاية اليسر عليه بعد ما كان عسيراً عليه.

[وَ اَمّا مَنْ بَخِلَ] بحسب العمل التّقليدىّ [وَ اسْتَغْنى] عن موائد الاخرة بترك العمل لها و هذا اشارة الى النّقصان العملىّ و العلمىّ [وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنى] اشارة الى النّقصان العلمىّ.

[فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى] اى الطّريقة العسرى و هى طريق النّفس الى الملكوت السّفلى، و لاعسر على الانسانيّة منها.

[وَ ما يُغْنِى عَنْهُ مالُهُ اِذا تَرَدّى] اى سقط فى الهاوية من: تردّى فى البئر اذا سقط فيها.

قال القمّىّ: نزلت فى رجلٍ من الانصار كانت له نخلة فى دار رجلٍ و كان يدخل عليه بغير اذنٍ فشكاذلك الى رسول الله ﷺ و فى المجمع كان لرجلٍ نخلة فى دار رجلٍ فقير ذى عيال و كان الرّجل اذا جاء فدخل الدّار و صعد النّخل ليأخذ منها التّمرفر بمّا سقطت التّمرة فيأخذها صبيان الفقير فينزل الرّجل من النّخلة حتّى يأخذ التّمر من ايديهم.

و ان وجدها فى فىّ احدهم ادخل اصبعه حتّى يأخذ التّمرة من فيه، فشكا ذلك الى النّبىّ ﷺ و اخبره بما يلقى من صاحب النّخلة فقال النّبىّ ٩ لصاحب النّخلة، تعطينى نخلتك المائلة الّتى فرعها فى دار فلانٍ ولك بها نخلة فى الجنّة؟

ـ فأبى، فقال ﷺ بعنيها بحديقة فى الجنّة؟ فأبى، و انصرف، فمضى اليه ابوالدّ حداح و اشتراها منه بأربعين نخلةً، و اتى الى النّبىّ ﷺ فقال: يا

رسول الله ﷺ خذها و اجعل لی فی الجنّة الحديقة الّتی قلت لهذا، فلم يقبله، فقال رسول الله ﷺ لك فی الجنّة حدائق و حدائق و حدائق، فأنزل الله الايات.

و عن الباقر عليه السلام فأمّا من أعطی ممّا آتاه الله و اتّقی و صدّق بالحسنی ای بانّ الله يعطی بالواحد عشرا الی مائة الفٍ فمازاد فسنيّسره لليسری لايريد شيئاً من الخير الّا يُسرّ له.

[وَ مٰا يُغْنِی عَنْهُ مٰالُهُ اِذٰا تَرَدّیٰ] قال: والله ما تردّی من جبل و لامن حائطٍ و لافی بئرٍ ولكن تردّی فی نار جهنّم، و عنه عليه السلام فامّا من أعطی و اتّقی و آثر بقوته، و صام حتّی و فی بنذره.

و تصدّق بخاتمه و هو راكع، و آثر المقداد بالدّينار علی نفسه، و صدّق بالحسنی و هی الجنّه و الثّواب من الله فسنيسّره لذلك بان جعله اماماً فی الخير و قدوةً وأباً للائمّة يسّره الله لليسری.

[اِنَّ عَلَيْنٰا لَلْهُدیٰ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: اليس لله صنع فی الاعطاء و البخل حتّی نسب تلك الافعال الی العباد بالاستقلال؟ـ فقال: ليس علينا الّا الهدی واراءة طريق الخير و الشرّ.

[وَ اِنَّ لَنٰا لَلْاٰخِرَةَ وَ الْاُولٰی] مبدءً و غايةً و ملكاً فنعطی منهما مانشاء لمن نشاء [فَأَنْذَرْ تُكُمْ نٰارًا تَلَظّیٰ لاٰيَصْليٰهٰا اِلَّا الاَ شْقَی الَّذی كَذَّبَ] بالولاية.

[وَ تَوَلّیٰ] عنها، او كذّب بالاخرة، او بالرّسالة [وَ سَيُجَنَّبُهَا الاَ تْقیٰ] ای سيجعل منها علی جانب او بُعد.

[اَلَّذی يُؤْتِی مٰالَهُ يَتَزَكّیٰ وَ مٰالِاَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ اِلَّا ابْتِغٰاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْاَعْلٰی] استثناء منقطعٌ او استثناء متّصل من محذوفٍ جوابٌ

لسؤالٍ مقدّرٍ اى لايؤتى ماله الّا ابتغاء وجه ربّه الاعلى.

[وَ لَسَوْفَ يَرْضٰى] ان كانت الايات نزلت فى رجل خاصّ فالمعنى عامّ و الاصل فى من أعطى و اتّقى علىّ عليه السلام، و فى من بخل و استغنى هو عدوّه.

و قيل: المراد بمن أعطى ابوبكرٍ حيث اشترى بلالاً فى جماعةٍ من المشركين كانوايؤذونه فأعتقه، و المراد بالاشقى ابوجهلٍ و امّية بن خلف.

سُورَة والضّحیٰ

احدی عشرة آیةً، مکّیّة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَ الضُّحٰی] وقت ارتفاع الّشمس او النّهار تماماً بقرینة قوله تعالی [وَ اللَّیْلِ اِذٰا سَجٰی] او ضوء النّهار و قدّم الضّحی ههنا لانّ الخطاب ههنا لمحمّدٍ ﷺ و المقدّم فی نظره ضحی عالم الارواح بخلاف الّسورة الّسابقة فانّ المخاطب فیها من کان سعیهم شتّی و الغالب علیهم التّقیّد بعالم الطّبع الظّلمانیّ و سجی سجوّاً سکن اهله اور کد ظلامه.

[مٰا وَدَّعَکَ] قرئ بالتّشدید و بالتّخفیف ای ما ترکك [رَبُّکَ وَ مٰا قَلٰی] ای ما ابغضك.

عن الباقر علیه السلام انّ جبرئیل ابطأ علی رسول الله ﷺ و انّه کانت اوّل سورة نزلت: اقرء باسم ربّك الّذی خلق ثمّ ابطأ علیه فقالت خدیجة: لعلّ ربّك قد ترکك فلا یرسل الیك؟! فأنزل الله تبارك و تعالی: ماوّدعك ربّك و ما قلی، و فی حدیثٍ: انّ الوحی قد احتبس عنه ایّاماً فقال المشرکون: انّ محمّداً ﷺ ودّعه ربّه.

و قیل: انّ الیهود سألوا محمّداً ﷺ عن ذی القرنین و اصحاب الکهف فقال ﷺ: اخبرکم غداً و لم یستثن فاحتبس الوحی و اغتمّ لشماتة الاعداء، فنزلت تسلیةً [وَ لَلْاٰخِرَةُ] الی الدّار الاخرة.

[خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْاُولٰی] ای الدّنیا او الکرّة الاخرة من جبرئیل فی الوحی علیك خیر لك من المرّة الاولی [وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضٰی]

اى سوف يعطيك فى الدّنيا او فى الاخرة ما يحصل لك به مقام الرّضا او ما يحصل لك الرّضا به، و قد فسّر المعطى بالّشفاعة الكبرى و لذلك ورد انّ هذه الاية ارجى آيةٍ فى كتاب الله.

و عن الصّادق عليه السلام رضا جدّى صلى الله عليه وآله ان لايبقى فى النّار موحّدٌ.

[اَلَمْ يَجِدْكَ] استفهام انكاريٌّ و استشهاد على اعطاء ما يرضاه كأنّه قيل: ما الدّليل على صدق هذا الوعد؟ـ فقال: الدّليل عليه انّه وجدك.

[يَتيماً] عن الاب و الامّ [فَئَاوٰى] اى آواك اليه او وجدك يتيماً بلا نظيرٍ فاوى النّاس اليك كما فى الخبر.

[وَ وَجَدَكَ ضٰالًّا فَهَدٰى] عطف على الم يجدك فانّه فى معنى وجدك يتيماً اى وجدك قاصراً عن مرتبة الكمال المطلق فهداك اليه، او وجدك متحيّراً فى امر معاشك فهداك الى تدبير معيشتك فانّه يقال للمتحيّر فى مكسبه: انّه ضالّ.

او وجدك لاتعرف ما الكتاب و لاالايمان فهديك اليهما، و قيل: المعنى وجدك ضالّاً فى شعاب مكّة فهداك الى جدّك عبدالمطّلب لانّه روى انّه ضلّ فى شعاب مكّة و هو صغيرة فرآه ابوجهل وردّه الى جدّه، و قيل: انّ حليمة الّتى كانت ترضعه ارادت ان تردّه الى جدّه بعد اتمام رضاعه و جاءت به الى جدّه فضلّ فى الطّريق فطلبته جزعةً فرأت شيخاً متّكأً على عصاه فسألها عن حالها.

فاخبرته بذلك فقال: لاتجزعى انا ادّلك عليه فجاء الى هبل فقال: هذه الّسعديّة ضلّ عنها رضيعها و جئت اليك لتردّ محمّداً صلى الله عليه وآله عليها فلمّا تفوّه باسم محمّد صلى الله عليه وآله تساقطت الاصنام و سمع صوتاً انّ هلا كنا على يدى محمّدٍ

ﷺ فخرج و اسنانه تصطكّ فأخبرت عبدالمطّلب عليه السلام فطاف بالبيت فدعا فأشعر بمكانه فأقبل عبدالمطّلب فى طلبه فاذاً هو تحت شجرةٍ يلعب باوراقها.

و قيل: انّه خرج مع عمّه ابى طالب عليه السلام فى قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكبٌ ذات ليلةٍ جاء ابليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطّريق فجاء جبرئيل وردّه الى القافلة.

او المعنى وجدك ضالّاً عن قومك بمعنى انّ قومك كانوا لايعرفون مرتبتك فهدى قومك الى معرفتك [وَ وَجَدَكَ عٰائِلًا] اى فقيراً.

[فَأَغْنٰى] يعنى وجدك محتاجاً فى المال فأغناك بمال خديجة، او بالقناعة او فى العلم فأغناك بالوحى، او وجدك ذاعيالٍ فأغناك، او وجدك تمون قومك بارزاقهم المعنويّة فأغناك بالوحى.

روى عن الرّضا عليه السلام انّه قال: فرداً لامثل لك فى المخلوقين فاوى النّاس اليك، و وجدك ضالّاً اى ضالّة فى قوم لايعرفون فضلك فهداهم اليك، و وجدك عائلاً تعول اقواماً بالعلم فأغناهم بك.

[فَأَمَّا الْيَتِيمَ] عن الاب الصّوريّ او عن الامام بان لايكون له امام او بان انقطع عن امامه بغيبته او بموته او بعدم الحضور الملكوتىّ عنده و ان كان حاضراً عنده بالحضور الملكىّ، او اليتيم عن العلم.

[فَلٰا تَقْهَرْ] اى لاتقهره على ماله فتذهب بحقّه او لاتحتقره، روى انّ رسول الله ﷺ قال: من مسح على رأس يتيمٍ كان له بكلّ شعرةٍ تمرّ على يده نور يوم القيامة، و فى خبرٍ: لايلى احدكم يتيماً فيحسن ولايته و وضع يده على رأسه الّا كتب الله له بكلّ شعرةٍ حسنةً، ومحا عنه بكلّ شعرةٍ سيّئةً،

و رفع له بكلّ شعرة درجةً، و فى خبرٍ: انا و كافل اليتيم كهاتين فى الجنّة اذا اتّقى الله عزّ و جلّ، و اشار بالّسبّابة و الوسطى.

[وَ اَمَّا السّائِلَ فَلا تَنْهَرْ] اى لاتزجر، و المراد بالّسائل من يسأل من اعراض الدّنيا، او من يلتمس امراً من امور الاخرة.

روى عن رسول‌الله ﷺ: اذا اتاك سائلٌ على فرس باسط كفّيه فقد وجب الحقّ و لو بشقّ تمرةٍ.

[وَ اَمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ] النّعمة كمامرّ مراراً ليست الّا الولاية، او ما كان لاهل الولاية من حيث انّهم اهل الولاية سواء كان من لوازم الحياة الدّنيا و طوار بها، او من لوازم الحياة الاخرة و غاياتها.

و سواء كان بصورة النّعمة او بصورة البلاء، و التّحديث اعمّ من ان يكون بالفعل او بالقول او بالكتابة او بالاشارة بل التّحديث بالفعال احبّ الى الله من التّحديث بالمقال.

فاذا انعم الله على عبد بنعمة من النّعم الصّوريّة الدّنيويّة او الاخرويّة المعنويّة احبّ ان يرى من المنعم عليه ان يظهرها بلسانه او بفعاله.

فلو كتمها من غير مرجّحٍ الهىٍّ كان كافراً لانعم الله، و لمّا كان الخطاب يعمّ الرّسول ﷺ و اتباعه كان الامر بالتّحديث مختلفاً بحسب اختلاف الاشخاص و الاحوال.

فانّه اذا كان الخطاب لمحمّدٍ ﷺ كان الامر بتحديث الولاية و النّبوّة و الرّسالة و القران و احكام الولاية و النّبوّة و الرّسالة و نزول الوحى و الملك عليه و النّعم الصّوريّة جميعاً.

و ان كان الخطاب لخلفائه كان الامر بتحديث جميع ذلك لكن فى

النّبوّة و الرّسالة القران بنحو الخلافة لاالاصالة، و ان كان الخطاب للمؤمنين كان الامر بتحديث الولاية الّتى قبلوها بالبيعة الخاصّة و الرّسالة الّتى قبلوها بالبيعة العامّة و بتحديث احكامهما و بتحديث النّعم الصّـوريّة، و ان كـان الخطاب للمسلمين كان الامر بتحديث الرّسالة الّتى قبلوها بالبيعة العامّة و بتحديث احكامها و بتحديث سائر النّعم.

و عن الصّادق عليه‌السلام انّه قال: اذا انعم الله على عبده بنعمةٍ فظهرت عليه سُمّى حبيب الله محدّثاً بنعمة الله، و اذا انعم الله على عبده بنعمةٍ فلم تظهر عليه سُمّى بغيض الله مكذّباً بنعمة الله.

و عن امير المؤمنين ٧ فى حديث منعه لعاصم بن زيـادٍ عـن لبس العباء و ترك الملأ: لابتذال نعم الله بالفعال احبّ اليه من ابتذاله لها بالمقال و قد قال الله تعالى: و امّا بنعمة ربّك فحدّث و الاخبار فى اظهار العلم و الدّين و سائر النّعم اذا لم يكن مانعٌ من ذلك كثيرة.

سُورَة اَلم نَشرح

ثمان آياتٍ، مكّيّة

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ] لمّا كان اوّل هذه الّسورة على سياق الّسورة الّسابقة و تعداد النّعمة تعالى على محمّدٍ ﷺ ورد فى بعض الاخبار انّه لايقرأ فى الفريضة احديهما بدون الاخرى، و افتى بعض العلماء لذلك انّهما سورة واحدة، و شرح كمنع كشف و قطع كشرّح من التّشريح و فتح و شرح الّشىء بمعنى جعله وسيعاً، و شرح الصّدر توسعته بحيث لايضيق عن ملائمٍ و لاعن غير ملائم، و شرح صدر محمّدٍ ﷺ كان عبارة عن عدم ضيقه عن الجمع بين الكثرات و الوحدة، و دعوة الخلق و عبادة الحقّ.

روى انّه سئل النّبىّ ﷺ فقيل: يا رسول الله ﷺ اين شرح الصّدر؟ـ قال: نعم، قال: يا رسول الله ﷺ و هل لذلك علامة يعرف بها؟ـ قال: نعم، التّجافى عن دار الغرور، و الانابة الى دار الخلود، و الاعداد للموت قبل نزول الموت.

[وَ وَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي اَنْقَضَ ظَهْرَكَ] اى حملك الثّقيل الّذى صوّت، او اثقل، او كسر ظهرك، و المراد ثقل دعوة الخلق او معاشرتهم، او ثقل استماع الوحى و رؤية الملك فانّه ﷺ فى اوّل نزول الوحى صار محموماً و قال: دثّرونى كما سبق، او ثقل اظهار النّبوّة و اظهار الصّلوة و غيرها، او ثقل اذى الكفّار و الغموم الّتى تلحقه منهم، او ثقل اصلاح المسلمين و اقامتهم على الدّين.

[وَ رَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ] بعد ما كنت خامداً مختفياً فى شعب عمّك مدّة مديدة، فانّه رفع ذكره حتّى سمع به فى حياته العرب و العجم و سمع به بعد وفاته جميع البلاد، و رفع ذكره بحيث قرنه بذكره تعالى فى الاذان الاعلاميّ و فى اذان الصّلوة و اقامتها، و رفع ذكره بحيث يذكره الخطّاب و الوعّاظ فى خطبهم و مواعظهم و منابرهم، و رفع ذكره بحيث كلّ من سمع بـه صـلّى عليه، و رفع ذكره بان شقّ اسمه من اسمه.

[فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا] الفاء للسّببيّة و المعنى سهّلنا لك امورك بعد ما كان صعباً اليك بسبب انّا جعلنا ان يكون لكلّ عسرٍ يسرين فهو تـعليل لسابقه و وعد له ﷺ بيسرٍ آخر، و المراد بالعسر الفقراو تألّمه ﷺ عن عدم ايمان قومه و عن ايذاء المشركين له ﷺ و للمؤمنين، او ضيق صدره عن المعاشرة مع الخلق و دعوتهم و اقامة عوجهم.

[إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا] تكرير للاوّل و تأكيد له و لذلك لم يأت باداة الوصل، و المكرّر اذا كان معرّفاً باللّام كان عين الاوّل اذا لم يكن قرينة، و اذا لم يكن قرينة، و اذا كان منكّراً كان غيره اذا لم يكن قرينة على خلافه.

و لذلك ورد فى الاخبار انّه: لايغلب عسرٌ يسرين، فعن النّبيّ ﷺ انّه خرج مسروراً فرحاً و هو يضحك و يقول: لن يغلب عسرٌ يسرين فـانّ مـع العسر يسراً، انّ مع العسر يسراً.

[فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَ إِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ] نصب من باب عـلم بمعنى اعيى واتعب: و عيش ناصبٌ ذوكدّ وجهد، و نصب من باب ضـرب بمعنى رفع و وضع من الاضداد، و نصب له من باب ضرب بمعنى عاداه، و النّاصبيّ من كان معادياً لعليٍّ عليه السلام مبالغةٌ فى النّاصب، او منسوب الى مـن

ابداع المعاداة له ﷺ اوّلاً، و المعنى كلّما فرغت ممّا عليك من مرّمة معاشك و من دعوة الخلق و جهادهم و ممّا افترض الله عليك من امور دينك فاجهد واتعب فى ابتغاء وجه الله و مرضاته.

و قيل: اذا فرغت من عبادة فعقّبها باخرى و لاتخلّ وقتاً من اوقاتك فارغاً لم تشغله بعبادة.

و عن الصّادقين عليهم السلام: فاذا فرغت من الصّلوة المكتوبة فانصب الى ربّك فى الدّعاء و ارغب اليه فى المسئلة يعطك.

و عن الصّادق عليه السلام: هو دعاء فى دَبْر الصّلوة و انت جالس.

و قيل: اذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام اللّيل.

و قيل: اذا فرغت من دنياك فانصب فى عبادة ربّك، و قيل: اذا فرغت من الجهاد فانصب فى العبادة، او فانصب فى جهاد نفسك.

و قيل: اذا فرغت من العبادة فانصب لطلب الشّفاعة، و قيل: اذا صححت و فرغت من المرض فانصب فى العبادة، و قيل: اذا فرغت ممّا يهمّك فانصب فى الفرار من النّار.

و عن الصّادق عليه السلام: اذا فرغت من نبوّتك فانصب عليّاً عليه السلام، و الى ربّك فارغب، و عنه انّه قال: يقول: فاذا فرغت فانصب علمك و اعلن وصيّك فأعلمهم فضله علانيةً فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، الحديث.

قال: و ذلك حين أُعلم بموته و نُعِيَت اليه نفسه، و ظاهر هذين الخبرين انّه عليه السلام قرئ: انصب بكسر الصّاد، و يمكن استفادة هذا المعنى من القراءة المشهورة لجواز ان يكون المعنى اذا فرغت من تبليغ الرّسالة و تبليغ جميع الاحكام، او من حجّة الوداع فجدّوا تعب فى خلافة عليٍّ عليه السلام

فيكون بمعنى اعى، او بمعنى ارفع خليفتك و اعلنه، او بمعنى ارفع خليفتك عليهم.

قال الزّمخشريّ: و من البدع ما روى عن بعض الرّافضة انّه قرئ فانصب بكسر الصّاد اى فانصب عليّاً عليه السلام للامامة، و لو صحّ هذا للرّافضيّ لصحّ للنّاصبيّ انّ يقرأه هكذا و يجعله آمراً بالنّصب الّذى هو بغض علىٍّ عليه السلام اقول: ليس فى القراءات المشهورة و لافى الّشاذّة قراءة انصب بكسر الصّاد، و لادلالة فيما ذكرناه من الرّ وايتين على القراءة المذكورة، و قوله تعالى بعد ذلك: و الى ربّك فارغب، يدلّ على انّه امر بنصب الخليفة فانّ ظاهره يدلّ على نعى نفسه صلى الله عليه وآله، والمناسب لنعى نفسه تعيين الوصىّ لنفسه و نصب خليفةٍ للنّاس لئّلا ينفصم نظامهم.

سُورَة والتّين

مكّيّة، و قيل: مدنيّة، ثمان آياتٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَ التّينِ وَ الزَّيْتُونِ] التّين فاكهة معروفة و هو غذاء وادام و فاكهة كثير الغذاء قليل الفضول لانوى له و لاقشر نافع لكثيرٍ من الامراض و اسم جبل بالّشام و مسجد بها، و جبل بقطفان، و اسم دمشق، و مسجد، و طور سيناء بفتح التّاء و المدّ او القصر بمعنى طور سيناء.

و الزّيتون شجرة الزّيت او ثمرتها و هو ايضاً كثير المنافع يعصر منه دهنٌ يكون اداماً و جزءً لاكثر الادام فى بلادهم، و مسجد دمشق، او جبال الّشام، و بلدبالصّين، و قرية بالصّعيد.

و يجوز لله تعالى القسم بكلّ منهما، و لكن لمّا كان قوله: و طور سينين، و هذا البلد الامين معطوفاً عليهما فلاوفق ان يكون المراد بهما احد الامكنة بحسب الظّاهر، و الاوفق بحسب التّأويل ان يكون المراد بالتّين جهة النّفس العمّالة الالهيّة، و بالزّيتون جهتها العّلامة فانّهما مسجد ان فى العالم الصّغير.

[وَ طُورِ سِينِينَ] سينين و سينا بالمدّ مكسورة الّسين و مفتوحتها، و سينىٰ بفتح الّسين و القصر يضاف اليها الطّور، و قد مضى فى سورة المؤمنون بيانٌ لها.

[وَ هٰذَا الْبَلَدِ الْاَمِينِ] اى مكّة، و كونها اميناً لجعلها مأمناً بالمواضعة مأمناً بمحض مشيّة الله حيث ابتلى بعض من اراد التّعرّض لها كأصحاب الفيل.

و طور سينين بحسب التّأويل فى العالم الصّغير اشارة الى الجهة العليا من النّفس الّتى يناجى الصّاعد عليها ربّه ويشاهد حضرته، و هذا البلد الامين الى مقام القلب و نواحيه.

و عن الكاظم عليه السلام انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله انّ الله تبارك و تعالى اختار من البلدان اربعةً فقال تعالى: و التّين و الزّيتون و طور سينين و هذا البلد الامين فالتّين المدينة، و الزّيتون بيت المقدس، و طور سينين الكوفة، و هذا البلد الامين مكّة، و قال القمّىّ: التّين رسول الله صلى الله عليه وآله، و الزّيتون امير المؤمنين عليه السلام، و طور سينين الحسن عليه السلام و الحسين عليه السلام، و هذا البلد الامين الائمّة، و عن الكاظم عليه السلام التّين و الزّيتون الحسن عليه السلام و الحسين عليه السلام، و طور سيناء علىّ بن ابى طالب عليه السلام.

و هذا البلد الامين محمّد صلى الله عليه وآله، و هذه الاخبار اشارة الى بعض وجوه التّأويل [لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ] قوّمه جعله معتدلاً، و قوّمه ازال عوجه، و كون الانسان فى احسن تقويم بحسب الصّورة و المعنى مشهود و محسوسٌ فانّه جُعل اجزائه و اعضائه مناسباً و موافقاً له، و جعل جميع مراتبه العالية ايضاً مناسباً و موافقاً، و اذا لوحظ مع كلّ مولودٍ من النّبات و الحيوان كان احسن تعديلاً منه.

[ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ] نكّر السّافلين للاشارة الى انّهم من فظاعة حالهم و نكارة تسفّلهم لايمكن تعريفهم فانّهم يجعلهم اخسّ و اسفل من النّسوان و الاطفال و المجانين، او جعلناه من اهل اسفل دركات الجحيم، و قد فسّر الانسان بمنافقى الامّة فى الاخبار فيكون الاستثناء منقطعاً.

و ان كان المراد مطلق الانسان و هو الاوفق كان الاستثناء متّصلاً و

كان المعنى لقد خلقنا هذا الجنس فى ضمن جميع الافراد فى احسن تقويم بحسب صورته و باطنه، ثمّ رددناه اسفل سافلين بحسب صورته و بحسب باطنه حيث انزلناه الى اسفل دركات الجحيم.

[اِلَّا الَّذينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة او بالبيعة الخاصّة [وَ عَمِلُوا الصّالِحٰاتِ] قد مضى مكرّراً بيان هذه العبارة يعنى لانردّهم اسفل سافلين.

[فَلَهُمْ اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ] يعنى بسبب انّ لهم اجراً غير مقطوعٍ او غير ممنون به عليهم فانّ المؤمنين كما يكونون من اوّل الصّبا فى النّمو بحسب الصّورة يكونون فى النّموّ بحسب الباطن الى آخر العمر ليس ينقص زيادة العمر من ايمانهم شيئاً، و كما يكونون بحسب الباطن فى النّموّ يكون اكثرهم بحسب الظّاهر فى ازدياد البهاء و النّضرة الى آخر العمر.

[فَمٰا يُكَذِّبُكَ] كذّب بالامر من باب التّفعيل انكره، و كذّبه حمله على الكذب و جعله كاذباً وعدّه كاذباً و المعنى اىّ شىءٍ يحملك او يجعلك او يعدّك كاذباً.

[بَعْدُ] اى بعد هذا الدّليل المشهود المحسوس على الحشر [بِالدّينِ] بالحشر و الجزاء، او بسبب هذا الدّين الّذى انت عليه، او بولاية علىٍّ عليه السلام او بعلىٍّ عليه السلام، و الخطاب خاصّ بمحمّد صلى الله عليه و آله على التّعريض او عامّ.

[اَلَيْسَ اللّهُ بِاَحْكَمِ الْحٰاكِمينَ] اى احسن الحاكمين فى حكمه او اشدّ المتقنين فى اتقان صنعه يعنى انّك اذا نظرت الى صورة الانسان و سيرته ايقنت بانّه احسن حكماً و اتقن صنعاً من كلّ صانعٍ.

و من كان كذلك لايهمل صنعه الّذى عمل فيه دقائق الصّنع الّتى تحيّر فيها اولوا الالباب و لايبطله بلاغايةٍ، فانّ ادنى صانعٍ اذاكان عاقلاً لايبطل صنعه من غير فائدةٍ.

سُورَة العَلق

مكّيّة، عشرون آيةً، و قيل: تسع عشر آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اِقْرَءْ بِاسْمِ رَبِّكَ] فی اكثر الاخبار من طرق العامّة و الخاصّة انّ هذه السّورة اوّل سورةٍ نزلت عليه ﷺ و كانت هذه السّورة فی اوّل يومٍ نزل جبرئيل علی رسول الله ﷺ و اوّ ما نزل كان خمس آياتٍ من اوّلها، و قيل: اوّل ما نزل سورة المدّثّر.

و قيل: فاتحة الكتاب، و لفظة الباء فی باسم ربّك لّلسببيّة او للاستعانة، و المعنی انّك كنت قبل ذلك تقرأ بنفسك، و بعد ما فنيت من نفسك و ابقيت بعد الفناء و ارجعت الی الخلق صرت مشاهداً للحقّ فی الخلق و فاعلاً و قائلاً و قارياً بالحقّ لابنفسك.

فاقرء مكتوبات الله فی الواح الطّبائع و المثال و مقروّات ملائكته عليك و مسموعاتك من وسائط الحقّ تعالی بعد ما رجعت الی الخلق باسم ربّك لابنفسك.

و قيل: لفظة الباء زائدة، و المعنی اقرء اسم ربّك و المعنی انّك كنت تقرأ قبل الفناء اسماء الاشياء، و بعد البقاء ينبغی ان تقرأ اسم ربّك لانّك لاتری بعد ذلك الّا اسماء الله لااسماء الاشياء.

[اَلَّذِي خَلَقَ] يعنی بعد الرّجوع لاتری الاشياء الّا مخلوقين من حيث انّهم مخلوقون، و لمّا كان قوام المخلوق من حيث انّه مخلوق بالخالق

بل لیس للمخلوق من تلك الحیثیّة شیئیّة و انانیّة الّا شیئیّة الخالق و انانیّته فلم یکن فی نظرك الّا اسم الله الخالق، و لمّا کان ظهور خالقیّته و اتقان صنعه و دقائق حکمته و حسن صانعیّته بخلق الانسان و السّیر من مقام کماله فی خلقه او فی امره و خلقه الی اخسّ موادّه بطریق السّیر المعکوس قال تعالی.

[خَلَقَ الْاِنْسٰانَ مِنْ عَلَقٍ] العلق محرّکةً الدّم عامّةً، او الشّدید الحمرة، او الغلیظ، او الجامد منه، و الطّین الّذی یعلق بالید، و الکلّ مناسب.

[اِقْرَءْ] خلق الانسان بدل من خلق نحو بدل البعض من الکلّ، او نحو بدل الکلّ من الکلّ، او تأکید له او مستأنف و تفسیر له، جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ او مفعول لاقرء الثّانی و هو جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ کأنّه قیل: ما اقرء؟ـ فقال: اقرء خلق الانسان من علقٍ.

[وَ رَبُّكَ الْاَکْرَمُ] الکریم السّخیّ الحیّی الّذی یعطی بلاعوضٍ و لاغرضٍ، و یتحمّل من غیر عجزٍ، و لایظهر اساءة المسیء فی وجهه، و الاکرم البالغ فی ذلك، و هو خبر ربّك او وصفه.

[اَلَّذی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ] ای علّم الانسان الخطّ بالقلم، او علّم جمیع مادون الاقلام العالیة جمیع ما یحتاجون الیه تعلیماً وجودیّاً او تعلیماً شعوریّاً بتوسّط الاقلام العالیة، او اشعر الانسان بالقلم الطّبیعیّ حتّی حصّل انواع الخطوط بتوسّطه، او اشعر الانسان بالاقلام العالیة و انّها اوائل علله حتّی یطلب التّشبّه بها و الوصول الیها.

[عَلَّمَ الْاِنْسٰانُ مٰالَمْ یَعْلَمْ] بدل او تأکید او مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ و المراد من التّعلیم بالقلم التّعلیم الوجودیّ و بتعلیم ما لم یعلم التّعلیم الشعوریّ یعنی علّم الانسان بالتّعلیم الشعوریّ ما لم یعلم بالتّعلیم

الوجوديّ او كلاهما عامّ.

[كَلّاٰ] ردع و جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ان كان الرّبّ الاكرم الّذى علّم الانسان ما لم يعلم فما له لم يعلم جميع الاناسيّ من اوّل اعمارهم جميع ما لم يعلموا حتّى يستغنوا من اوّل الامر بحسب العلم؟ـ فقال: كفّ عن هذا الّسؤال و هذا التّمنّى.

[اِنَّ الْاِنسٰانَ لَيَطْغٰى اَنْ رَءاٰهُ اسْتَغْنٰى اِنَّ اِلٰى رَبِّكَ الرُّجْعٰى] خطاب لمحمّدٍ ﷺ او للانسان، و جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه ﷺ قال: فماله بعد هذا الطّغيان؟

ـ او كأنّ الانسان قال: فما لنا بعد الطّغيان؟

ـ قال: انّ الى ربّك الرّجعى.

[اَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهٰى عَبْدًا اِذٰا صَلّٰى] نزلت فى ابى جهل فانّه قال: لو رأيت محمّداً ﷺ يغفّر لَوَطَئْتُ عنقه.

فقيل: هو يسجد، فجاء ثمّ رجع على عقبه و كان يتّقى بيديه، فقيل له فى ذلك، فقال: انّ بينى و بينه خندقاً من النّار و هولاً واجنحةً.

[اَرَأَيْتَ اِنْ كٰانَ] المصلّى [عَلَى الْهُدٰى اَوْ اَمَرَ بِالتَّقْوٰى] اى وامر بالتّقوى لكنّه أتى بلفظة او للاشعار بانّ كّلاً من الوصفين يكفى فى سوء حال النّاهى عن الصّلوة، و جواب الّشرط محذوف.

[اَرَأَيْتَ] هذه و سابقتها تكريرٌ و تأكيدٌ للاولى فانّ المقام مقام الذّمّ و الّسخط، و التّكرير مطلوبٌ.

[اِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى] متعلّق كّذب و تولّى يجوز ان يكون الله او الرّسول او الصّلوة.

[اَلَمْ يَعْلَمْ بِاَنَّ اللّٰهَ يَرٰى] يعنى ان كان يعلم فهو ملوم مستحقّ للعذاب مرّ تين، و ان كان لايعلم فهو ملوم و مستحقّ للعذاب مرّة واحدة [كَلّاٰ] ردع للانسان عن فعلته.

[لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنّٰاصِيَةِ] سفعه لطمه و ضربه، و سفع الّشىء و سمه، و سفع الّسموم وجهه لفحه لفحاً يسيراً، و سفع بناصيته قبض عليها فاجتذبها، و يجوز ان يكون الّسفع ههنا من كلّ من هذه‌اى لنقبضنّ على ناصيته و نجرّنّه الى النّار.

او لنسوّدنّ وجهه، و الاختصاص بالنّاصية لانّه اشرف اجزاء الوجه و ما به ظهوره اوّلاً، او لنعلمنّه[١] او لنذلّنّه، و قد مضى فى سورة هودٍ تحقيق الاخذ بناصية كلّ دابّةٍ عند قوله تعالى: ما من دابّة الّا هو آخذٌ بناصيتها.

[نٰاصِيَةٍ كٰاذِبَةٍ خٰاطِئَةٍ] نسبة الكذب و الخطيئة الى النّاصية مجاز [فَلْيَدْعُ نٰادِيَهُ] اى اهل ناديه، قيل: انّ اباجهلٍ قال: اتهدّدنى و انا اكثر اهل الوادى نادياً؟

ـ فنزلت [سَنَدْعُ الزَّبٰانِيَةَ] جمع الزّبنية كشرذمة متمرّد الجنّ و الانس و الّشديد منهما، و الّشرطىّ، او الزّبانية جمع الزنبىّ بكسر الزّاء و النّون وتشديد الياء بمعنى الّشرطىّ، يعنى سندعوا الزّبانية لاخذه فليدع ناديه لدفع العذاب و مدافعتنا.

[كَلّاٰ] ردع لمحمّدٍ ﷺ عن انثلام عزيمته، فى طاعة ربّه، او الخطاب عامّ و كّلا ردعٌ لمن اراد اتّباع ابى جهلٍ فى غوايته [لٰا تُطِعْهُ] فى النّهى عن الصّلوة او فى تكذيبه لمحمّدٍ ﷺ.

---

(١) من العلامة.

[وَ اسْجُدْ][1] و لاتكترث بنهيهای صلّ و اسجد فی صلوتك او تذلّل لربّك [وَ اقْتَرِبْ] بسجدتك الى ربّك فانّ اقرب ما يكون العبد الى ربّه و هو ساجد، و الّسجوه ههنا فرض.

فعن ابی عبدالله عليه السلام: العزائم آلم تنزيل، وحم الّسجدة، و النّجم اذاهوی، و اقرء باسم ربّك، و ما عداها فی جميع القران مسنون و ليس بمفروض، و فرض الّسجدة على الامّة ان كان الخطاب خاصّاً بمحمّد صلى الله عليه وآله كان بتبعيّته .

و فرض الّسجدة لقراءة امثال هذه الاية او استحبابه لماذ كرنا مكرّراً انّ القاری ينبغی ان يكون حين القراءة فانياً عن نسبةالافعال الى نفسه و يكون لسانه لسان الله لالسان نفسه حتّى لايمكون فی زمرة من قال الله تعالى: يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب و ما هو من الكتاب فاذا صار لسان القاری لسان الله ينبغی ان يستمع الامر بالّسجدة من الله فيسجد لسماع الامر بالّسجدة امتثالاً لامر الله المسموع من لسانه الّذی صار لسان الله.

---

(١) سجدةٌ واجبةٌ.

سُورَة القَدر

مكّيّة، و قيل: مدنيّة، ستّ اٰياتٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اِنّٰا اَنْزَلْنٰاهُ] اى القران، ابهمه من دون ذكرٍ له تفخيماً له بادّعاء انّه معيّن من غير تعيينٍ كما انّ نسبة الانزال الى ضمير المتكلّم و تعيين الظّرف تفخيم له و قد انزل القران بصورته [فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ] الّتى هى صدر محمّدٍ صلّى الله عليه وآله، و فى ليلة القدر الّتى هى النّقوش المداديّة و الالفاظ الّذى يختفى المعانى تحتها.

اعلم، انّه يعبّر عن مراتب العالم باعتبار امد بقائها، و عن مراتب الانسان باعتبار النّزول باللّيالى و باعتبار الصّعود بالايّام لانّ الصّاعد يخرج من ظلمات المراتب الدّانية الى انوار المراتب العالية.

و النّازل يدخل من انوار المراتب العالية فى ظلمات المراتب النّازلة كما انّه يعبّر عنها باعتبار سرعة مرور الواصلين اليها و بطوء مرورهم بالّساعات و الايّام و الّشهور و الاعوام.

و ايضاً يعبّر عنها باعتبار الاجمال فيها بالّساعات و الايّام و باعتبار التّفصيل بالّشهور و الاعوام، و انّ المراتب العالية كلّها ليالٍ ذووالاقدار و انّ عالم المثال يقدّر قدر الاشياء تماماً فيه و يقدّر ارزاقها و آجالها و مالها و ما عليها فيه.

و هو ذو قدرٍ و خطر، و هكذا الانسان الصّغير و ليالى عالم الطّبع كلّها مظاهر لتلك اللّيالى العالية، فانّها بمنزلة الارواح لليالى عالم الطّبع و بها تحصّلها و بقاؤها لكن لبعض منها خصوصيّة، بتلك الخصوصيّة تكون

تلك اللّيالى العالية اشدّ ظهوراً فى ذلك البعض .

و لذلك ورد بالاختلاف و بطريق الابهام و الّشكّ: انّ ليلة القدر ليلة النّصف من شعبان، او التّاسع عشر اوالحادى و العشرون، او الثّالث و العشرون، او السّابع و العشرون، او اللّيلة الاخيرة من شهر رمضان و غير ذلك من اللّيالى، و عالم الطّبع و كذلك عالم الشّياطين و الجنّ بمراتبها ليس بليلة القدر، و هذان العالمان عالما بنى اميّة و ليس فيهما ليلة القدر، و الاشهر المنسوبة الى بنى اميّة الّتى ليس فيها ليلة القدر كناية عن مراتب ذينك العالمين.

[وَ مٰا اَدْرٰيكَ مٰا لَيْلَةُ الْقَدْرِ] الاتيان بالاستفهامين لتفخيم تلك اللّيلة، و لمّا لم يمكن بيان حقيقة تلك اللّيلة قال تعالى [لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ اَلفِ شَهْرٍ] ليس فيها ليلة القدر.

فى اخبارٍ كثيرةٍ عن طريق الخاصّة: انّ رسول الله ﷺ رأى فى منامه انّ بنى اميّة يصعدون على منبره من بعده و يضلّون النّاس عن الصّراط القهقهرى فأصبح كئيباً حزيناً فهبط عليه جبرئيل فقال: يا رسول الله ﷺ مالى اراك كئيباً حزيناً؟ـ قال: يا جبرئيل انّى رأيت بنى اميّة فى ليلتى هذه يصعدون منبرى من بعدى يضلّون النّاس عن الصّراط القهقرى، فقال: و الّذى بعثك بالحقّ نبيّاً انّى ما اطّلعت عليه فعرج الى السّماء فلم يلبث ان نزل عليه بآىٍ من القران يونسه بها، قال: افرأيت ان متّعناهم سنين ثمّ جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتّعون و انزل عليه، انّا انزلناه فى ليلة القدر و ما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خيرٌ من الف شهر، جعل الله ليلة القدر لنبيّه ﷺ خيراً من الف شهر ملك بنى اميّة.

روى انّه ذكر لرسول الله ﷺ رجلٌ من بنى‌اسرائيل انّه حمل الّسلاح على

عاتقه فى سبيل الله الف شهرٍ فعجب من ذلك عجباً شديداً و تمنّى ان يكون ذلك فى امّته فقال: يا ربّ جعلت امّتى اقصر الامم اعماراً و اقلّها اعمالاً فأعطاه الله ليلةالقدر و قال: ليلة القدر خيرٌ من الف شهر الّذى حمل الاسرائيلىّ الّسلاح فى سبيل الله لك و لامتّك من بعدك الى يوم القيامة فى كلّ رمضان.

[تَنَزَّلُ الْمَلٰائِكَةُ وَ الرُّوحُ] تنزّل نزل فى مهلةٍ و مضى فى سورة بنى‌اسرائيل بيان الرّوح و انّه اعظم من جميع الملائكة و انّه ربّ النّوع الانسانىّ [فيهٰا بِاِذْنِ رَبِّهِمْ] بعلمه او اباحته [مِمْ كُلِّ اَمْرٍ] لاجل كلّ امرٍ قدّر فى تلك اللّيلة.

وقرئ من كلّ امرءٍ بهمزة فى‌آخره يعنى من اجل كلّ انسان من‌حيث خيره او شرّه‌و قيل: من كلّ امرٍ متعلّق بقوله تعالى [سَلٰامٌ هِىَ]و الظّاهر انّه متعلّق بتنزّل و معنى سلامٌ هى [حَتّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ] انّ تلك اللّيلة سلامة من كلّ شرٍّ و آفة، او هى تحيّة على طريق المجاز.

كما ورد عن الّسجّاد عليه‌السلام يقول: يسلّم عليك يا محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله ملائكتى و روحى سلامى من اوّل مايهبَطون الى مطلع الفجر، و قال القمّىّ: تحيّة يحيّى بها الامام الى ان يطلع الفجر، و فى خبرٍ انّ علامة ليلة القدر ان يطيب ريحها ان كانت فى برد دفئت، و ان كانت فى حرٍّ بردت.

و فى روايةٍ: لاحارّة و لاباردة تطلع الّشمس فى صبيحتها ليس لها شعاع.

سُورَة البّيِنَة.

مدنيّة، و قيل: مكّيّة، ثمان اٰياتٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتٰابِ] اى اليهود و النّصارى فانّهم كانوا معروفين بهذا الاسم.

[وَ الْمُشْرِكِينَ] عبدة الاصنام او عبدة الاصنام و غيرهم من اصناف المشركين، و سمّى اهل الكتاب كافرين لانّهم ستروا الدّين و الطّريق الى الله، و ستروا الحقّ بحسب صفاته و ان كانوا اقرّوا بالتّوحيد.

[مُنْفَكِّينَ] اى لم يكونوا متفرّقين بان يكون بعضهم على الحقّ و بعضهم على الباطل بل كان جميعهم على الباطل مجتمعين فيه او منفكّين عن دينهم او عن الوعد باتّباع الحقّ اذا جاءهم محمّد ﷺ او عن الاقرار بمحمّدٍ ﷺ و رسالته او عن الحجج و البراهين.

[حَتّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ] المراد بالبيّنة الرّسول ﷺ او رسالته او معجزاته، و استقبال تأتيهم بالنّسبة الى قوله لم يكن و الّا فهو على المضىّ [رَسُولٌ مِنَ اللّٰهِ] بدل من البيّنة بدل الكلّ او بدل الاشتمال او رسوله خبر مبتدءٍ محذوفٍ او مبتدء خبرٍ محذوفٍ او مبتدءٌ خبره قوله تعالى.

[يَتْلُو] عليهم [صُحُفًا مُطَهَّرَةً] و المراد بالصّحف الالواح العالية و الاقلام الرّفيعة، او الصّدور المستنيرة و القلوب المضيئة، او الكتب الماضية السّماويّة من كتب الانبياء الماضين و الكلّ مطهّر من التّغيير و التّبديل و المادّة و نقائصها و انقلاباتها و من مسّ ايدى الاشرار و من

الاتيان البطلان اليها.

[فِيهٰا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ] اى مكتوبات مستقيمة لاعوج فيها اصلاً، او مقيمة تقيم كلّ من اتّصل بها، او معتدلة لاانحراف فيها، او كافية يكفى جميع امور من توسّل بها، او المراد بالصّحف المطهّرة القران و فيها جميع العلوم القلبيّة و القالبيّة الكافية لمن تدبرّها و توسّل بها.

[وَ مٰا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ] فيما ذكر سابقاً [إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ مٰاجٰاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ] يعنى لم يكونوا منفكّين عن دينهم او اجتماعهم او تصديق محمّدٍ ﷺ و ما تفرّقوا الّا بعد الرّسول ﷺ بان صدّق بعضهم و كذّب بعضهم و بقى بعضهم على دينه و ترك بعضهم دينه.

[وَ مٰاأُمِرُوا] اى والحال انّهم ما امروا بشيءٍ [إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفٰاءَ] الحنيف الصّحيح الميل الى الاسلام الثّابت عليه و كلّ من حجّ او كان على دين ابراهيم.

[وَ يُقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكٰوةَ] قد مضى فى اوّل البقرة بيان لاقامة الصّلوة و ايتاء الزّكوة يعنى انّ اهل الكتاب ما امروا على لسان انبيائهم عليهم السلام و فى كتبهم الّا بتوحيد العبادة المستلزم لتوحيد الواجب و المبدء، و باقامة الصّلوة الّتى هى عماد الدّين و جالب الخصائل، و ايتاء الزكوة الّذى هو تطهير من كلّ رذيلةٍ، و ما تأمرهم انت ايضاً الّا بذلك، فمالهم اختلفوا فى تصديقك و تكذيبك؟!

[وَ ذٰلِكَ] اى توحيد العبادة و توحيد المبدء و اقامة الصّلوة و ايتاء الزّكوة [دِينُ الْقَيِّمَةِ] اى دين الكتب القيّمة، و قيل: القيّمة جمع القائم اى دين القوم القائمين بأمرالله.

[اِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا] بالرّسول ﷺ او بكتابه او بأمر الله تعالى فى رسوله ﷺ او بالولاية و الجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن حال المختلفين.

[مِنْ اَهْلِ الْكِتٰابِ وَ الْمُشْرِكينَ] عطف على الّذين كفروا او على اهل الكتاب [فى نٰارِ جَهَنَّمَ خٰالِدينَ فيهٰا اُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ اِنَّ الَّذينَ اٰمَنُوا] من اهل الكتاب و المشركين او من اىّ فرقةٍ كانوا [وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ اُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزٰاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّٰاتُ عَدْنٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰارُ خٰالِدينَ فيهٰا اَبَدًا رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ] و مقام الرّضا آخر مقامات النّفس الانسانيّة كما انّ جنّة الرّضوان آخر الجنان.

[ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُ] قد مضى مكرّراً انّ الخشية حالة حاصلة من امتزاج الخوف و الحبّ و لاتكون الّا بعد العلم بالمخشىّ منه الّذى كان له محبوبيّة و لذلك قال تعالى: انّما يخشى الله من عباده العلماء يعنى من لم يعلم بالله لم يخشه لعدم حصول المحبّة له.

سُورَة الزّلزال

تسع آياتٍ مدنيّة، و قيل: مكّيّة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اِذٰا زُلْزِلَتِ الْاَرْضُ زِلْزٰالَهٰا] المعهود و هو زلزال القيامة الصّغرى او الكبرى او الزّلزال الّلائق بحالها و هو الزّلزال المحيط بها و هو الزّلزال العامّ الّذى ليس الّا فى القيامة، فانّ ارض البدن عند الاحتضار يتزلزل تزلزلاً عظيماً.

[وَ أَخْرَجَتِ الْاَرْضُ اَثْقٰالَهٰا] اثقال الارض عبارة عن القوى و الارواحن و عن القوى و الاستعدادات المكمونة فى ارض العالم الكبير او فى الابدان فانّ ارض البدن عند الموت تخرج بالموت جميع ما فيها من الفعليّات الموجودة و الاستعدادات المكمونة و تظهر حينئذٍ جميع المكمونات فى العالم الكبير.

[وَ قٰالَ الْاِنْسٰانُ] الواقع فى الزّلزال او النّاظر الى الزّلزال تعجّباً من ذلك الزّلزال [مٰا لَهٰا يَوْمَئِذٍ تَحَدِّثُ اَخْبٰارَهٰا] روى عن الباقر عليه السلام انّ امير المؤمنين عليه السلام قال: انا الانسان و ايّاى تحدّث اخبارها، و روى عن النّبىّ صلى الله عليه وآله انّه قال: اتدرون ما اخبارها؟ـ قالوا: الله و رسوله اعلم، قال: اخبارها ان تشهد على كلّ عبدٍ وامةٍ بما عمله على ظهرها، تقول: عمل كذا و كذا يوم كذا و كذا.

فهذه اخبارها [بِاَنَّ رَبَّكَ اَوْحٰى لَهٰا] ان تحدّث وحى الهامٍ او وحياً بتوسّط الملك [يَوْمَئِذٍ] اى يوم القيامة الصّغرى [يَصْدُرُ النّٰاسُ] اى

القوى و المدارك الانسانيّة فى العالم الصّغير من مراقدها و محالّها او يوم القيامة الكبرى يصدر افراد النّاس من مراقدهم و مواقفهم [اَشْتٰاتًا] متفرّقين فى صفوفٍ عديدةٍ بحسب مراتبهم و درجاتهم فى السّعادة و الشّقاوة.

[لِيُرَوْا اَعْمٰالَهُمْ] قرئ بفتح الياء و ضمّها، و قد مضى مكرّراً انّ العامل يحصل من عمله فعليّة فى نفسه و يراه العامل بعد الموت بصورةٍ مناسبةٍ لذلك العمل و هذا العامل، و يرى صورةً اخرى موافقةً لتلك الصّورة فى الاخرة فيرى أعماله بانفسها و بصورها الّلائقة بها المعبّر عن تلك الصّور بجزاء الاعمال.

[فَمَنْ يَعْمَلْ] من المؤمنين [مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ] اى مقدار ذرّةٍ [خَيْرًا يَرَهُ] يعنى لايعزب عن نظر المؤمنين شىءٌ يسيرٌ من اعماله و يرى اعماله بصورها و بجزائها، و امّا شرور المؤمن فامّا ممحّوة او مغفورة او مبدلة، فلايراها، او المعنى فمن يعمل من المؤمن و الكافر مثقال ذرّة خيراً يره لكنّ المؤمن يراه فى ميزان نفسه و الكافر يراه فى ميزان المؤمن، فيزداد تحسّره.

[وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ] يعنى من يعمل من الكافر فانّ خيرات الكافرتحبط، و شرور المؤمن قد ذكر انّه لايراها، او من الكافر و المؤمن فانّ المؤمن يرى شروره فى ميزان الكافر.

سُورَة والعاديات

احدى عشرة آيةً، مدنيّة، و قيل: مكّيّة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَ الْعٰادِيٰاتِ ضَبْحًا] اقسم بالخيل العاديات فى الجهاد، و الضّبح صوت انفاس الخيل و هو مفعول مطلق للعاديات فانّها مستلزمة للضّبح، او لفعله المحذوف، او حال بمعنى ضابحاتٍ.

[فَالْمُورِيٰاتِ قَدْحًا] ورى الزّند خرجت ناره، و اوريت الزّند اخرجت ناره، عبّر عن خروج النّار من ملاقات حوافر الخيل و الاحجار بالايراء و القدح.

[فَالْمُغيرٰاتِ صُبْحًا] اى وقت صبح، و اغار بمعنى عجّل فى المشى واغار على القوم غارةً واغارةً، واغار الفرس اشتدّ عدوه فى الغارة.

[فَأَثَرْنَ بِهِ] اى بالصّبح او بالعدو [نَقْعًا] اى غباراً [فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا اِنَّ الْاِنسٰانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ] الكنود كافر النّعم، و الكافر و اللّوّام لربّه تعالى، و البخيل، و العاصى، و من يأكل وحده و يمنع رفده و يضرب عبده، و المراد بالانسان مطلق الانسان.

فانّها كما روى نزلت فى غزاة علىٍّ عليه السلام لاهل الوادى اليابس كانوا اثنى عشر الفاً قد استعدّوا و تعاهدوا و تعاقدوا على ان يقتلوا محمّداً صلى الله عليه وآله و علىّ بن ابى طالب عليه السلام فأرسل النّبىّ صلى الله عليه وآله اليهم ابابكر فلمّا وصل اليهم و رأى عدّتهم و كثرتهم جبّن و جبن اصحابه و رجع الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال الرّسول صلى الله عليه وآله: خالفت قولى و عصيت الله و عصيتنى.

ثمّ ارسل اليهم عمر، ففعل مثل ما فعل صاحبه، ثمّ ارسل اليهم علياًعليه السلام و اخبر انّه سيفتح الله على يديه، فسار علىّعليه السلام اليهم فى اربعة آلافٍ من المهاجرين و الانصار و سار بهم غير مسير صاحبيه فانّهما كانا يسيران برفقٍ و سار علىّعليه السلام و اتعب القوم حتّى وصل الى مكانٍ يرونهم فلمّا سمع اهل الوادى اليابس بمقدم علىٍّعليه السلام اخرجوا اليه منهم فأتى رجل شاكى الّسلاح و خرج علىّعليه السلام مع نفرٍ من اصحابه فقالوا لهم: من انتم؟ـ و من اين اقبلتم؟ـ قال: انا علىّ بن ابى طالب جئنا اليكم لنعرض عليكم الاسلام فان تقبّلوا و الّا قتلناكم، فقالوا: انّا قاتلوك و قاتلوا اصحابك، و الموعود بيننا و بينك وقت الضّحوة من غدٍ.

فانصرفوا و انصرف علىّعليه السلام، فلمّا جنّة اللّيل امر اصحابه ان يحسنوا الى دوابّهم فلمّا انشقّ عمود الّصبح صلّى بالنّاس بغلسٍ ثمّ غار عليهم بأصحابه، فلم يعلموا حتّى وطئتهم الخيل فما أدرك آخر اصحابه حتّى قتل مقاتليهم، و سبى ذراريهم، و استباح اموالهم، و خرّب ديارهم، و اقبل بالاسارى و الاموال معه.

فصعد الرّسول صلى الله عليه وآله المنبر قبل وصول علىٍّعليه السلام و اخبر النّاس بما فتح الله على المسلمين و اعلمهم انّه لم يفلت منهم الّا رجلان، و نزل، فخرج يستقبل علياًعليه السلام فى جميع اهل المدينة حتّى لقيه على ثلاثة اميال من المدينة، فلمّا رآه علىّعليه السلام مقبلاً نزل عن دابّته و نزل النّبىّ صلى الله عليه وآله حتّى التزمه و قبّل ما بين عينيه، و عن جعفر بن محمّدٍعليه السلام: ما غنم المسلمون مثلها قطّ الّا ان يكون من خيبر فانّها مثل خيبر فانزل الله تبارك فى ذلك اليوم هذه الّسورة.

[وَ اِنَّهُ عَلٰى ذٰلِكَ لَشَهيدٌ] يعنى انّ الانسان يشهد و يعلم انّه كنود، او الله يشهد على انه كنود [وَ اِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَديدٌ] اى بخيل او قوىّ، و المراد بالخير المال او الحياة او كلّ ما كان ملائماً للانسان.

[اَفَلا يَعْلَمُ اِذا بُعْثِرَ] اى بعث [ما فِى الْقُبُورِ] اى قبور التّراب من الاموات، و قبور الابدان من القوى و الفعليّات، و القوى و الاستعدادات المكمونات.

[وَ حُصِّلَ ما فِى الصُّدُورِ] من النّيّات و الارادات و الخيالات و الاعتقادات [اِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبيرٌ] الجملة مفعول يعلم معلّق عنها العامل يعنى انّه ينبغى ان يعلم ذلك فيرتدع من خلاف قول رسوله ﷺ و ضمير بهم راجع الى الانسان لانّه امّا فى معنى الجنس، او راجع الى ما فى القبور، و التّعبير بما لانّ ما فى القبور مادام فى القبور فى حكم غير ذى الّشعور، و اذا بعث من القبور صار فى حكم ذى الّشعور.

سُورَة القارعة

مكّيّة، احدى عشرة آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اَلْقٰارِعَةُ مَا الْقٰارِعَةُ وَ مٰا اَدْريٰكَ مَاالْقٰارِعَةُ] وضع الظّاهر موضع المضمر و تكرير الاستفهام و نفى دراية محمّدٍ ﷺ او دارية من له شأن الدّراية تعظيم و تهويل للقارعة و المراد بالقارعة امّا القيامة فانّها تقرع كلّ من كان له فى الدّنيا انانيّة بما فيها من الاهوال، او المراد بها الدّاهية الّتى تكون فى القيامة.

[يَوْمَ يَكُونُ النّٰاسُ كَالْفَرٰاشِ الْمَبْثُوثِ] الّذى يتهافت على الّسراج و لايكون لحركته و طيرانه نظام، شبّه النّاس فى القيامة به لشدّة تحيّرهم و عدم انتظام حركاتهم مثل قوله تعالى: كأنّهم جرادٌ منتشرٌ و يوم منصوب بالقارعة، او باعنى محذوفاً، او بيكون محذوفاً.

[وَ تَكُونُ الْجِبٰالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ] العهن الصّوف او المصبوغ منه الواناً، و المنفوش المنتشر و المعنى تكون الجبال كالصّوف المصبوغ المندوف.

[فَاَمّٰا مَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رٰاضِيَةٍ] اى ذات رضا، او الوصف بحال المتعلّق اى فى عيشةٍ راضٍ صاحبها بها.

[وَ اَمّٰا مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِينُهُ فَاُمُّهُ هٰاوِيَةٌ] الامّ ههنا بمعنى المسكن او الخادم، او المعنى امّ رأسه ساقطة فى النّار، لكنّ الاوّل اولى ليوافق ظاهره التّفسير الّذى فى قوله تعالى:

[وَ مٰا اَدْريٰكَ مٰاهِيَةٌ نٰارٌ حٰامِيَةٌ] شديد الحرارة.

سُورَة التكاثُر

مدنيّة، و قيل: مكّيّة ثمان آياتٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اَلْهٰيكُمُ اَلتَّكٰاثُرُ] اى التّفاخر و التّغالب بكثرة المال و الاولاد، او بكثرة العشائر و القبائل، او الاهتمام فى تكثير الاموال و الاولاد، و الى كلٍّ اشير فى الاخبار.

[حَتّىٰ زُرْتُمُ الْمَقٰابِرَ] يعنى ماقنعتم بالتّكاثر بالاحياء حتّى عددتم الموات و الحال انّ الاعتبار بالاموات كان اولى من الافتخار بهم، او الها كم التّفاخر او طلب الكثرة حتّى متّم و دخلتم المقابر، و الى كلٍّ اشير فى الاخبار [كَلاّٰ] ردع عنهاى انتهوا عن ذلك.

[سَوْفَ تَعْلَمُونَ] انّ الاشتغال عن الاخرة بالتّكاثر سبب دخول الجحيم بل هو دخل فى الجحيم لكن لمّا كان مدارككم خدرة و ابصاركم فى غشاوة فى الدّنيا لم تحسّوا بألمها و لم تبصروا نارها و انواع عذابها، او المعنى سوف تصيرون من اهل العلم و اذا صرتم عالمين رأيتم الجحيم و لم يك ينفعكم علمكم حينئذٍ.

[ثُمَّ كَلاّٰ سَوْفَ تَعْلَمُونَ] تأكيد للاوّل و تخلّل ثمّ للمبالغة فى التّأكيد، او الاوّل فى القيامة الصّغرى و الثّانى فى القيامة الكبرى [كَلاّٰ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اَلْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ] فى الدّنيا.

[اَلْجَحِيمَ] كما انّكم فى الاخرة تصيرون عالمين فترونّ الجحيم و قد مضى مكرّراً انّ علوم النّفوس لكونها غير المعلومات و جواز انفكاك

المعلومات عنها اذا كانت النّفوس مدبرة عن دار العلم سمّيت ظنوناً فى الكتاب و الاخبار بخلاف ما اذا كانت مقبلةً على دار العلم، فانّ ظنونها تصير علوماً بل اشرف من العلوم حينئذٍ.

و مراتب اليقين ثلاثٌ؛ علم اليقين و هو ادراك الّشيء بصورته الحاصلة عند النّفس بشهود آثار ذلك الّشيء او وجدانها فى وجوده، و عين اليقين و هو مشاهدة عين ذلك الّشيء، و حقّ اليقين و هو التّحقّق بذلك الّشيء، و المعنى لوتعلمون فى الدّنيا علم اليقين لادّى بكم الى رؤية الجحيم فى الدّنيا فانّ الظّن يؤدّى الى العلم.

و العلم الى الرّؤية، و الرّؤية الى المعانية، و المعانية الى التّحقّق، و لقد مرّ تفصيل تامّ لمراتب الظّنّ و العلم و اليقين، و الفرق بين العلم الاخرويّ و العلم الدّنيويّ فى سورة البقرة عند قوله تعالى: و لبئس ماشروا به انفسهم او كانوا يعلمون [ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ].

اعلم، انّ للرّؤية مراتب؛ فاولى مراتبها المشاهدة بدرجاتها مثل ان يشاهد الّشيء عن بعدٍ من غير تميز جميع معيّناته و جميع دقائق شخصه و صورته، و ثانية مراتبها المعاينة بدرجاتها مثل ان يشاهد الّشيء بجميع مشخّصاته و دقائق وجوده، و ثالثة مراتبها التّحقّق بالمرئىّ بدرجاتها.

[ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ] الاتيان بثمّ للاشارة الى انّ هذا الّسؤال بعد ما علموا انّهم اشتغلوا بما لافائدة لهم فيه، او للتّرتيب فى الاخبار.

[يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ] قد ذكر فى اخبارٍ كثيرةٍ من جملة النّعيم المسؤل عنه ملائمات القوى الحيوانيّة و الملاذّ الدّنيويّة كالطّعام و اللّباس و الرّطب و الماء البارد.

و فى اخبارٍ اخر انكار ان يكون النّعيم المسؤل ذلك و انّ الّسؤال و الامتنان بالنّعمة وصف الجاهل اللّئيم، و انّ الله نهى عن ذلك و انّ الله لايوصف بما لايرضاه لعباده.

و انّ النّعيم المسؤل عنه محمّد صلى الله عليه وآله و علىّ عليه السلام، او حبّنا اهل البيت، او ولايتنا اهل البيت، و التّحقيق فى هذا المقام و التّوفيق بين الاخبار انّ النّعمة كمامرّ مراراً ليست الّا الولاية و كلّ ما اتّصل بالولاية سواء كان من ملائمات الحيوانيّة او من موذيات القوى الحيوانيّة.

و بعبارةٍ اخرى سواء عدّمن النّعم الدّنيويّة او من النّقم الدّنيويّة كان نعمة، و كلّ ما انقطع عن الولاية كان نقمةً و ان كان بصورة النّعمة، و كلّ من اتّصل بالولاية كان ضيفاً لله و كان جميع نعمه الصّوريّة و المعنويّة مباحة له و كان مأموراً بالتّصرّف فيها بمنطوق قوله تعالى: يا ايّها الّذين آمنوا كلوا من طيّبات ما رزقناكم و لايسأل الله تعالى عن شيءٍ منها و لو سأل كان سؤاله مثل الّسؤال عن الضّيف و انّه كيف أكل؟ و لِمَ أكل؟

و على ايّ مقدارٍ أكل؟ و لِمَ لم يعمل لى على قدرما أكل؟ و كان قبيحاً عن البشر فكيف بخالق البشر، و من انقطع عن الولاية كان جميع نعمه الصّوريّة مغصوبة فى يده و للحاكم و المالك ان يسألا الغاصب عن تصرّفاته فى العين المغصوبة، و لاقبح فى ذلك الّسؤال.

و لمّا كان الخطاب للمحجوبين المنقطعين عن الولاية كان المراد بالنّعيم الولاية ثمّ جميع الملائمات الحيوانيّة و الانسانيّة و كان الّسؤال عن اداء شكرها و صرفها فى مصرفها او غير مصرفها.

او المعنى اذا رفع حجاب الخيال و الوهم عن بصائركم و وصلتم الى دار العلم

و شاهدتم الجحيم و الامها و الجنّات و لذّاتها و عاينتم انّ النّعيم الصّوريّ صار سبباً لدخول الجحيم، و ايقنتم انّ النّعيم الصّوريّ كان نقمة فى الحقيقة، و انّ النّعيم كـان الولاية و لوازمها الّتى هى الجنّة و نعيمها تسألون اكان ماكـنتم فـيه مـن المـلاذّ الحيوانيّة نعيماً ام ما عليه المؤمنون توبيخاً لكم؟او المعنى انّكم اذا وصلتم الى مقام المعاينة تسألون عن مقام حقّ اليقين ماهو؟ لانّكم بالمعاينة تجدون ذوق الحقيقة و جاز لكم السّؤال و الجواب عنها.

و ما روى عن الرّسول ﷺ يؤيّد ما وفّقنا به بين الاخبار فانّه ﷺ قال: كلّ نعيمٍ مسؤل عنه صاحبه الّا ما كان فى غزو او حجّ، فانّ السّالك القابل للولاية فى غزوٍ و حجّ شعر بهام لا؟

و كذلك ما روى عن الصّادق عليه السلام انّه قال: من ذكر اسم الله على الطّعام لم يسأل عن نعيم ذلك فانّ الذّاكر لاسم الله ليس لاّ من قبل الولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة فانّ غيره بمضمون: من لم يكن له شيخ تمكّن الشّيطان من عنقه، قد تمكّن الشّيطان منه، و يكون كلّ افعاله و اقواله و احواله بتصرّف الشّيطان فاذا قال، بسم الله: يتصرّف الشّيطان فيه و يخلّى اللّفظ من معناه و يجعل نفسه فى الله فيصير بسم الله فى الحقيقة بسم الشّيطان.

كمامرّ تحقيقه فىاوّل فاتحة الكتاب، و يؤيّد ذلك التّوفيق السّورة الاتية فانّ السّؤال عن النّعمة الّتى انعم الله بها على عباده خسرانٌ بوجهٍ.

سُورَة وَالعَصر

مكّيّة، ثلاث آياتٍ.

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَ الْعَصْرِ] المراد بالعصر وقت صلوه العصر، اقسم بـه كـما اقسـم بالضّحى، او المراد به الدّهر مطلقا.

او عصر النّبىّ ﷺ على ان يكون الّلام لتـعريف العـهد، او صـلوة العصر، او الملكوت فانّها بعدها يختفى شمس الحقيقة فى عالم الطّبع و انّها بمثالها الصّاعد معصورة عالم الطّبع كما انّـها بـمثالها الهـابط مـعصورة الجبروت، او المراد بالعصر مطلق عالم الطّبع لكونه عصير الملكوت.

[اِنَّ الْاِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ]خسر كفرح و ضرب ضلّ، و الخسـر بـالضّمّ و بالضّمّتين مصدره، و خسر وضع فى تجارته عن رأس ماله، و الانسان ما لم يـؤمن بالبيعة الخاصّة الولويّة لم يكن على الطّريق.

فانّ الطّريق علىّ عليه السلام و ولايته، و لم ينفتح باب قلبه و مالم ينفتح باب قلبه بالولاية التّكليفيّة الّتى هى حبل من النّاس كان كلّما فعل حصل له فعليّته فى جـهة نفسه النجهة الّسفليّة و كلّما حصل للنّفس من جهتها الّسفليّة فعليّة اختفى تحت تلك الفعليّة انسانيّته الّتى هى الولاية التّكوينيّة الّتى هى الحبل من الله و بضاعته انسانيّته واختفاؤها خسران بضاعته و لايخلوا الانسان آناًمامن فعل و فعليّةٍ، فـجميع افـراد الانسان فى خسرٍ على الاستمرار.

[اِلَّا الَّذينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة [وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ] بالبيعة الخاصّة او الّا الّذين آمنوا بالبيعة الخـاصّة و عـملوا الصّـالحات بـالوفاء

بشروط البيعة.

[وَ تَوٰاصَوْا بِالْحَقِّ] التّواصى اعمّ من ان يكون بالقال او بالحال او بالفعال او بالدّعاء و الالتماس من الله فى الحضور او بظهر الغيب.

فانّه قدمرّ فى سورة البقرة عند قوله تعالى: اولئك يدعون الى النّار و الله يدعو الى الجنّة بيان انّ المؤمن بوجوده يدعو الى الجنّة و ان لم يكن له دعوة قالاً، و المراد بالحقّ الولاية فانّها حقة بحقيقة الحقّيّة.

و ان كان المراد به الحقّ المطلق كان المراد منه ايضاً الولاية لانّ ظهور الحقّ المطلق لايكون الّا بالحقّ المضاف الّذى هو الولاية و يراد كلّ امر ثابت و كلّ امر غير باطل بارادة الولاية فانّ الكلّ من شعب الولاية.

[وَ تَوٰاصَوْا بِالصَّبْرِ] على الحقّ او بالصّبر مطلقا فانّ جميع انواع الصّبر الّتى امّهاتها ثلاث؛ الصّبر على المصائب.

و الصّبر عن المعاصى، و الصّبر على الطّاعات، راجعة الى الصّبر على الحقّ فانّ المنظور من الصّبر على المصائب ان لايجزع عند المصيبة لانّ الجزع لايكون الّا بالغفلة عن الولاية.

و المنظور من الصّبر عن المعاصى عدم خروج النّفس عن انقياد العقل فى ادامة الحقّ، و الخروج عن الانقياد لايكون الّا بالغفلة عن الولاية، و الصّبر على الطّاعة ليس الّا الصّبر على الولاية الّتى هى روح كلّ طاعةٍ.

و لاشكّ انّ المؤمنين اذا التقيا حَصَل لكلٍّ بملاقاة الاخر صبر و زيادة توجّهٍ و اشتداد ترقّبٍ لوجهته الولويّة، و ليجد المؤمن ذلك من وجوده.

سُورَة الهُمَزة

مكّيّة، تسع آياتٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ] الهمز الغمز، و الضّغط و النّخس و الدّفع و الضّرب و العضّ و الكسر، و الكلّ من باب نصر و ضرب، و اللّمز العيب و الاشارة بالعين و نحوها، و الضّرب و الدّفع و الفعل من البابين.

قيل: المراد بالهمزة الطّعّان، و باللّمزة المغتاب.

و قيل: العكس، و قيل: الهمزة الّذى يطعن فى وجهك و اللّمزة الّذى يطعن فى غيابك، و الصّيغتان تستعملان فيما صار عادة و سجيّةً، و الرّذيلتان حاصلتان فى تركيب الشيطنة و ٱلسبعيّة و البهيميّة.

فانّ صاحبهما بشيطنته يتكبّر على النّاس و يحقّرهم و بغضبه يدفع فضل من يتفضّل عليه، و بشهوته يريد ان يكون ممدوحاً فى النّاس، ذا فضيلته عندهم محبوباً لهم، و اذا اجتمع هذه الخصال يغتاب و يغمزو يطعن فى النّاس لرؤية نفسه و استكباره على الخلق و تحقيرهم، و ارادة كونه محبوباً فيهم بظهور النّقص فيهم وعدم ظهوره فيه، فهما اخسّ الرّذائل.

[الَّذِي جَمَعَ مٰالاً] بحرصه الّذى هو نتيجة قوّته ٱلشهويّة.

[وَ عَدَّدَهُ]اى عدّه مرّةً بعد اخرى لحبّه ايّاه او اعدّه لنوائبه، و الاعداد للنّوائب نتيجة القوى الثّلاث؛ فانّه بشيطنته يريد الاستكبار على الخلق و يدبّر لذلك و يهيّئ اسبابه، و بشهوته يحبّ المال و يدّخره، و بغضبه يريد دفع ما يرد عليه بما ليس ملائماً له و يدفع من اراد ان يدفعه عمّا هو عليه فيهيّئ لذلك اسبابه.

[يَحْسَبُ اَنَّ مٰالَهُ اَخْلَدَهُ] هو على الاخبار، او على الاستخبار بتقدير الاستفهام [كَلّاٰ]ردعٌ له عن هذا الحسبان، ليموتّن و [لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ] الحطم الكسر او خاصّ باليابس، و الحطمة كالهمزة النّار اّلشديدة و اسم لجهنّم او بابٌ لها. [وَ مٰا اَدْرٰيكَ مَا الْحُطَمَةُ نٰارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتي تَطَّلِعَ عَلَى الْاَفْئِدَةِ] يعنى انّها ليست مثل نيران الدّنيا لاتتجاوز عن الاجسام بل هى تتجاوز عن الاجسام و تصل الى القلب بل الى عليا مرتبة القلب الّتى تلى الرّوح و هى الفؤاد، و انموذج ذلك فى الدّنيا انّ الموصوف بالرّ ذيلتين المقهور تحت حكم القوى الثّلاث تحترق نفسه الانسانيّة و قلبه و تنحطم بحيث كأنّه لم يكن له انسانيّة و قلب و اذا نظرت حقّ النّظر رأيته لم يكن فيه شىءٌ من صفات الانسان.

[اِنَّهٰا] اى الحطمة او النّار [عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ] اى مطبقة اى يطبق ابوابها عليهم، او ينطبق النّار عليهم بحيث لاتدع منهم شيئاً.

[في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ] العمد بالتّحريك و العمد بالضّمتّين، و قرئ بهما جمع العمود، و الظّرف حال عن الظّمير المجرور بعلى يعنى انّهم موثّقون على الاعمدة الطّويلة، او حال عن الضّمير المنصوب اى انّ النّار بابوابها مطبقة عليهم حالكونها فى مسامير من الحديد المحمى يعنى انّ الابواب تطبق عليهم ثمّ تشدّ بمسامير من الحديد، و قيل: المراد عمد الّسرادق الّتى فى قوله تعالى: احاط بهم سرادقها، و قيل: المراد بالعمد الاغلال الّتى يقيّدون بها.

سُورَة الفيل

مكّيّة، خمس آياتٍ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِاَصْحٰابِ الْفِيلِ] الخطاب عامّ او خاصّ بمحمّدٍ ﷺ يعنى انّ قضيّتهم مشهورة بحيث تكادترى لكلّ راء و ان كان قد مضى زمانها، و محمّد ﷺ فتح الله بصيرته بحيث صار الماضى و الاتى فى نظره كالحاضر.

[اَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ] لخراب البيت [فِي تَضْلِيلٍ] فى الافناء والاهلاك او فى عدم الاهتداء الى المقصد، قداجمع الرّ واة انّ الّذى قصد بالفيل الكعبة هو ملك اليمن.

و قيل: كان من قبل النّجاشىّ ملك الحبشة على اليمن و كان حركته الى مكّة بأمره، و النّجاشىّ هذا كان جدّ النّجاشىّ الّذى كان فى زمن النّبىّ ﷺ و أقرّ به، و كان اسم ملك اليمن ابرهة بن الصّباح الاثرم و كنيته ابو يكسوم بنى كعبة باليمن و امر النّاس ان يحجّوا اليها.

و انّ رجلاً من بنى كنانة خرج حتّى قدم اليمن ثمّ نظر اليها فقعد فيها القضاء حاجته فغضب ابرهة لذلك و احلف ان يهدم البيت.

ثمّ خرج بجنوده و نزل على ستّة اميال من مكّة فبعث مقدّمته و اصاب مقدّمته مأتى بعيرٍ لعبد المطّلب فلمّا بلغه خرج حتّى أتى القوم فاستأذن على ابرهة فأذن له بعد ما عرفوه انّه رئيس القوم فدخل عليه و هو على سريره فعظّمه و نزل من سريرة و جلس معه ثمّ قال: ما حاجتك؟ـ قال: حاجتى مأتا بعير اصابتها مقدّمتك، قال: اعجبتنى رؤيتك و زهدّنى فيك كلامك، قال: و لم ايّها الملك؟ـ قال لأنّى جئت لاهدم بيت عزّكم و شرفكم و جئت تسألى حاجتك و لاتسأل عن انصرافى عن بيتكم؟!

فقال: انا ربّ الابل و للبيت ربّ يمنعك منه، فأمر ابو يكسوم بردّ ابله فخرج فلمّا اصبحوا بعثوا فيلهم فلم ينبعث، و قيل: كان معهم فيل واحد اسمه محمودٌ.

و قيل: ثمانية افيال، و قيل: اثناعشر، فظهر عليهم طير من قبل البحر مع كلّ ثلاثة احجارٍ حجر فى منقاره و حجران فى رجليه، و كانت ترفرف على رؤسهم و ترمى فى دماغهم فيدخل الحجر فى دماغهم و يخرج من ادبارهم و ينتقض ابدانهم فصاروا كما قال تعالى كعصفٍ مأكولٍ، و لم يبق منهم الّا رجل واحد هرب فجعل يحدّث النّاس بما رأى اذا طلع عليه طائر منها بعد ماوصل الى اليمن فرفع رأسه فقال: هذا منها و جاء الطّير حتّى حاذى رأسه ثمّ القى الحجر عليه فخرج من دبره فمات، و كان ذلك فى العام الّذى ولد فيه رسول الله ﷺ.

و قيل: كان قبل مولده بثلاثٍ و عشرين سنة، و قيل: باربعين سنةً [وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا اَبٰابيلَ] ابابيل جمعٌ بلا واحدٍ يقال: ابّل ابابيل اى فرّق، او هو جمع الابّالة بكسر الهمزة و تشديد الباء، او جميع الابّيل كسكّيتٍ بمعنى القطعة من الطّير، و الابل و المتتابعة منها، و كان الطّير هذه الطّير المعروفة بابابيل.

و فى خبرٍ عن الباقر عليه السلام: كان رؤسها كامثال رؤس الّسباع و أظفارها كأظفار الّسباع و لارأوا قبل ذلك مثلها و لابعدها.

[تَرْميهِمْ بِحَجٰارَةٍ مِنْ سِجّيلٍ] معرّب «سنگ گل» [فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ] كورق زرع اكله الدّود، او كزرعٍ اكل حبّه فبقى بلاحبٍّ او كتبنٍ اكلته الدّوابّ فدفعته.

سُورَة قريش

اربع آياتٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[لِإِيلافِ قريشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَ الصَّيْفِ] قرئ ليلاف قريشٍ بدون الهمزة، الافهم من دون ياءٍ، و قرئ ليلاف قريشٍ مثل القراءة الاولى ايلافهم بهمزةٍ و ياء بعدها و قرئ لايلاف قريشٍ ايلافهم فى كليهما بهمزةٍ و ياءٍ بعدها، و الجارّ و المجرور متعلّق بقوله تعالى: جعلهم كعصفٍ مأكولٍ، او بقوله: فعل ربّك باصحاب الفيل لانّ السّورة الاولى كانت فى مقام الامتنان على قريشٍ بجعل بيتهم و مسكنهم مأمناً.

او متعلّق بقوله تعالى [فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ] يعنى لان جعل الله قريشاً ذات الفة بملوك النّواحي مثل ملك الفارس و الشام و الحبشة و اليمن بواسطة كونهم اهل مكّة و صاحبى بيت الله فليعبدوا ربّه.

قيل: كان هاشم يألف الى الشام و عبد شمس الى الحبشة، و المطّلب الى اليمن، و نوفل الى فارس، و كان تجّار قريش يختلفون الى هذه الامصار بسبب هذه الاخوّة و الفتهم لملوك تلك النّواحيو قيل: انّما كانت قريش تعيش بالتّجارة و كانت لهم رحلتان فى كلّ سنة، رحلّة فى الشتاء الى اليمن لانّها بلاد حامية، و رحلة فى الصّيف الى الشام لانّها باردة، فلمّا قصد اصحاب الفيل مكّة اهلكهم الله لتألّف قريش هاتين الرّحلتين و كانت لايتعرّض لهم احد بسوءٍ و كانوا يقولون: قريش سكّان حرم الله و ولاة بيته.و يجوز ان يكون الّلام للتّعجّب و العامل محذوفاً [الَّذِى اَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ] اخرجهم بالاطعام من جوع [وَ اٰمَنَهُمْ مِنَ خَوْفٍ]

سُورَة الماعون

مكّيّة، و قيل: مدنيّة، و قيل :بعضها مكّيّ، و بعضها مدنيّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدّ ِينِ] قرئ ارأيت على الاصل، و اريت بلا همزٍ و ارايتك بكاف الخطاب او الخطاب خاصّ بمحمّد ﷺ او عامّ، و تكذيب الدّين للجهل المركّب الّذى هوداء عياه و هو اصل جميع الّشرور يعنى ارأيت يا محمّد ﷺ الّذى جميع بين رذائل القوى الثّلاث العّلامة و الّسبعيّة و البهيميّة، و لمّا كان الجهل اصل جملة الّشرور عطف على تكذيب الدّين الرّذائل الأُخر بالفاء.

فقال: [فَذٰلِكَ الَّذى يَدُعُّ] اى يدفع [الْيَتِيمَ] بعنفٍ.

قيل: نزلت فى العاص بن وائل، و قيل: فى الوليد بن المغيرة، و قيل: فى ابى سفيان كان ينحر فى كلّ اسبوع جزورين فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصاه، و قيل: نزلت فى رجل من المنافقين.

و قيل: نزلت فى ابى جهل كان وصيّاً ليتيم فأتاه عرياناً و سأله اللّباس عن مال نفسه فضربه و دفع اليتيم و ضربه رذيلة الغضبيّة بل اردأ رذائلها لانّ تحقير الحقير الضّعيف و من شأنه ان يرحم عليه و ضربه و دفعه و الاستكبار عليه اردأ من الاستكبار على القوىّ المنيع.

[وَ لاٰ يَحُضُّ عَلٰى طَعٰامِ الْمِسْكِينِ] و هو رذيلة الّشهويّة لانّ عدم الحضّ على طعام المسكين من حبّ المال [فَوَيْلٌ لِلْمَصَلّينَ] اى لهم و لذلك عطف بالفاء لكنّه أتى بالظّاهر مقام المضمر للاشعار بانّهم ان صلّوا لم

يكن صلوتهم صلوةً بل كانت و بالاً عليهم ومعصيةً.

[الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلٰوتِهِمْ سٰاهُونَ] اضاف الصّلوة اليهم للاشعار بانّ لكلّ انسانٍ صلوةً خاصّةً به يكون تلك الصّلوة القالبيّة تذكرةً لها، و المصلّى بالصّلوة القالبيّة لابدّ و ان يكون متذكّراً لصلوته الخاصّة به و الّا كان مستحقّاً بصلوته للويل الّذى ليس الّا للكفّار و الصّلوة المخصوصة بكلّ انسان، امّا ولايته التّكوينيّة او التّكليفيّة او ذكره المأخوذ من ولىّ امره او صورة ولىّ امره الّتى دخلت فى قلبه مختفية فيه او ظاهرة.

او التّوجّه الى الله، و يجوز ان يكون المعنى ويل للمصلّين الّذين يتهاونون بصلوتهم القالبيّة بعدم حفظ حدودها او بعدم حفظ مواقيتها، او بتأخيرها من اوّل اوقاتها.

ولكن قوله تعالى: [الَّذِينَ هُمْ يُرٰاؤُنَ]، النّاس، يؤيّد المعانى الاول، فانّ المرائى يأتى بها و يتمّ حدودها و يحفظ اوقاتها و الّا لم يتأتّ له المراياة، و هذه من رذائل العّلامة و الّشهويّة.

[وَ يَمْنَعُونَ الْمٰاعُونَ] الماعون المعروف و الماء و كلّ ما انتفعت به او كلّ ما يستعار، و الّزكوة، و هذه من رذائل الّشهويّة.

عن الصّادق عليه السلام: هو القرض تقرضه و المعروف تصنعه، و متاع البيت تعيره، و منه الّزكوة، قيل: انّ لنا جيراناً اذا اعرناهم متاعاً كسروه و افسدوه فعلينا جناح ان نعمنعهم؟ـ فقال: ليس عليكم جناح ان تمنعوهم اذا كانوا كذلك.

سُورَة الكوثر

مكّيّة، و قيل: مدنيّة، ثلاث آياتٍ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اِنّا اَعْطَيْنٰاكَ الْكَوْثَرَ] قد فسّر الكوثر بنهرٍ فى الجنّة و هو حوض النّبىّ ﷺ عليه آنية عدد نجوم الّسماء يذود[1] محمّد ﷺ و علىّ عليه السلام عنه اعداء هما و يسقيان شيعة علىٍّ عليه السلام عنه.

و الكوثر فى اللّغة الكثير من كلّ شىءٍ و الكثير الملتفّ من الغبار، و الاسلام، و النّبوّة، و الرّجل الخيّر المعطاء كالكثير مثل الصّقيل، و الّسيّد، و مطلق النّهر و نهر فى الجّنة يتجّر منه جميع انهارها.

اعلم، انّ الولاية هى الكوثر باكثر معانيه و هى الّتى اعطاها بتمام حقيقتها محمّداً ﷺ و بسببها اعطاه النّبوّة و الرّسالة و العلم و الحكم و الاتباع الكثير و الاولاد الكثير و القرآن و دين الاسلام و الصّيت و السّلطنة و الخير الكثير فى الدّنيا و الاخرة، و هى الّتى تكون بصورة النّهر و الحوض فى الاخرة و هى الّتى تصوّرت بصورة علىٍّ عليه السلام فى الدّنيا، و قد اعطاه الله، محمّداً ﷺ و منّ به عليه [فَصَلِّ لِرَبِّكَ] اى اذا كان الله اعطاك الكوثر فتوجّه و تضرّع عليه و ادعه شكراً لهذه النّعمة، او صلّ الغداة من العيد بجمعٍ.

[وَ انْحَرْ] بمنى، اوصلّ صلوة العيد و انحر اضحيّتك.

قيل: كان ينحر النّبىّ ﷺ قبل ان يصلّى فامر ان يصلّى ثمّ ينحر، و

---

(١) ذاده، ذَوْداً= دفعه و طرده.

قيل: كان اقوام يصلّون لغير الله و ينحرون لغير الله فأمره ان يصلّى لله و ينحر لله، و قيل: صلّ الصّلوة المكتوبة و استقبل القبلة بنحرك فانّه يقول العرب: منازلنا تتناحر يعنى بعضها يستقبل بعضاً.

و فى خبرٍ قال ابوعبدالله عليه السلام فى قوله: فصلّ لربّك وانحر هو رفع يديك حذاء وجهك.

و فى خبرٍ قال النّبىّ صلى الله عليه وآله لجبرئيل: ما هذه النّحيرة الّتى امرنى بها ربّى؟ـ قال: ليست بنحيرةٍ ولكنّه يأمرك اذا تحرّمت للصّلوة ان ترفع يديك اذا كبّرت، و اذا ركعت، و اذا رفعت رأسك من الرّكوع، و اذا سجدت؛ فانّه صلوتنا و صلوة الملائكة فى الّسماوات الّسبع.

[اِنَّ شانِئَكَ] اى مبغضك [هُوَ الْاَبْتَرُ] اى المنقطع عن الخير او عن الولد او عن الصّيت فى النّاس او عن الدّين، قيل: انّ العاص بن وائل التقى رسول الله صلى الله عليه وآله عند باب المسجد و تحدّثا و اناسٌ من قريشٍ جلوس فى المسجد فلمّا دخل العاص قالوا: من الّذى كنت تتحدّث معه؟

ـ قال: ذلك الابتر فسمّاه ابتر لانّه كان له ولد اسمه عبدالله و كان من خديجة فمات و لم يكن له ابنٌ غيره، و كانوا يسمّون من لم يكن له ولد ابتر.

سُورَة الكافرون

مكّيّة، و قيل: مدنيّة ستّ أيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[قُلْ يٰا اَيُّهَا الْكٰافِرُونَ] روى انّ نفراً من قريش اعترضوا لرسول‌الله ﷺ فقالوا: يا محمّد ﷺ هلمّ نعبد ماتعبد مانعبد فنشرك نحن و انت فى الامر؟

فقال: معاذالله ان اشرك به غيره، قالوا: فاستلم بعض الهتنانصدقّك و نعبدالهك، فقال: حتّى انظر، فنزلت السّورة فأيس قريشٌ من محمّدٍ ﷺ و تصديقه.

و قد مضى فى الفصل السّادس من فصول اوّل الكتاب انّ القارى ينبغى ان يجاهد حتّى يشاهد او يتّحد مع خلفاء الله او مع فعل الله فيصير لسانه لسان الله او لسان خلفائه، فيصير حين قراءة امثال هذه السّورة عن مخاطبات الله آمراً من الله بل يصير امره امرالله.

فاعلم انّ الانسان لكونه مختصراً من جميع العوالم و فيه لطائف جميع العوالم و لطائف جميع مقامات الانبياء و الاولياء عليهم السلام ينبغى ان يجاهد وقت قراءته حتّى يصير لسانه لسان الله او لسان وسائط الوحى و يصير سمعه سمع الّلطيفة النّبويّة.

فاذا قال: قل، يصير ذلك القول امراً من الله باللّسان المنسوب الى الله او الى الملك المبلّغ من الله و يصير المستمع لطيفته النّبويّة فيتمثّل الامر و يخاطب كفّار وجوده من القوى البهيميّة و السّبعيّة و الشّيطانيّة بعد ابائهم عن اتّباعه و اصرارهم على كفرهم و عبادتهم اصنامهم الّتى هى اهويتهم و بعد دعوتهم نبيّهم الّذى هو لطيفته النّبويّة الى موافقتهم فيقول: يا ايّها الكافرون.

[لٰا اَعْبُدُ مٰا تَعْبُدُونَ] ای لااعبد فی المستقبل لانّ لالاتستعمل فی الحال [وَ لٰااَنْتُمْ عٰابِدُونَ] فی المستقبل فانّ الصّیغة و ان کانت مشترکة بین الازمنة الثّلاثة لکنّها مخصّصه بالاستقبال بقرینة ما قبلها.

[مٰا اَعْبُدُ] فی الحال او فی الحال و الاستقبال [وَ لٰااَنَا عٰابِدٌ] فی الماضی بقرینة ما بعده، او فی الماضی و الحال او مطلقا.

[مٰا عَبَدْتُمْ] فی الماضی [وَ لٰااَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا اَعْبُدُ] و اشار بتغییر الصّیغة فی جانب الکفّار الی انّهم کانوا عابدین لاهو یتهم بعبادة الاصنام و اهویتهم غیر ثابتة بل هی متغیّرة متبدّلة فکان معبودهم فی الامس غیر معبودهم فی الحال و المستقبل، و بتوافق الصّیغة فی جانب محمّدٍ صلّی الله علیه و آله الی انّ معبوده کان فی الماضی و الحال و الاتی واحداً غیر متعدّدٍ و لامختلفٍ و لایحصل تلک اللّطیفة الاّ بالتّکرار.

و الوجه الاخر للتّکرار انّ السّورة فی مقام التّبرّی و اظهار السّخط و المغایرة، و التّکرار مناسب لهذا المقام، و یجوز ان یکون لفظة ما مصدریّةً فی المواضع الاربعة او فی الموضعین الاخیرین.

و الاتیان بما فی قوله تعالی: ما اعبد، علی تقدیر کون ما موصولةً دون من للمشاکلة لقوله: ما تعبدون و لانّ المناسب لمقام التّبرّی و السّخط و المحاجّة الاتیان باللّفظ العامّ دون الخاصّ و لیطابق اعتقادهم لتصوّرهم انّ ربّ السّماوات و الارض یکون مثل اربابهم.

نقل انّه سأل ابو شاکرٍ الدّیصانیّ ابا جعفر الاحول عن وجه التّکرار و قال: هل یتکلّم الحکیم بمثل هذا القول و یکرّر مرّة بعد مرّةٍ؟!

فلم یکن عند الاحوال فی ذلک جواب فدخل المدینة فسأل

الصّادق عليه السلام عن ذلك فقال: كان سبب نزولها و تكرارها انّ قريشاً قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله تعبدا لهنا سنةً و نعبدا لهك سنةً؛ فأجابهم الله بمثل ما قالوا[لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ] ليس هذه متاركة واباحة حتّى يقال: انّها منسوخة بايةالقتال بل هی ايضاً تهديد بليغ لهم مثل تعالی: افعلوا ماشئتم.



سُورَة النّصر

مدنيّة: ثلاث أيات ٍ

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اِذا جاءَ نَصْرُاللهِ وَ اَلْفَتْحُ] قيل هذه آخرة سورة نزلت عليه ﷺ كما انّ اقرء باسم ربّك كانت اولى سورةٍ نزلت عليه.

و قيل: نزلت فى حجّة الوداع بمنى، و قيل: عاش ﷺ بعدها سنتين، و قيل: مات من سنته، و قال ﷺ بعد نزول السّورة: نعيت اليّ نفسى، و روى انّه بكى العبّاس بعد نزولها فقال: مايبكيك يا عمّ؟ـ قال: نعيت اليك نفسك، قال: انّه لكما تقول، و استفادة نعى نفسه ﷺ من السّورة تكون من القرائن المنضّمة و الحاليّة الّتى تكون بين المتخاطبين و ان لم يكن فى اللّفظ ما يدلّ صريحاً عليه.

و اعلم انّ النّصرو الفتح يطلقان بمعنا هما المصدريّ و يراد بهما النّصرة على الاعداء و فتح البلاد، و استعمال المجىء فيهما من باب الاستعارة و تشبيه النّصرة و الفتح بالجائى، و يطلقان على نصرة الانسان على اعدائه الباطنة و على فتح باب القلب.

و يطلقان على معنى حقيقىٍّ هو الملك النّازل على صدر النّبىّ ﷺ، و صورة ولىّ الامر النّازلة على صدر السّالك، و كما تكون نصراً من الله على الاعداء الظّاهرة و الباطنة تكون فتحاً من الله.

و بها تكون الفتح الظّاهر و الباطن و يطلقان على النّصر المطلق الّذى لانصر بعده و هو النّصر فى الخروج من جميع قيود الامكان، و الفتح المطلق الّذى هو فتح الغيب المطلق و هو الخروج من مقام الامكان و العروج من

مقام الواحديّة الى الاحديّة و هو مقام القدس و التّقديس، و لمّا كان النّصر مضافاً الى الله و الفتح مطلقاً كان المراد هذا النصّر و ذلك الفتح و قد يستنبط نعى نفسه ﷺ من هذا فانّ النّصر المطلق و الفتح بهذا المعنى قلمّا يكون بدون وقت الارتحال.

[وَ رَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ اَفْواجًا] لمّا فتح الله تعالى مكّة صار جميع الاعراب فى الاطراف ذليلاً منقاداً لمحمّدٍ ﷺ و كانوا يدخلون فى الاسلام من دون مقاتلةٍ و دعوةٍ.

و الدّين كما يطلق على الملّة و على الولاية الّتى هى الطّريق الى الله بحسب التّكليف و الاختيار يطلق على مطلق الطّريق الى الله تكويناً او تكليفاً لذوى الشّعور او غير ذوى الشّعور، و اذا ارتفع القيود و الحدود عن نظر الكامل يرى الكلّ داخلين فى دين الله يعنى فى طريق السّلوك الى لله بل يرى الكلّ عقلاء علماء عرفاء ساعين الى الله و الى مظاهره اللّطفيّة و القهريّة و لايرى شئياً من الموجودات خارجاً من دين الله فانّه اذا جاء الفتح المطلق للّسالك يرى جميع الحدود و التّعيّنات مرتفعة كما قيل:

صورت خود را شكستى سوختى   صورت كلّ را شكست آموختى

و اذا انقلب البصر و رأى السّالك ذلك كان زمان ارتحاله الكلّيّ و نقلته العظمى قريباً فيستنبط من هذا ايضاً نعى نفسه.

[فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ] اى نزّه ربّك او لطيفتك الانسانيّة عمّا لايليق بشأنه تعالى و شأنها وليكن تنزيهك بالجمع بين صفات الجلال و الجمال و لاتكن كموسى عليه السلام ناظراً الى المظاهر و لا كعيسى عليه السلام ناظراً الى الظّاهر، و كن ناظراً الى المظاهر و الظّاهر من دون رجحان احد النّظرين الى الاخر.

فانّ هذا معنى التّسبيح بالحمد يعنى اذا جاء نصر الله المطلق و الفتح المطلق بحيث ترى الكلّ يدخلون فى دين الله افواجاً فجاهد حتّى لايختفى الكثرات عن نظرك و لاتشتغل بالتّوحيد عن حضورك، و الكلّ جنودك بل تكون جامعاً بين الوحدة و الكثرة و الحقّ و الخلق.

[وَ اسْتَغْفِرْهُ] و اطلب منه ستر الحدود حتّى لايلغب رؤية الحدود على رؤية الحقّ الاوّل تعالى فى المظاهر [اِنَّهُ كانَ تَوّاباً] كثير المراجعة على العباد، او استغفرة لجنودك ماترى عليهم من الحدود و النّقائص انّه كان توّاباً على جميع خلقه.

سُورَة تبّت

مكّيّة خمس أيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[تَبَّتْ يَدٰا اَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ] تبّ تبّا و تبباً و تباباً نقص و خسر، و تبّ الشّيء قطعه، و نسبة التّبّ الى يديه لاجعل قطعه حياته الابديّة و وصلته الاخرويّة بيديه.

و لكون اعماله الّتى هى سبب الخسران و الهلاك ظاهرةً على يديه فى الاغلب، و الجملة الاولى دعائيّة و الثّانية خبريّة او كلتاهما دعائيّة او خبريّة، و يكون الاولى بالنّسبة الى الدّنيا و الاخرى بالنّسبة الى الاخرة، او بملاحفظة انّ الاولى بالنّسبة الى نفسه و الثّانية بالنّسبة الى الاغناء بالمال.

و ابولهب هذا عمّ رسول الله ﷺ و اسمه عبدالعزّى و كنّوه بتلك الكنية لبريق و جنتيه، و أتى بكنيته دون اسمه لمراعاة الجناس مع قوله: ذات لهبٍ، و كان شديد المعاداة لمحمّدٍ ﷺ.

قيل: رأيت فى سوق ذى المجاز شابّاً يقول: ايّها النّاس قولوا: لا اله الّاالله تفلحوا، و اذاً برجل خلقه يرميه قد ادمى ساقيه، و يقول: ايّها النّاس انّه كذّاب فلاتصدّقوه. فقلت: من هذا؟

ـ فقالوا: هو محمّد ﷺ يزعم انّه نبيٌّ و هذا عمّه ابولهب: يزعم انّه كذّاب.

[مٰا اَغْنٰى عَنْهُ مٰالُهُ] لفظة ما موصولة و هى فاعل تبّ اى تبّ الاغناء الذى اغنى عنه ماله او مصدريّة و هى مع صلتها فاعل تبّ، او فاعل

تبّ ابولهب، و ما نافية و الجملة خبريّة او دعائيّة او لفظة ما استفهاميّة.

[وَ مٰا كَسَبَ] ما موصولة او مصدريّة او نافية او استفهاميّة و معطوفة على ما اغنى او مصدريّة او موصولة و معطوفة على ماله و المقصود ممّا كسب ما كسبه بماله من الارباح و العرض و الجاه و الخدم و الحشم، او المقصود ممّا كسب اولاده، او المجموع، و هذا اخبار منه ﷺ بما سيقع و قد وقع الامر كما اخبر فانّه لمّا انذره النّبىّ ﷺ بالنّار قال: ان كان ما تقول حقّاً افتد بمالى و ولدى.

فافترسه اسدٌ فى طريق الشّام و قد احدق به العير و لم يغن عنه ماله و لاولده، و مات بالعدسة بعد وقعة بدرٍ بايّامٍ معدودةٍ و ترك ثلاثاً حتّى انتن ثمّ استأجروا بعض السّودان حتّى دفنوه.

[سَيَصْلٰى نٰارًا ذٰاتَ لَهَبٍ] اى سيقاسى حرّها [وَ امْرَأَتُهُ حَمّٰالَةَ الْحَطَبِ] قرئ حمّالة الحطب بالرّفع و حينئذٍ يجوز ان يكون امراته عطفاً على المستتر فى يصلى و ان يكون عطفاً على ما اغنى على ان يكون فاعل تبّ او على يدا ابى لهبٍ و يكون حمّالةالحطب على التّقادير خبر مبتدءٍ محذوفٍ او صفة لامرأته اذا جعل معرفة بالاضافة.

و يجوز ان يكون امرأته مبتدءً و حمّالة الحطب خبره او صفته، و الجملة معطوفة على واحدةٍ من الجمل السّابقة، و قرئ حمّالة الحطب بالنّصب حالاً او مفعولاً لمحذوفٍ او منصوباً على الاختصاص.

و امرأته على الوجوه السّابقة الّا انّه اذا كان مبتدءً يكون خبره بعده و سمّيت حمّالة الحطب لانّها كانت تحمل الاوزار الّتى هى وقود جهنّم بمعاداة الرّسول ﷺ.

او تحمل النّاس و تحمل زوجها على معاداة الرّسول و تجرّهم الى جهنّم بالصّدّ عن رسول الله ﷺ و الحمل على معاداته، اولانّها كانت تمشى بالنّميمة بين النّاس فيوقد نار العداوة بينهم و تسمّى النّميمة حطباً لذلك.

او لانّها كانت تحمل حزمة الشّوك و الخسك فتنثرها فى طريق الرّسول ﷺ [فِي جِيدِهٰا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ] المسد بالسّكون الفتل، و بالتّحريك المحور من حديدٍ، و حبل من ليف او ليف المقل او من اىّ شىءٍ كان، او المفتول المحكم الفتل من اىّ شىءٍ كان.

و قيل: هو حبل يكون له خشونة اللّيف و حرارة النّار و ثقل الحديد يجعل فى عنقها زيادةً فى عذابها، و قيل: فى عنقها سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعاً تدخل من فيها و تخرج من دبرها و تدار على عنقها فى النّار.

و قيل: كانت قلادة فى عنقها فاخرة من الجواهر فقالت: لانفقنّها فى عداوة محمّد ﷺ فيكون عذاباً لها يوم القيامة، و زوجة ابى لهب كانت بنت حربٍ و اخت ابى سفيان و كنيتها امّ جميل و لقبها العوراء، و لمّا نزلت السّورة اقبلت و لها ولولة و هى تذمّ رسول الله ﷺ فقال ابوبكر: يا رسول الله ﷺ قد اقبلت امّ جميل و انّى اخاف عليك، فقال رسول الله ﷺ: انّها لاترانى فجاءت ورأت ابابكرٍ و لم تر محمّداً ﷺ.

سُورَة الاخلاص

مكّيّة، و قيل: مدنيّة، اربع اٰياتٍ

و قيل: خمس اٰياتٍ؛ سمّيت سورة الاخلاص، لانّ من قرأها و اعتقدبها صار خالصًا من جميع انواع الشّرك، و سمّيت سورة التّوحيد لدلالتها على التّوحيد ذاتًا و صفًا، و لانّ من قرأها على ما نزلت صار موحّداً، و سمّيت سورة الصّمد، و سورة قل هو الله، و سورة نسبة الرّبّ، و سورة الولاية كما تسمّى فاتحة الكتاب بسورة النبوّة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[قُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌ اللّٰهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا اَحَدٌ] نزلت السّورة حين سأل المشركون رسول الله ﷺ فقالوا: انسب لنا ربّك، او حين أتى رجلان منهم فقالا ذلك، او حين جاء اناس من احبار اليهود فسألوه ذلك، او حين انطلق عبدالله بن سلام اليه فسأل ذلك و قد نقل كلّ ذلك فى نزوله.

و قرئ احد الله الصّمد بالوصل و تحريك التّنوين بالكسر، و قرئ احد الله الصّمد بالوصل و اسقاط التّنوين تسبيهاً للتّنوين بحرف اللّين، و قرئ بالوقف باسقاط التّنوين، و قرئ كفواً مضمومة الفاء و بالواو و قرئ كفؤاً ساكنة الفاء مهموزة، و قرئ كفواً مضمومة الفاء مهموزة.

واعلم، انّ الانبياءعليهم‌السلام لهم حالات بالنّسبة الى الله و الى عالم‌الغيب و تختلف مناجاتهم لله و مخاطبات الله لهم و مخاطباتهم للخلق بحسب اختلاف احوالهم.

فانّه اذا انسلخ النّبىّ ﷺ من جميع ماله من نسبة الافعال و الاوصاف و الذّات و لم يبق فى وجوده الّا فاعليّة الله تعالى يكون مخاطبات الله له بلسانه الّذى

صار لسان‌الله فيصير كلام الله كلاماً الهيّاً بشريّاً و يسمّى حديثاً قدسيّاً.

و اذا تنزّل عن ذلك المقام باقياً ببقاء الله متوجّهاً الى كثرات وجوده و هذا التّوجّه و الالتفات يسمّى بالنّبوّة او خلافة النّبوّة، او متوجّهاً الى كثرات العالم و هذا التّوجّه يسمّى بالرّسالة او خلافة الرّسالة، فكلّما تلقّى من الله بطريق القذف و الالهام و كلّما شاهد فى عالم المثال فى هذه الحال او قبل النّزول الى ذلك المقام و كلّما وجد انموذجة من مدركاته و كلّما القى اليه الملك من العلم و الحكم لابنحو الوساطة من الله كان حديثاً نبويّاً.

و اذا تنزّل الى مقام البشريّة فكلّما تكلّم به من حيث تدبير الحياة الدّنيويّة من غير اظهار لحاظ الجهة الالهيّة يكون كلاماً بشريّاً، و اذا كان خطاب الله فى تلك الاحوال بتوسّط الملك المرسل من الله لتبليغ خطابه كان كلاماً الهيّاً و كتاباً سماويّاً.

فان كان النّبىّ صلى الله عليه و آله فى مقام الانسلاخ كان الخطاب من مقام الغيب واحديّة الذّات، و ان كان فى مقام النّبوّة و الرّسالة كان الخطاب من مقام الظّهور و الواحديّة و هو مقام الولاية، و كان الكلام فى المقام الاوّل مشتملاً على التّنزية و نفى النّسب و الاضافات، و فى المقام الثّانى مشتملاً على الاضافات و احكام الكثرات؛ و لذلك سمّيت السّورة بسورة التّوحيد.

و سورة الاخلاص، و سورة الولاية، لانّ المخاطب بها خوطب بها حين خلوصه من شوب الكثرات و حصول مقام الوحدة له و ظهوره بشأن الولاية، و سمّيت الفاتحة بسورة النّبوّة لانّ المخاطب بها خوطب بها حين ظهوره بشأن النّبوّة.

فقوله تعالى: **قل هو الله احدٌ** خطاب من مقام الاحديّة و لذلك أتى باسمه الخالص من شوب الصّفات اوّلاً و هو لفظ هو بخلاف قوله تعالى: **قل اعوذ بربّ الفلق**، و **قل اعوذ بربّ النّاس**، و امثال هذين.

اعراب سورة الاخلاص

و اعراب السّورة المباركة بحسب الوجوه المحتملة كثيرة: فأقول، لفظ هـو ضمير الشّأن او ضمير يشار به الى مقام الغيب لتعيّنه فى الاذهان او ادّعاء تعيّنه او هو عَلَم و اسم لمقام الغيب، و على الاخيرين فالله بدل منه او عطف بيان او خبر او مبتدءٌ ثانٍ، واحد خبره و الجملة خبر هو و اكتفى عن العائد بتكرار المبتدء بالمعنى.

واحد خبر او خبر بعد خبر و الله الصّمد مبتدء و خبر، او صفة و موصوف و خبر بعد خبر او مبتدءٌ و خبره لم يلد، و على تقدير كونه مبتدءً فالجملة خبر بعد خبرٍ او حالّة او مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ عن حاله تعالى فى نفسه او عن علّة الحكم و لم يلد خبرٌ او خبرٌ بعد خبرٍ.

او حال او مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ عن حاله تعالى مع غيره او عن علّة الحكم، و اذا كان هو ضمير الشّأن فالله احد خبره و الله الصّمد مبتدء و خبرٌ و خبر بعد خبر لهو او خبر بعد خبرٍ لله او حال او مستأنفة فى مقام السّؤال عن الحال او عن علّة الحكم او الله الصّمد موصوف و صفةٍ و خبر بعد خبر لله، او مبتدء و لم يلد خبره و الجملة خبر بعد خبرٍ لهو او لله او حال مستأنفة.

معنى الاحد

واحد يقال بمعنى الواحد سواء جعل مهموزاً فى الاصـل او واوياً و يوم من الايّام، و يقال للامر المتفاقم احـدىّ الاحـد، و يـقال: فـلان احـد الاحدين و واحد الاحدين و واحد الاحاد واحدىّ الاحد لامثل له.

و قد يستعمل الاحد خاصّاً بالله و الوجه انّ فى الاحد مبالغةً فى الواحدة و البالغ فى الوحدة ان لايكون فيه شوب كثرةٍ بوجهٍ من الوجوه لاكثرة العدد و لا كثرة

الاجزاء المقداريّة و لا كثرة الاجزاء الخارجيّة من المادّة و الصّورة و لا كثرة الاجزاء العقليّة من الجنس والفصل او من المهيّة و الوجود.

و بهذا المعنى لايوصف به الّا الله، و لهذه المبالغة خصّص الاحد فى اصطلاحهم بمقام الغيب الّذى ليس فيه كثرة و لالحاظ كثرةٍ.

و قالوا: الاحد اسم لمقام الغيب الّذى لااسم له و لارسم و لاصفة له و لاخبر عنه، و الواحد اسم لمقام ظهوره تعالى بأسمائهن و صفاته ففى مقام الواحديّة هو متكثّر بكثرة الاسماء و الصّفات بحيث لاينثلم وحدته بها، و فى مقام الاحديّة لا كثرة فيه لافى الواقع و لافى العقل و لافى الاعتبار.

معنى الصّمد

و الصّمد بالتّحريك الّسيّد لانّ الصّمد بالّسكون بمعنى القصد و الّسيّد من شأنه ان يقصد، و الدّائم و الرّفيع و المصمت الّذى لاجوف له، و الرّجل الّذى لايعطش و لايجوع فى الحرب، خاطب الله سبحانه نبيّه ﷺ فى مقام انسلاخه عن جميع الكثرات و جميع الاعتبارات بقوله: قل يا محمّد ﷺ فى ذلك المقام مشيراً الى الذّات بدون اعتبار صفةٍ من الصّفات.

تفسير السّورة

هو، فانّ لفظ هو اسم له تعالى مجرّداً عن جميع الاعتبارات حتّى عن اعتبار التّعيّن، الله يعنى انّ الذّات المجرّدة عن اعتبار الصّفات عين الذّات المعتبرة باعتبار جميع الاسماء و الصّفات لامغايرة بينهما الاّ بالاعتبار، فانّالله اسمٌ للذّات باعتبار جملة الصّفات.

و لذلك قيل: انّه امام الائمّة و قدمضى بيان لفظ الله فى اوّل الفاتحة، احد يعنى انّه فى عين استجماعه لجملة الصّفات منزّه عن جميع الكثرات لايشوّبه كثرة من كثرة الصّفات، الله الصّمد اى الّسيّة المصمود الّذى يصمده كلّ موجودٍ و انتهى سؤدده و مصموديّته.

فانّه يستفاد الانتهاء فى ذلك من الحصر المستفاد من تعريف المسند، و الدّائم الّى لايأكل و لايشرب و لاينام، و المرتفع الّذى لارفيع قوله، و القائم بنفسه الغنىّ عن غيره، لم يلد بانفصال شىءٍ منه سواء كان المنفصل ولداً مماثلاً له او شيئاً غير مماثلٍ له فانّه لامباين له حتّى يكون منفصلاً منه او غير منفصلٍ.

و لم يولد و لم ينفصل هو من شىءٍ من الاشياء فانّه لاشىء غيره حتّى يكون هو منفصلاً منه و مبايناً له، و لم يكن له كفواً احد تقديم الظّرف لشرافته، و تقديم الخبر للاهتمام بنفى الكفاءة و لمراعاة رؤس الاى، و قد ورد فى بعض الاخبار ما يدلّ على اعتبار الحروف فى الاسماء، و ما يدلّ على انّ دلالة الاسماء على المسمّيات ليست بمحض المواضعة بل يعتبر المناسبات الذّاتيّة بين الاسماء و حروفها و بين المسمّيات.

فانّه ورد عن الباقر عليه السلام انّه قال: قل اى اظهر ما اوحينا اليك و نبّأناك به لتأليف الحروف الّتى قرأناها لك ليهتدى بها من القى السّمع و هو شهيد، و هو اسم مكنّى مشاربه الى غائب، فالهاء تنبيهٌ على معنىً ثابتٍ، و الوا و اشارةٌ الى الغائب عن الحواسّ كما انّ قولك هذا اشارة الى الشّاهد عند الحواسّ و ذلك انّ الكفّار نبّهوا عن الهتهم بحرف اشارة الشّاهد المدرك.

فقالوا: هذه الهتنا المحسوسة المدركة بالابصار فأشرانت يا

محمّد صلّى الله عليه وآله الى الهك الّذى تدعو اليه حتّى نراه و ندركه و لانأَلَهَ فيه، فأنزل الله تبارك و تعالى: قل هو فالهاء تثبيت للثّابت، و الواو اشارة الى الغائب عن درك الابصار و لمس الحواسّ و انّه تعالى عن ذلك بل هو مدرك الابصار و مبدع الحواسّ، قال عليه السلام: الله معناه المعبود الّذى أله الخلق عن درك مائيّته و الاحاطة بكيفيّته.

و يقول العرب: أله الرّجل اذا تحيّر فى الشّىء فلم يحط به علماً، و وله اذا فزع الى شىء ممّا يحذره و يخافه، و الا له هو المستور عن حواسّ الخلق.

قال عليه السلام: الاحد الفرد المتفرّد، و الاحد و الواحد بمعنىً واحدٍ و هو المتفرّد الّذى لانظير له، و التّوحيد الاقرار بالوحدة و هو الانفراد، و الواحد المتباين الّذى لاينبعث من شىءٍ و لايتّحد بشىءٍ.

و من ثمّ قالوا: انّ بناء العدد من الواحد و ليس الواحد من العدد لانّ العدد لايقع على الوحد بل يقع على الاثنين فمعنى قوله: الله احدٌ اى المعبود الّذى يأله الخلق عن ادراكه و الاحاطة بكيفيّته فرد بالهيّته متعالٍ عن صفات خلقه.

قال عليه السلام: وحدّثنى ابى زين العابدين عليه السلام عن ابيه الحسين بن علىٍّ عليه السلام انّه قال: الصّمد الّذى لاجوف له و الصّمد الّذى قد انتهى سؤدده، و الصّمد الّذى لايأكل و لايشرب، و الصّمد الّذى لاينام، و الصّمد الّدائم الّذى لم يزل و لايزال.

قال عليه السلام: كان محمّد بن الحنفيّة يقول: الصّمد القائم بنفسه و الغنىّ عن غيره، و قال غيره: الصّمد المتعالى عن الكون و الفساد، و الصّمد الّذى لايوصف بالتّغاير قال عليه السلام: الصّمد الّسيّد المطاع الّذى ليس فوقه آمرٌ و لاناهٍ، قال عليه السلام: و سئل علىّ بن الحسين عليه السلام عن الصّمد فقال: الصّمد الّذى لاشريك

له و لا يؤده حفظ شیء و لا يعزب عنه شیءٌ.

وروی عن زيد بن علیّ علیه‌السلام انّه قال: الصّمد الّذی اذا اراد شيئاً قال له: كن فيكون، و الصّمد الّذی ابدع الاشياء فخلقها اضداداً و اشكالاً و ازواجاً، و تفرّد بالوحدة بلا ضدٍّ و لاشكلٍ و لامثلٍ و لاندٍّ.

و عن الصّادق علیه‌السلام عن ابيه علیه‌السلام انّ اهل البصرة كتبوا الی الحسين بن علیٍّ علیه‌السلام يسألونه عن الصّمد.

فقال: كتب اليهم بسم الله الرّحمن الرّحيم امّا بعد فلا تخوضوا فی القران و لاتتكلّموا فيه بغير علمٍ فقد سمعت جدّی رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وآله يقول: من قال فی القران بغير علمٍ فليتبوّء مقعده من النّار، و انّ الله سبحانه قد فسّر الصّمد.

فقال الله: قل هو الله احد الله الصّمد ثمّ فسّره فقال: لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً احد، لم يلد يخرج منه شیءٌ كثيفٌ كالولد و سائر الاشياء الكثيفة الّتی تخرج من المخلوقين، و لاشیءٌ لطيف كالنّفس و لاتنشعب منه البدوات كالسّنة و النّوم والخطرة و الهمّ و الحزن و الضّحك و البكاء و الخوف و الرّجاء و الرّغبة و السّأمة و الجوع و الشّبع، تعالی عن ان يخرج منه شیءٌ و ان يتولّد منه شیءٌ كثيف او لطيف.

و لم يولد و لم يتولّد من شیءٍ و لم يخرج من شیءٍ كما يخرج الاشياء الكثيفة من عناصرها كالّشیء من الّشیء و الدّابّة من الدّابّة و النّبات من الارض و الماء من الينابيع و الثّمار من الاشجار، و لا كما يخرج الاشياء اللّطيفة من مراكزها كالبصر من العين و السّمع من الاذن، و الشّمّ من الانف، و الذّوق من الفم، و الكلام من اللّسان، و المعرفة و التّميز من القلب،

و كالنّار من الحجر، لابل هو الله الصّمد الّذى لامن شىء و لافى شىءٍ و لاعلى شىءٍ مبدء الاشياء خالقها، و منشئ الاشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيّته و يبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصّمد الّذى لم يلد و لم يولد عالم الغيب و الشّهادة الكبير المتعال، و لم يكن له كفواً احد.

و عن الصّادق عليه السلام انّه قدم و فدٌ من فلسطين على الباقر عليه السلام فسألوه من مسائل، فأجابهم، ثمّ سألوه عن الصّمد فقال: تفسيره فيه، الصّمد خمسة احرف، فالالف دليل على انيّته و هو قوله عزّ و جلّ: شهد الله انّه لا اله الّا هو و ذلك تنبيه واشارة الى الغائب عن درك الحواسّ، و الّلام دليل على الهيّته بانّه هو الله، و الالف و الّلام مدغمان و لايظهر ان على اللّسان و لايقعان فى السّمع و يظهران فى الكتابة دليلا على انّ الهيّته بلطفه خافية.

لاتدرك بالحواسّ و لاتقع فى لسان واصفٍ و لااذن سامعٍ لانّ تفسير الا اله هو الّذى أله الخلق عن درك مائيّته و كيفيّته بحسٍّ او بوهمٍ لابل هو مبدع الاوهام و خالق الحواسّ و انّما يظهر ذلك عند الكتابة فهو دليل على انّ الله تعالى اظهر ربوبيّته فى ابداع الخلق و تركيب ارواحهم الّلطيفة فى اجسادهم الكثيفة.

فاذا نظر عبد الى نفسه لميرروحه كما انّ لام الصّمد لايتبيّن و لايدخل فى حاسّةٍ من حواسّه الخمس فاذا نظر الى الكتابة ظهر له ما خفى و لطف، فمتى تفكّر العبد فى مائيّة البارى و كيفيّته أله فيه و تحيّر و لم تحط فكرته بشىءٍ يتصّور له لانّه عزّ و جلّ خالق الصّور فاذا نظر الى خلقه ثبت له انّه عزّ و جلّ خالقهم و مركّب ارواحهم فى اجسادهم.

و امّا الصّاد فدليل على انّه عزّ و جلّ صادق، و قوله صدق، و كلامه

صدق، و دعا عباده الی اتّباعه الصّدق بالصّدق، و وعت بالصّدق دار الصّدق، و امّا المیم فدلیل علی ملکه و انّه الملك الحقّ لم یزل و لایزول ملکه، و امّا الدّال فدلیل علی دوام ملکه و انّه عزّ و جلّ دائم تعالی عن الکون و الزّوال بل هو عزّ و جلّ مکوّن الکائنات الّذی کان بتکوینه کلّ کائنٍ.

ثمّ قال علیه السلام: لو وجدت لعلمی الّذی اتانی الله عزّ و جلّ حملة لنشرت التّوحید و الاسلام و الایمان و الدّین و الشّرائع من الصّمد و کیف لی بذلك و لم یجد جدّی امیر المؤمنین علیه السلام حملةً لعلمه حتّی کان یتنفّس الصّعداء.

و یقول علی المنبر: سلونی قبل ان تفقدونی، فانّ بین الجوانح منّی علماً جمّاً هاه هاه الا لااجد من یحمله الا وانیّ علیکم من الله الحجّة البالغة فلا تتولّوا قوماً غضب الله علیهم قد یئسوا من الاخرة کما یئس الکفّار من اصحاب القبور.

و عن الصّادق علیه السلام انّه سأله سائل عن التّوحید فقال: انّ الله عزّ و جلّ علم انّه یکون فی آخر الزّمان اقوام متعمّقون فأنزل الله قل هو الله احدٌ و الایات من سورة الحدید الی قوله: علیم بذات الصّدور فمن رام وراء ذلك فقد هلك، و المراد بالایات من سورة الحدید آیات اوّلها الی قوله علیم بذات الصّدور فانّ الله تعالی ادرج فیها دقائق التّوحید الّذی لایصل الیها ادراك المتعمّقین فی التّوحید فکیف بغیرهم!

و سئل الرّضا علیه السلام عن التّوحید فقال: کلّ من قرأقل هو الله احد و آمن بها فقد عرف التّوحید، قیل: کیف یقرؤها؟ـ قال: کما یقرؤها النّاس و زاد فیها کذلك الله ربّی مرّ تین، و لمّا کان السّورة مشتملة علی توحیده تعالی و اضافاته و کان القاری کأنّه یقرأ بلسان الله و یأمر بلسان الله نفسه بالتّوحید و

بكيفيّة اضافاته ورد عنهم بعد تمامه: كذلك الله ربّى، مرّ تين، اشارة الى امتثال امره و اقراراً بتوحيده و اضافاته، و لمّا كان السّورة مشتملة على توحيده و اضافاته و سَلو به روى عن الفضيل بن يسار، انّ ابا جعفر امرنى ان اقر أقل هو الله احد و اقول اذا فرغت منها: كذلك الله ربّى، ثلاثاً، اشارة الى الامتثال بالاقرار بالتّوحيد و اضافاته و سلوبه، و لمّا كان العلوم ثلاثة بمضمون ما ورد عن النّبىّ ﷺ من قوله: انّما العلم ثلاثة؛ آية محكمة، او فريضة عادلة، او سنّة قائمة، و تمام القرآن لبيان هذه الثّلاثة، و هذه السّورة مشتملة بايجازها على تمام الايات المحكمات.

ورد عنهم عليهم السلام انّ من قرأها كان كمن قرء ثلث القرءان، و الوجه الاخر فى ذلك انّ السّالك الى الله لايحصل له السّلوك الّا بالجذب و الانسلاخ من الكثرات و بالتّوجّه الى الكثرات.

و التّوجّه الى الكثرات امّا لمرمّة المعاش او تزوّد المعاد، و تمام القرءان لبيان كيفيّة هذه الثّلاثة و السّورة المباركة فى مقام الجذب و الانسلاخ.

و الوجه الاخر انّ القران لاثبات الرّبّ و توحيده و اثبات الخلق و تكثيرهم، و اثبات الوسائط بين الرّبّ و الخلق، و الوجه الاخر انّ القران لبيان اضافة الحقّ الى الخلق و اضافة الخلق الى الرّبّ و بيان الوسائط بين الاضافتين، و لمّا لم يكن يتمّ سلوك السّالك الّا بطروّ حال الجذب و الانسلاخ عليه فانّه لو لم يكن للّسالك حرارة الجذب جملةً و لميتحرك الىالله.

ورد عن الصّادق عليه السلام: من مضى به يوم واحد فصلّى فيه خمس صلوات و لم يقرء فيه بقل هو الله احد قيل له: يا عبدالله لست من المصلّين، و ليس المراد بقراءة قل هو الله لقلقة اللّسان فقط فانّها ربّما تصير و بالاً على

القارى، بل المراد توفيق الحال للقال حتّى ذاق القارى و وجد فى وجوده انموذج الانسلاخ.

و لهذا الوجه ورد عنه عليه السلام: من مضت له جمعة و لم يقرء بقل هو الله احد ثمّ مات مات على دين ابى لهبٍ لانّ ابالهب كان فارغاً من حرارة الجذب الفطرىّ.

و قد ورد فى حقّ هذه السّورة فضائل كثيرة عنهم: و لفضلها لايجوز العدول عنها فى الفريضة الى غيرها اذا شرع المصلّى فيها و اذا صلىّ و لم يقرء فى صلوته بقل هو الله احد كان صلوته ناقصة كما فى الاخبار.

و قد روى عن النّبىّ صلى الله عليه وآله انّه قال: من قرأ قل هو الله احد مرّةً بورك عليه، فان قرأها مرّ تين بورك عليه و على اهله، فان قرأها ثلاث مرّاتٍ بورك عليه و على اهله و على جميع جيرانه، فان قرأها اثنتى عشرة مرّة بنى له اثنا عشر قصراً فى الجنّة.

فتقول الحفظة: انطلقوا بناننظر الى قصر اخينا! فان قرأها مأة مرّة كفّر عنه ذنوب خمس و عشرين سنة ما خلا الدّماء و الاموال.

فانّ قرأها اربعماة كفّر عنه ذنوب اربعمائة سنة، فان قرأها الف مرّةٍ لم يمت حتّى يرى مكانه من الجنّة او يَرى له، و الاخبار فى انّها تعدل ثلث القران و انّ من قرأها ثلاث مرّات كان كمن قرأ القران كلّه كثيرة.

وروى انّه جاء رجل الى النّبىّ صلى الله عليه وآله فشكى اليه الفقر و ضيق المعاش فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: اذا دخلت بيتك فسلّم ان كان فيه احدٌ و ان لم يكن فيه احدٌ فسلّم و اقرأ قل هو الله احد مرّةً واحدةً، ففعل الرّجل فافاض الله عليه رزقاً حتّى افاض على جبرانه.

و عن الصّادق عليه السلام انّه قال: من اصابه مرض او شدّة فلم يقرأ فی مرضه او شدّته بقل هو الله احد ثمّ مات فی مرضه و فی تلك الّشدّة الّتی نزلت به فهو من اهل النّار.

و سبب ذلك انّ هذا المبتلی لو كان بقی فطرته الّتی بها ينجذب الی عالم الاخرة و الی الله يصير مرضه و شدّته لامحالة سبباً لانسلاخه و توجّهه الی الله، و هذا الانسلاخ هو قراءة قل هو الله قرأ او لم يقرء و اذا لم‌ينسلخ علم انّه لم‌يبق فيه الفطرة فكان من اهل النّار لانّ من لم‌يبق فيه فطرة الانسانيّة كان مرتدّاً فطريّاً غير مقبول التّوبة.

و عنه عليه السلام انّه قال: من يؤمن بالله و اليوم الاخر فلايدع ان يقرأ فی دَبْر الفريضة بقل هو الله احدٌ فانّه من قرأها جمع له خير الدّنيا و الاخرة و غفرالله له ولو الديه و ما ولد، او وجهه يستنبط ممّا ذكرنا.

فانّ الفريضة عبارة عن التّوجّه الی الله و الی الاخرة. فاذا كان من صلّی الفريضة كما هو مأمور بها لابدّ و ان تنتهی به الی حالة الانسلاخ و الدّخول فی دار القلب الّتی هی دار التّوحيد و فی ذلك الانسلاخ و هذا الدّخول خير الدّنيا و الاخرة و غفران الّذنوب له و لمن اتّصل به.

فجاهدوا اخوانی حتّی يكون صلوتنا باعثة لانسلاخنا من انفسنا و اهويتها و مورثة لدخولنا فی دار القلب او توجّهنا اليها، و لانكون ممّن يصلّی و الصّلوة تلعنه.

و عن ابی الحسن عليه السلام انّه يقول: من قدّم قل هو الله احد بينه و بين كلّ جبّارٍ منعه الله منه، يقرأها بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله، فاذا فعل ذلك رزقة الله خيره و منعه شرّه، و سرّ ذلك ما ذكرنا.

سُورَة الفلق

مدنيّة، و قيل: مكّيّة، خمس أيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[قُلْ اَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ] يعنى قل يا محمّد ﷺ اذا تنزّلت الى مقام بشريّتك و صرت بحال تتأثّر ممّا يرد عليك اذا لم يكن ملائماً لك و يؤثّر فيك تصرّفات الخلق و سحرهم اعوذ بربّ الفلق يعنى أنشىء العوذ بهذه الكلمة او اخبر من عوذى بهذه الكلمة حتّى تكون بذلك العوذ محفوظاً من شرّ الاشرار.

و الفلق محرّكة الصّبح، او ما انفلق من عموده، او الفجر، او الخلق كلّهم او جهنّم اوجب فيها، و المناسب ان يكون الاستعاذة فى حال نزوله ﷺ الى مقام البشريّة الى ربّ الصّبح منتظراً لطلوعه و أتى ذهاب ظلمة ليلة بشريّته.

[مِنْ شَرِّ مٰا خَلَقَ] بلفظ ما دون من للتّعميم و أتى بلفظ خلق للاشارة الى انّ المبدعات و المنشات و المخترعات العلويّة لاشرّيّة فيها، و امّا المخترعات الّسفليّة فهى داخلة فى الخلق.

[وَ مِنْ شَرِّ غٰاسِقٍ اِذٰا وَقَبَ] الغاسق اللّيل اذا غاب الّشفق و القمر و كلّ هاجم بضرره و المعنى اعوذ من شرّ اللّيل اذا دخل لانّ كلّ ذى شرٍّ فى الاغلب يظهر شرّة فى اللّيل اكثر من النّهار، او من شرّ كلّ ما يهجم بشرّه.

و قيل: المعنى من شرّ الثّريّا اذا سقطت لكثرة الاسقام عند سقوطها، و قيل: المعنى من شرّ الّذكر اذا قام، و الغسق محرّكة ظلمة اوّل اللّيل و شىءٌ من قماش الطّعام كالزّوان[1] و نحوه.

---

(١) الزّوان بكسر المعجمة و قد تضّم حبّ يخالط البرّ.

و غسقت عينه كضرب و [وَ]اى سمع اظلمت او دمعت، و غسق الجرح سال منه ماء اصفر، و غسق الّليل و اغسق اشتدّت ظلمته.

[وَمِنْ شَرِّ النَّفّاٰثاٰتِ فِى الْعُقَدِ] اى من شرّ النّفوس الّلاتى يعقدن على الشّعور و الخيوط و ينفثن فيها و يسحرن النّاس بها، او النّساء الّلاتى يفعلن ذلك.

[وَ مَنْ شَرِّ حٰاسِدٍ اِذٰا حَسَدَ]انّه من شرّ من له قوّة الحسد اذا ظهر حسده فانّ الحسد المكمون لايضرّ المحسود و لايضرّ الحاسد الّا نقصانٌ فى وجود الحاسد، خصّ هذه الثّلاث بالّذكر بعد تعميم الاستعاذة من شرّ جميع ذوى الشّرور و للاهتمام بالاستعاذة منها.لانّ ضرّ هذه الثّلاث و شرّها خفيّ لايمكن التّحرّز منها فينبغى ان يتعوّذ منها بالله العليم بالخفيّات القدير على الحفظ منها.

روى انّ لبيد بن الاعصم اليهوديّ سحر رسول الله ﷺ ثمّ دسّ ذلك فى بئرٍ لبنى زريق، فمرض رسول الله ﷺ فبينا هو نائم اذا اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه و الاخر عند رجليه فأخبراه بذلك و انّه فى بئر كذا، فانتبه رسول الله ﷺ و بعث عليّاً و لازّبير و عمّاراً، فنز حوا ماء تلك البئر ثمّ رفعوا الصّخرة الّتى كانت فى قعر البئر فاذاً فيه مَشّاطة رأس و أسنان من مشطة و اذاً فيه مَعْقد فيه اثنا عشر قعد مفروزة بالابر، فنزلت هاتان السّورتان فجعل كلّما يقرأ آية انحلّت عقدة و وجد رسول الله ﷺ خفّة فقام فكأنّما انشط من عقالٍ.

و روى قصّة نزول السّورتين بغير هذا الطّريق مع اختلافٍ فى الّلفظ و المعنى، و لمّا كان المقصود من الامر بالقراءة ان يصير القارى بحالٍ يكون لسانه لسان الله او لسان الملك النّازل من الله لالسان نفسه و يصير سمعه سمع الّلطيفة النّبويّة فيصير فى امثال خذه المخاطبات آمراً من الله للطيفته النّبويّة و يجعل عالمه الصّغير انموذجاً للعالم الكبير، جاز انينظر القارى حين قراءة السّورة الى عالمه و استعاذ من

اهل مملكته من اعضائه و قواها و نفسه و جنودها فيقول امتثالاً لامر الله: اعوذ بربّ الفلق اى بربّ المواليد المنفلق من بدنى و نفسى.

او بربّ الصّبح المنفلق او الفالق لظلمة ليل طبعى و نفسى من شرّ ما خلق فی مملكتى من القوى البهيميّة و السّبعيّة و الشّيطانيّة، و من الاعضاء و الالات البدنيّة او من شرّ الاحتجاب بالخلق عن الحقّ فانّ شرّ الكلّ من اهل العالم الكبير او الصّغير راجع الى الاحتجاب بهم عن الحقّ.

و من شرّ غاسق اى البدن و ظلماته اذا دخل ظلمته فی عالم الرّوح و جعل الرّوح مظلماً بظلمانيّته، او من شرّ امراض البدن اذا دخلت و اثّرت فی الرّوح، او من شرّ القبض او النّفس و اهويتها اذا اثّرت فی الرّوح، و من شرّ النّفّاثات اى القوى العّلامة والعمّالة الّتى تعقد فی طريق السّالك و تنفث بحيلها فيها حتّى لايمكن للرّوح حلّها و التّجاوز عنها.

فانّ العّلامة الشّيطانيّة تحمل العمّالة على امر باطل لاحقيقة له فيجعله العّلامة بتمويهاتها بحيث لايمكن الانسان ان يتجاوز عنها و لاان يتركها فتهوى بالانسانيژة من عالمها الى شبكة ذلك الامر فتهلكها، و من شرّ حاسدٍ من النّفس و قواها الّتى تتمنّى مداماً زوال النّعمة عن الانسانيّة و عدم ترقّيها الى مقام القلب و مقام الشّهود و الغنى، و تتمنّى ان تكون الانسانيّة فی الحجاب و البعد و العذاب مثلها اذا حسد الانسانيّة و القاها فی شبائكها.

سُورَةُ النّاس

مدنيّة، ستّ اٰيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[قُلْ اَعُوذُ بِرَبِّ النّاٰسِ] لمّا كان الله تعالى شأنه امر نبيّه ﷺ بالاستعاذة من الوسواس الصّادر من شياطين الجنّ و الانس.

و كان ذلك الوسواس لايتعلّق بغير الانسان النّاسى لذكر الله اضاف الرّبّ الى النّاس و عبرّ بالنّاس للاشارة الى انّ ذلك الوسواس لايكون الّا للنّاسى.

و ربّ النّاس هو ربّ الارباب لكن باسمه المحيط بكلّ الاسماء المسخّر لكلّ الارباب و هو ربّ النّوع الانسانىّ، و هو المعبّر عنه بالرّوح و هو اعظم من جبرئيل و ميكائيل و لميكن مع احدٍ من الانبياء عليهم السلام.

و كان مع محمّد ﷺ و مرتبته فوق الامكان و تحت الوجوب و هى مقام علويّة علىٍّ عليه السلام.

و المعنى يا محمّد ﷺ اخبر عن استعاذتك بالله و انشئها بلسان قالك و بلسان حالك، و لمّان كان استعاذتك من شرّ الوسواس و ليس يظهر ذلك الّا فى مظهر النّاس سواء كان بلسان النّاس او بلسان الجنّ فى صدر النّاس كان ينبغى لك الاستعاذة بربّ النّاس مخصوصاً بخلاف استعاذتك فى السّورة السّابقة.

ولمّا كانيظهر اوّلالامر آثار ربوبيّته للّسالك بالتّنقيص و التّكميل و الخذلان و الجبران بالغفران امر نبيّه ﷺ بانيعبّر عنه اوّلاً بعنوان الرّبوبيّة و ابدل عنه قوله.

[مَلِكِ النّاٰسِ] شعاراً بانّه تعالى فى ثانى الاحوال يظهر على

السّالك ملكيّته و ماكليّته لكلّ الاشياء، و ذلك بعد الفناء التّامّ و التّقوى التّامّة و ابدل عنه آخراً .

قوله: [إِلٰهِ النّاسِ] للاشارة الى انّه تعالى بعد فناء العبد و بقائه بعد الفناء يصير معبوداً للعبد، و امّا قبل ذلك فمعبوده يكون اسماً من اسمائه و اظهر النّاس مع انّ المقام كان مقام الاضمار اشعاراً بذمّه على نسيانه بفطرته مع انّه لاينبغى ان يكون ناسياً لربّه الموصوف بتلك الاوصاف الثّلاثة.

[مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ] الوسواس بكسر الواو مصدر وسوس و الوسواس بالفتح اسمٌ للمصدر و هو على معناه المصدريّ فيكون قوله تعالى [الْخَنّاسِ] بدلاً منه بدل الاشتمال او هو بمعنى الموسوس فيكون الخنّاس صفة له، و سمّى الموسوس بالوسواس للمبالغة، و الخنوس التّأخّر او الغيبة، و لمّا كان الشّيطان الموسوس من عادته التّأخّر عن الانسان او الغيبة عنه حين ذكر الله سمّى خنّاساً.

[اَلَّذي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ النّاسِ] و الوسوسة حديث النّفس و حديث الشّيطان بما لاخير فيه و لانفع، و وسو من له و اليه.

[مِنَ الْجِنَّةِ وَ النّاسِ] من تبعيضيّته او بيانيّة، و الظّرف حال من الوسواس على ان يكون الوسواس بمعنى الموسوس، او ابتدائيّة و الظّرف ايضاً حال على ان يكون بمعنى المصدر، او ابتدائيّة و الظّرف متعلّق بيوسوس اى يوسوس من جهة الجنّة و النّاس.

قدتمّ الكتاب بتوفيق الملك الوهّاب على يد مؤلّفه سلطانمحمّد بن حيدر محمّد بن سلطانمحمّد بن دوست محمّد بن نور محمّد بن الحاجّ محمّد بن الحاج قاسمعلى البيدختىّ الجنابدىّ الخراسانىّ بشّر هم الله بما بشّر به عباده المؤمنين فى الرّابع عشر من شهر صفر المظفّر من شهور السّنة الحادية عشرة بعد الثّلاثمائة بعد

الالف من الهجرة النّبويّة على هاجرها الاف التّحيّة.

و الحمدلله على توفيقه للتّدبّر فى كتابه و التّفكّر فـى احـاديث خـلفائه، و الصّلوة و السّلام على جميع خلفائه، و لاسيّما على مـحمّد و اهـل بـيته الطّـاهرين خصوصاً على ابن عمّه و خليفته بلا فصلٍ و وصيّه و صهره علىّ بن ابى طالب عليهما الصّلوة و السّلام ۱۴ شهر صفر المظفّر ۱۳۱۱.

تمّ طبع الكتاب بعون الله الملك الوّهاب

و كان اختتام طبعه سابع رمضان المبارك من شـهور اّلسـنة اّلسـادسة و الّثمانين بعد ثلاثمائةٍ و الف من الهجرة النّبويّة على مـهاجرها و آله الف سـلام و تحيّة، و هذا من حسن الاتّفاق لانّه هو الّشهر الّذى نزل فيه القران فالحمدلله على ذلك و كان افتتاح طبعه فى شوال المكرّم من شهور سنة اربع و ثمانين و ثلثمائة بعد الف من الهجرة.

اللّهمّ لك الحمد على ما انعمت به علينا بهذا التّوفيق فصلّ على نبيّك و آله و اجعل هذا الامرمنا خالصاً لوجهك الكريم و تقبّله بقبول حسن و أنفعنا به يوم لاينفع مال و لابنون الاّ من أتى الله بقلب سليم و الّسلام على من اتّبع الهدى.

و كان ذلك سابع رمضان المبارك ۱۳۸۶ الهجرية

و يطابقه(۱۳۴۵/۹/۲۹ الهجرية الّشمسية)

فهرستهای پنجگانه

فهرست اعلام

ادیان

اشخاص

خلفا

قبایل

فهرست‌ترجمه‌ی اخبار

قمیّ و غیره او در سبب نزول آیه‌ها گفته‌اند: رسول خدا صلی الله علیه و آله در خانه‌ی عایشه یا در خانه‌ی حفصه بود، رسول خدا صلی الله علیه و آله پیش ماریه رفت، حفصه این مطلب را فهمید و خشمناك شد و پیش رسول‌خدا صلی الله علیه و آله آمد و گفت: یا رسول الله: در نوبت و روز من و در خانه‌ی من و بر روی فراش من با ماریه سر می‌کنی؟ رسول‌خدا صلی الله علیه و آله حیا نمود و فرمود: بس کن ای حفصه، من ماریه را بر خودم حرام کردم، و من راز پنهانی را به تو می‌گویم که اگر تو آنرا به کسی بگویی و فاش کنی بر تو باد لعنت خدا و ملائکه و همه‌ی مردم حفصه گفت: باشد، آن راز چیست؟ ۱۸۱

رسول خدا صلی الله علیه و آله فرمود: بعد از من ابابکر متصدّی خلافت می‌شود، و پس از آن پدر تو، حفصه گفت: چه کسی به تو این خبر را داد؟ رسول خدا صلی الله علیه و آله فرمود: خداوند دانا و آگاه این خبر را داد، حفصه همان روز این خبر را به عایشه گفت و عایشه به ابوبکر خبر داد و ابوبکر نزد عمر آمد و گفت: عایشه از جانب حفصه خبری به من خبرداده است که من به قول او مطمئن نیستم، تو از خود حفصه سؤال کن. پس عمر نزد حفصه آمد و گفت: خبری که عایشه از طرف تو آورده است چیست؟ حفصه انکار و گفت: من چیزی در این مورد به عایشه نگفته‌ام. عمر گفت: این خبر مطلب حقّی است و به ما خبر بده تا در این کار جلو بیفتیم، حفصه گفت: آری رسول خدا صلی الله علیه و آله چنین گفت: پس جبرئیل با این سوره بر پیامبر صلی الله علیه و آله نازل شد و خداوند مطلب را بر او آشکار ساخت، یعنی رسول‌خدا صلی الله علیه و آله را از اظهارات و اخبار حفصه آگاه ساخت، رسول‌خدا صلی الله علیه و آله بعضی از سخنان حفصه را به او گفت و فرمود: چرا آنچه را که من به تو خبر داده‌ام خبر داده‌ای و بعضی از اخبار نیز اعراض کرد و نگفت، یعنی آنچه را که می‌دانست به آنها نفرمود. بعضی گفته‌اند: رسول خدا صلی الله علیه و آله در خانه‌ی عایشه با ماریه خلوت کرد، حفصه از قضیّه مطّلع شد، رسول خدا صلی الله علیه و آله به حفصه فرمود: این مطلب را به عایشه نگو و ماریه را برخودش حرام نمود، و به عایشه خبر داد که پدرش پس از رسول‌خدا صلی الله علیه و آله حکومت می‌کند و بعد از آن عمر و حفصه این خبر را به عایشه گفت، ولی از رسول‌خدا صلی الله علیه و آله مخفی می‌کرد و می‌گفت من نگفته‌ام. که خدای تعالی رسولش

نزد قومش بنی محزوم آمد و گفت: به خدا سوگند از محمّد ﷺ کلامی شنیدم که نه از جنس کلام بشر است و نه از کلام جنّ، سخن محمّد ﷺ دارای شیرینی و حلاوت خاصّی است، کلامی زیبا و دلنشین است، ابتدای سخن شیرین و پربار و آخر آن بد است و مانند دانه‌های درشت باران است و آن سخن برتر است و هیچ سخنی برتری بر آن ندارد، ولید این سخنان را گفت و سپس به منزل خویش رفت، قریش گفتند: به خدا سوگند ولید از دین خارج شد، به خدا سوگند که همه‌ی قریش از دین خارج خواهند شد. و به ولید ریحانه‌ی قریش می‌گفتند، ابوجهل گفت من شما را کفایت می‌کنم و شرّ ولید برطرف می‌سازم، رفت پهلوی ولید با قیافه‌ای اندوهناك و ناراحت نشست، ولید گفت: ای پس برادرم چه شده‌است که تو را اندوهناك می‌بینم؟ ابوجهل گفت: این قریش تو را با این سنّ زیاد سرزنش می‌کنند و گمان می‌کنند تو کلام محمّد ﷺ را زینت دادی، ولید با ابوجهل بلند شو و به مجلس قومش آمد و گفت: شما گمان می‌کنید محمّد ﷺ مجنون است؟ آیا تا کنون دیده‌اید که او هرگز جنّ زده شود؟ گفتند: خدا را شاهد می‌گیریم که چنین چیزی ندیده‌ایم. ولید گفت: آیا گمان می‌برید که او کاهن باشد؟ آیا در این مورد چیزی از او دیده‌اید؟ گفتند: خدا را شاهد می‌گیریم که چیزی ندیده‌ایم. ولید گفت: آیا گمان می‌کنید که او شاعر است؟ آیا تا کنون دیده‌اید که او به شعری سخن گفته باشد؟ گفتند: نه به خدا سوگند. ولید گفت :آیا گمان می‌کنید او دروغگو است؟ آیا تا کنون دروغ از او دیده‌اید؟ گفتند: به خدا سوگند، نه، که به او قبل از نبوّت از جهت راستگویی لقب صادق امین داده بودند. پس قریش به ولید گفتند: پس او چیست و داستان او چگونه است؟ ولید پیش خود فکری کرد و سپس نگاه کرد و رو ترش نمود و گفت: او جز ساحر و جادوگر چیزی نیست، آیا نمی‌بینید که او بین مرد و اهلش و فرزندانش و موالی‌اش جدایی می‌اندازد. پس او ساحر است و هر آنچه می‌گوید جادو است و اثر می‌کند. بعد از این قضیّه هیچ یك از قریش محمّد ﷺ را ملاقات نمی‌کرد مگر آنکه می‌گفت: ای ساحر و این معنا بر پیامبر ﷺ سنگین آمد، پس خدای تعالی این آیه را نازل نمود: «یا ایّها المدّ ثر... تا قول خدا الاّ قول البشر» [لِّلْبَشَرِ] از امام‌باقر علیه السلام روایت شده که در جهنّم کوهی است که به آن «صعود» گفته می‌شود و

فهرست اخبار متن

فانتشروا فی الارض و ابتغوا من فضل الله. کما یستفاد ممّا ورد عن الصّادق علیه‌السلام الّذکر و الغفلة، روی عن النّبیّ صلی‌الله‌علیه‌وآله من ذکر الله مخلصاً فی الّسوق عند غفلة النّاس و شغلهم بماهم فیه کتب الله له الف حسنةٍ و یغفر الله له یوم القیامة مغفرةً لم تخطر علی قلب بشرٍ.. ۶۵۸

و فی روایةٍ: اقبلت عیرو بین یدیها قوم یضربون بالدّفوف و الملاهی فقال النّبیّ صلی‌الله‌علیه‌وآله: و الّذی نفسی بیده لوتتابعتم حتّی لایبقی احد منکم لسال بکم الوادی ناراً. و عن الصّادق علیه‌السلام: انّ الواجب علی کلّ مؤمنٍ اذا کان لنا شیعة ان یقرأ فی لیلة الجمعة بالجمعة و سبّح اسم ربّك الاعلی، و فی صلوةالظّهر بالجمعة و المنافقین فاذا فعل ذلك فکأنّما یعمل بعمل رسول‌الله صلی‌الله‌علیه‌وآله و کان ثوابه و جزاؤه علی الله الجنّة. ۶۵۸

و عن الکاظم علیه‌السلام انّ الله تبارك و تعالی سمّی من لم یتّبع رسوله صلی‌الله‌علیه‌وآله فی ولایة علیٍّ علیه‌السلام وصیّه منافقین، و جعل من جحد وصیّه امامته کمن جحد محمّداً صلی‌الله‌علیه‌وآله و انزل بذلك قرآناً فقال: یا محمّد اذاجاءك المنافقون بولایة وصیّك قالوا نشهد انّك لرسول الله و الله یعلم انّك لرسوله و الله یشهد انّ المنافقین بولایة علیٍّ لکاذبون، اتّخذوا ایمانهم جنّةً فصدّوا عن سبیل الله و الّسبیل هو الوصیّ انّهم ساء ما کانوا یعملون، ذلك بانّهم آمنوا برسالتك و کفروا بولایة وصیّك فطبع الله علی قلوبهم فهم لایفقهون، یقول: لایعقلون نبوّتك. و اذا قیل لهم: ارجعوا الی ولایة علیٍّ علیه‌السلام یستغفر لکم النّبیّ صلی‌الله‌علیه‌وآله من ذنوبکم لوّوا رؤسهم قال الله و رأیتهم یصدّون عن ولایة علیٍّ علیه‌السلام و هم مستکبرون علیه، ثمّ عطف القول بمعرفته بهم فقال: سواء علیهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم انّ الله لایهدی القوم الفاسقین یقول الظّالمین لوصیّك............ ۶۶۴

عن الباقر علیه‌السلام انّ عندالله کتباً موقوفةً یقدّم منها ما یشاء و یؤخّر ما یشاء، فاذا کان لیلة القدر انزل الله فیها کلّ شیءٍ یکون الی مثلها فذلك قوله: و لن یؤخّر الله نفساً اذا جاء اجلها اذا انزل الله، و کتبه کتاب الّسموات و هو الّذی لایؤخّره.......... ۶۶۵

و عن الصّادق علیه‌السلام انّه سئل عن هذه الایة فقال: عرّف الله ایمانهم بولایتنا و کفرهم بترکها یوم اخذ علیهم المیثاق فی صلب آدم علیه‌السلام و هم ذرّ................. ۶۶۶

و سئل الباقر علیه‌السلام عن هذه الایة فقال: النّور و الله الائمّة :. لنور الامام فی قلوب المؤمنین انور من الّشمس المضیئة بالنّهار، و هم الّذین ینوّرون قلوب المؤمنین و

انزلناه فی لیلة القدر و ما ادریك ما لیلة القدر لیلة القدر خیرٌ من الف شهر، جعل الله لیلة القدر لنبیّه صلی الله علیه و آله خیراً من الف شهر ملك بنی امیّة. ۸۹۰

کما ورد عن الّسجّاد علیه السلام یقول: یسلّم علیك یا محمّد صلی الله علیه و آله ملائکتی و روحی سلامی من اوّل مایهبَطون الی مطلع الفجر، و قال القمّیّ: تحیّة یحیّی بها الامام الی ان یطلع الفجر، و فی خبرٍ انّ علامة لیلة القدر ان یطیب ریحها ان کانت فی برد دفئت، و ان کانت فی حرٍّ بردت. ۸۹۱

ذلك الزّلزال [ما لَها یَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ اَخْبارَها] روی عن الباقر علیه السلام انّ امیرالمؤمنین علیه السلام قال: انا الانسان و ایّای تحدّث اخبارها، و روی عن النّبیّ صلی الله علیه و آله انّه قال: اتدرون ما اخبارها؟ـ قالوا: الله و رسوله اعلم، قال: اخبارها ان تشهد علی کلّ عبدٍ وامةٍ بما عمله علی ظهرها، تقول: عمل کذا و کذا یوم کذا و کذا. ۸۹۵

فانّها کما روی نزلت فی غزاة علیٍّ علیه السلام لاهل الوادی الیابس کانوا اثنی عشر الفاً قد استعدّوا و تعاهدوا و تعاقدوا علی ان یقتلوا محمّداً صلی الله علیه و آله و علیّ بن‌ابی‌طالب علیه السلام فأرسل النّبیّ صلی الله علیه و آله الیهم ابابکر فلمّا وصل الیهم و رأی عدّتهم و کثرتهم جبّن و جبن اصحابه و رجع الی رسول الله صلی الله علیه و آله فقال الرّسول صلی الله علیه و آله: خالفت قولی و عصیت الله و عصیتنی. ثمّ ارسل الیهم عمر، ففعل مثل ما فعل صاحبه، ثمّ ارسل الیهم علیّاً علیه السلام و اخبر انّه سیفتح الله علی یدیه، فسار علیّ علیه السلام الیهم فی اربعة آلافٍ من المهاجرین و الانصار و سار بهم غیر مسیر صاحبیه فانّهما کانا یسیران برفقٍ و سار علیّ علیه السلام و اتعب القوم حتّی وصل الی مکانٍ یرونهم فلمّا سمع اهل الوادی الیابس بمقدم علیٍّ علیه السلام اخرجوا الیه منهم فأتی رجل شاکی الّسلاح و خرج علیّ علیه السلام مع نفرٍ من اصحابه فقالوا لهم: من انتم؟ـ و من این اقبلتم؟ـ قال: انا علیّ بن ابی طالب جئنا الیکم لنعرض علیکم الاسلام فان تقبّلوا و الاّ قتلناکم، فقالوا: انّا قاتلوك و قاتلوا اصحابك، و الموعود بیننا و بینك وقت الضّحوة من غدٍ. ۸۹۸

فانصرفوا و انصرف علیّ علیه السلام، فلمّا جنّة اللّیل امر اصحابه ان یحسنوا الی دوابّهم فلمّا انشقّ عمود الّصبح صلّی بالنّاس بغلسٍ ثمّ غار علیهم بأصحابه، فلم یعلموا حتّی وطئتهم الخیل فما أدرك آخر اصحابه حتّی قتل مقاتلیهم، و سبی ذراریهم، و استباح اموالهم، و خرّب دیارهم، و اقبل بالاساری و الاموال معه. فصعد الرّسول صلی الله علیه و آله المنبر

تعالى اظهر ربوبيّته فى ابداع الخلق و تركيب ارواحهم الّلطيفة فى اجسادهم الكثيفة. فاذا نظر عبد الى نفسه لم‌ير روحه كما انّ لام الصّمد لايتبيّن و لا يدخل فى حاسّةٍ من حواسّه الخمس فاذا نظر الى الكتابة ظهر له ما خفى و لطف، فمتى تفكّر العبد فى مائيّة البارى و كيفيّته أله فيه و تحيّر و لم تحط فكرته بشىءٍ يتصوّر له لانّه عزّ و جلّ خالق الصّور فاذا نظر الى خلقه ثبت له انّه عزّ و جلّ خالقهم و مركّب ارواحهم فى اجسادهم. و امّا الصّاد فدليل على انّه عزّ و جلّ صادق، و قوله صدق، و كلامه صدق، و دعا عباده الى اتّباعه الصّدق بالصّدق، و وعت بالصّدق دار الصّدق، و امّا الميم فدليل على ملكه و انّه الملك الحقّ لم يزل و لايزول ملكه، و امّا الدّال فدليل على دوام ملكه و انّه عزّ و جلّ دائم تعالى عن الكون و الزّوال بل هو عزّ و جلّ مكوّن الكائنات الّذى كان بتكوينه كلّ كائنٍ. ثمّ قال عليه السلام: لو وجدت لعلمى الّذى اتانى الله عزّ و جلّ حملة لنشرت التّوحيد و الاسلام و الايمان و الدّين و الشّرائع من الصّمد و كيف لى بذلك و لم يجد جدّى اميرالمؤمبين عليه السلام حملةً لعلمه حتّى كان يتنفّس الصّعداء. و يقول على المنبر: سلونى قبل ان تفقدونى، فانّ بين الجوانح منّى علماً جمّاًهاه هاه الا لاجد من يحمله الا وانىّ عليكم من الله الحجّة البالغة فلا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفّار من اصحاب القبور. ۹۳۴

و عن الصّادق عليه السلام انّه سأله سائل عن التّوحيد فقال: انّ الله عزّ و جلّ علم انّه يكون فى آخر الزّمان اقوام متعمّقون فأنزل الله قل هو الله احدٌ و الايات من سورة الحديد الى قوله: عليم بذات الصّدور فمن رام وراء ذلك فقد هلك، و المراد بالايات من سورة الحديد آيات اوّلها الى قوله عليم بذات الصّدور فانّ الله تعالى ادرج فيها دقائق التّوحيد الّذى لايصل اليها ادراك المتعمّقين فى التّوحيد فكيف بغيرهم! و سئل الرّضا عليه السلام عن التّوحيد فقال: كلّ من قرأقل هو الله احد و آمن بها فقد عرف التّوحيد، قيل: كيف يقرؤها؟ ـ قال: كما يقرؤها النّاس و زاد فيها كذلك الله ربّى مرّ تين، و لمّا كان السّورة مشتملة على توحيده تعالى و اضافاته و كان القارى كأنّه يقرأ بلسان الله و يأمر بلسان الله نفسه بالتّوحيد و بكيفيّة اضافاته ورد عنهم بعد تمامه: كذلك الله ربّى، مرّ تين، اشارة الى امتثال امره و اقراراً بتوحيده و اضافاته، و لمّا كان السّورة مشتملة على توحيده و اضافاته و سَلو به روى عن الفضيل بن يسار، انّ ابا جعفر امرنى ان اقر

فهرست ابیات

کذا قضی الله للأ قلام مذبرئت	انّ السیوف لها هذا رهفت خدم۲۱۳
احمقان سرور شد ستند و زبیم	عاقلان سرها کشیده در گلیم۲۸۲
خواند مزمّل نبیّ را زان سبب	که برون آی از گلیم ای بو الهرب۲۸۲
سرمکش اندر گلیم و رومپوش	که جهان جسمی است سرگردان توهوش
هین مشو پنهان زننگ مدّعی	که تو داری نور وحی شعشعی۲۸۲
هین قم اللّیل که شمعی‌ای همام	شمع دایم شب بود اندر قیام۲۸۲
خیز و بنگر کاروان ره زده	غول کشتیبان این بحر آمده۲۸۲
خضر وقتی غوث هر کشتی تویی	همچو روح الله مکن تنها روی۲۸۲
خلق دیوانه شهوت سلسله	می‌کشد شان سوی دکّان و غله۳۲۹
هست این زنجیر از خوف و وله	تو مبین این خلق را بی‌سلسله۳۲۹
می‌کشاند شان به سوی نیك وبد	گفت حق فی جیدها حبل المسد۳۲۹
قد جعلنا الحبل فی اعناقهم	واتّخذنا الحبل من اخلاقهم۳۲۹
صورت خود را شکستی سوختی	صورت کلّ را شکست آموختی۵۶۵
وقت وا گشت حدیبیّه رسول	در تفکّر بود و غمگین و ملول۶۱۹
ناگهان اندر حق شمع رسل	دولت انّا فتحنا زد دهل۶۱۹
آمدش پیغام از دولت که رو	تو زمنع این ظفر غمگین مشو۶۱۹
کاندر این خواری به‌نقدت فتحهاست	نك فلان قلعه فلان قلعه‌تر است۶۱۹
بنگر آخر چونکه وا گردید تفت	برقریظه و بر نضیر از وی چه رفت۶۱۹
علمهای اهل دل حمّالشان	علمهای اهل تن احمالشان۶۵۴
علم چون بر دل زند یاری شود	علم چون بر تن زند باری شود۶۵۴
گفت ایزد یحمل اسفاره	بار باشد علم کان نبود ز هو۶۵۴
علم کان نبود زهو بیواسطه	آن نپاید همچو رنگ ما شطه۶۵۴
لیك چون این بار را نیکو کشی	بار برگیرند و بخشندت خوشی۶۵۴
هین بکش بهر خدا این بار علم	تا ببینی در درون انبار علم۶۵۴
تا که بر رهوار علم آئی سوار	آنگهان افتد ترا از دوش بار۶۵۴

فهرست منابع